٩٦٤ ر٣

ن ص

نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي.، تأليف الصغير، محمد الصغير بن محمد ـ ١١٢٨ هـ. كتب ١١٣٩ هـ.

١٥٠ ق ٢٣ س ١٨x٢٣ سم

نسخة حسنة، خطها مغربي حسن، طبع سنة ١٨٨٨ م.

٧٠٩٩

الأعلام (ط٤) ٧: ٦٧ الخزانة العامة بالرباط ٢/٢ : ٣٠ :

١ـ تاريخ مراكش عصر الشرفا • السعديين أ ـ المؤلف

ب ـ تاريخ النسخ.

١٤٠٠/٢

١٢/٨/١١/١٤

عبد الحي العمروي
رمضان المعظم
1385

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

[illegible] الإمام العلامة الأديب
سيدي [illegible] الإفراني رحمه [illegible]

الحمد لله المتعالي عن تداول الأزمان ملكه المتنزه عن ملكه
تعالى عن الأمثال وكيف لا وكل ما في الكون ملكه العظيم الذي لا يبيد سلطانه
ولا يتحول المعتبر بالخبر لمن تبصر عن شيء من خلقه ولا ناسي القايل
وقوله الحق وتلك الأيام نداولها بين الناس. فسبحان مورث
الأملاك ما بين شارق وغارب من أقاليم الدول البائد الذي كتب على خليقته
الفناء وسمهم به على الخصوص وقادهم لسكنى الأجداث فوذ
الجمال الخصوص فلا ينفع من عبد حقيقة مجاز مختص الشعر ولا مجهول
نحمده سبحانه أن دل لنا الأفهام وفاضت من بحار كلا
المحابر على الزبر وملكنا من أثرى العلوم ما خلقنا منها أقاليم الدرر
وأزدفنا بها من شرف العلم ما لم يشركه سواه ونول والصلاة والسلام
على سيدنا محمد الذي رفع الله عز اسمه الحرج والنصب وجمع فيه جميع
الفضايل ولولا تجلية من الله ما اجتمعت في نجم ولا عصب المصطفى
من بني هاشم شمس النبوة من العرب وبعثه الله
ومملكة الكعبة تزداد الأمصار وقد أعز وشهد وقال أن كنتم
تحبون فيه الأمصار وحد مشهد وهل عندي سهم دار من معول

والرضى عن آله وأصحابه الذين لطلعتهم النجوم ما في قمر الأفق وأعظامهم
من الكتاب إلا لغاية جمع الكتب بجمع القلة وخولهم من ذكر ما منه
ما خولنا **فاعلم** بأن علم التاريخ من أشرف العلوم
وكان من العلوم الشرعية مغلوق وما زال الجهابذة الأخيار
يغوصون فيه أوقاتهم في جمع الأخبار ويعتنون بمسايله ومن نمنمة
من أشتمل على خبر ويعترفون بما فيه ولا يغفلون وإن الطرف إلى أخبار أو
توخى ولا شك أن النظر في ملح النوادر فيه تنشيط للأفكار والسواد
وإني لم أزل منذ علقت تميمة التمييز في عضدي وجعلت سوار
العلم في زندي متشوقا إلى أخبار الدولة السعدية وسايلا
هل أنتشق أحد نفحات أخبار هذه الدولة الوردية فلما لم أجد إلا مجيبا
بلا تعنت أن رسم العلم غير البلاد **وقمت منتهز الفرصة**
ووقعا على خاتم السبق من الأمجاد ووصلت إلى منتهى بإحسان
من التدوين وقد عن خاطري أن أخوض بما يشتمل من التأليف كان
ما أستمده من الصحابة والتابعين وإن كنت مع كل الهمة غير قاصد وعينا
لا على التغيير **وقد حصل** الحال التيسير بالنجاة وراجعة ومن همة
النفس من جهة الشيخ ساجعة **و** فركب ترك الحى المتبرولة بيني وكناس
وأنا أخر بمنع قريب بما يكون ذيلا للأرقام ورومة النشرين فرأيت الد
ولة السعدية عناية أهل زماننا بها أكثر وأن فهم وعلمها لا
يكون به تاريخ الملك اتخذ **وسميته** هذا الموضوع الذي
حررته عشية غير موضوع
نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي
وهذه الدولة السعدية وإن كان ابتداؤها عام ستة عشر
من القرن العاشر لكن إنما اتسعت وضخمت أيام الحماية وأخر العا

العاشر. وهو أول الخلاف وقبل ذلك اجتمعنا على الخلاف وما فارق الشيخ
بمنزلة الشيخ المحكم بخلاف واعلم أن اللغة من التصنيف من عمره
كتب تزيد بزهو الزهر الجنية وسوف يبدو لم يخ اعتراك انا
وانصب متزوج الا حالة لمن أراد أن يبرز في سمائهم فيجد من سرح
فيه مما كتبه أن يسامح نسجه ولا يشغل القلب بكثرة ولا تذكر من فوق
الجمع الحسن المستقيم. والكلام على جواهر العصبية ستتمم. وتذكر السلامة
من الخلق فضيلة من المحال تعذر وجهه. واعراض الأشراف لم تزل بالسنة
اللئام تعرضه. والله يجنبنا من ذلك الله عن العجز والحرج ويجعلنا
ممن يرى أن كلام الخلق كله شبه الحرج. وهذا أول الشروع في المقصود
والله المعين على التمام بمنه وكرمه

في ذكر الخبر عن نسبهم الشريف وما في أوليتهم من تبيين وتعريف

أقام عمود نسبهم وغيره كثير غير واحد من المؤرخين وجمعه من الأجلة
من الشيوخ المعتبرين. وهذا نصه: محمد المنصور بن محمد القائم بأمر الله بن
عبد الرحمن بن علي بن مخلوف بن زيدان بن أحمد بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن
الحسن بن عبد الله بن محمد بن عرفة بن الحسن بن أبي بكر بن علي بن حسن بن أحمد
ابن إسماعيل بن القاسم بن محمد النفس الزكية بن عبد الله الكامل بن
حسن المثنى بن الحسن السبط بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله
وجهه ورضي عن جميعهم. قال الشيخ الإمام العلا
مة أبو العباس أحمد بن القاضي في كتابه المنتقى المقصور على مآثر خلا
فة السلطان أبي العباس المنصور. اطلعني على هذه النسبة الشريفة أبو
العباس أحمد بن يحيى المغزلي قاضي فاس ولي عهد المنصور مولانا
أبي عبد الله محمد المأمون ومثل هذا حدثني شيخنا أبو العبا
س أحمد بن علي المنجور وحدثني شيخنا أبو راشد يعقوب

ابن يحيى اليدري أنه رأى هذه النسبة أيضا مكتوبة بخط أبي عبد الله محمد
ابن غالب بن عشار وعليها استدلال الفاضل أبي عبد الله ابن علال انتهى
منه. قلت: رأيته بخط بعض الأشراف من الصغير بن ابيطو الحسن
أن فيه بين أبي قاسم ومحمد النفس الزكية. فائدة: لا يخفى أن أولاد النفس
الزكية من اسمه قاسم وإنما القاسم بن محمد بن عبد الله الأشتر بن محمد
النفس الزكية بن عبد الله الكامل. إلا أن هذا يقع من جهول الناسخ أو جهله
بحقيقة الأمر والله أعلم. وما ذكره صاحب المنتقى من أن محمد
القائم هو ابن عبد الرحمن وأسقط محمد بن القاسم بلا واسطة كذلك هو
في بعض الكتب وليس بصواب بل هو القائم بن محمد بن عبد الرحمن فأسقط
محمد بن القاسم وعبد الرحمن. وقد وقفت على رسالة بخط الإمام
النظار أبي عبد الله محمد بن قاسم القصار وجهها للسلطان المنصور في هذا
المعنى ونصها: سلام الله ورحمته وبركاته على مولانا المنصور
نصره الله نصرا عزيزا وأدام الخلافة فيه وفي ذريته إلى يوم الدين يقبل
بساط كريم عبدكم القصار زاده الله من رضاكم. وبعد
أن في النسب الكريم العظيم محمد ثلاثا محمد من يتبدل التثنية بالجمع ويحمل
على أقله إذ لو كان أكثر لبين أو يقال أحمد محمد بن عبد الرحمن. وقال
العبد الضعيف

روى أبو داود ونعم الحاكم فاصغ من بعث المجدد اعلموا
برأس كل مائة وأن الرسول شرطه في الحديث بالغيب تزول
ولم نر بها جدد الدين سوى إمامنا المنصور فالكل ترى
بجيله ونادى أحيا العلوم وأملها وكتبها على العموم
في كل يوم جوده على الشريف مع الأسير والفقيه والضعيف
أفاد المساجد وكالجنان حسنا وترتيبها على الساعات

ابقاء وتبا لاحياء الدين بقوة وغلب متين

ولو علمت يا مولاي ان احرا جكم اكثر منه ما اعرضت بنفسي من المثلين والسلام انتهى من خطه واشار بقوله فتبرك التشبيه الخ الى انه يقال عند سرده هذا النسب احمد المنصور بن محمد بن محمد بصيغة الجمع واقل الجمع ثلاثة او يكتب احمد محمد ويجعل ميم لا نقطها ثلاثة كل ذلك فرارا من التشبيه وكذلك انفا من التشبيه اشتغل ذكر محمد بن ابي زرعة فان عقب النفس الزكية انتهى بينبوع النخيل الى السيد الغالب والسيد عبد الله ابني محمد بن ابي زرعة حسبما ذكره الشيخ والنسابة ابو عبد الله الزرقاني في كتابه الروضة وهنوه السادات يقولون ان اهل طلقهم وبرعلى الغرب من الينبوع وانهم ابناء عم السادات اولا شرفا اهل سجلماسة وان الحسن بن قاسم الداخل من الينبوع بسجلماسة كما سيأتي ان شاء الله هو ابن عم جدهم الداخل لدرعة زيدان بن احمد بن محمد والقاسم والد الحسن الداخل ولذلك قال في المنتقى لا خلاف ان نسبهم اهل شرفاء اهل الغرب لان اهلهم من شرفاء ينبوع وقصة انتقالهم من ينبوع الى درعة ادا اتى بهم اهلها من هنالك كما ان اهل سجلماسة اتوا بعمهم قبل ذلك السلطان وحكايتهم شهيرة بين الجمهور خيرا ولا نطيل بذكرها انتهى واشار بذلك الى ما يزعمه السعديون وان اهل درعة كانوا لا تصلح ثمارهم وتقع فيها العاهات فقيل لهم لو اتيتم بشريف لبلادكم كما اتى اهل سجلماسة به لبلادهم لصلحت ثماركم كما صلحت ثمارهم فاتوا بالسيد زيدان ابن احمد من الينبوع لذلك فصلحت ثمارهم الا ان من الناس من يطعن في هذا ونقل الشيخ عن الامام القاضي ابي العباس المقري احمد التلمساني وذكره غير واحد من فقهاء دولتهم بصراحة نسبهم وسلامة جرثومتهم من الطعن وقال غير واحد من الائمة الفتوى بعد كلام الامام المجود ابي يوسف يعقوب اليدري والامام ابي العباس المزدعي والشيخ ابي

لابي العباس

الشبر

العباس سيدي احمد بابا السوداني وقال ابن عرفة ان نسبهم في غاية الشهرة لا مطعن فيه ولعل ما نسب للمقري من تصحيح انهم من بني سعد بن بكر لا قريش لا يصح عنه فانه صرح في كتابه نفح الطيب بشرفهم ومن اخر ما الف بل اللقب من بلاد الشام وفي نوازل قاضي الجماعة ابي مالك ابن عيسى بن عبد الرحمان السجتاني من جملة كتاب سؤال كتب به اليه الفقيه الصالح ابو زيد عبد الرحمان التلمساني وممن يقول له ولا شك ان مولانا عبد الله مجمع على عدالته وبيعته وقد اخبرني الثقة من اصحاب الشيخ الجامع القطب الكبير سيدي احمد بن موسى السملالي انه قال مولاي عبد الله شبابا فرقة الا شرفاء متى مالح لا سلطان انتهى ونامليك بنا شهادة على عدالته وعلو كعبه في العزل وسيأتي هذه الحكاية في محلها باتم مما هنا وفي اللغة بخصوصه ولقيتهم جماعة كالفقيه المشارك السيد المغربي ابي فارس عبد العزيز بن محمد الفشتالي وسمى كتابه مناهل الصفاء في فضائل الشرفاء قال في نفح الطيب وعندي منه ثمان مجلدات وكذلك العلامة الكاتب البارع ابو عبد الله محمد بن عيسى وسمى كتابه الممدود والمقصور من سني السلطان المنصور وقال في نفح الطيب ايضا ومن التسمية وتحريما مطرية انتهى واعلم انه على السنة وعلى ما هو لا اشرافا بالسعديين ولم يذكر لهم هذا الوصف في القريب ولا وقع تعليقهم به في ظهائرهم وسجلاتهم وظهور رسائلهم بل كانوا لا يقبلون ذلك ولا يجترئ احد على مواجهتهم بذلك لانه انما يقصد بذلك من يقدح في نسبهم ويطعن في شرفهم ويزعم انهم من بني سعد بن بكر بن هوازن الذين منهم حليمة السعدية ظئر النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكرناه وكثير من العامة واخرون من الطلبة يعتقدون انهم سموا بذلك لان الناس سعدوا بهم او نحو ذلك مما لا معتمد له وقد وقفت

جرى

انها

علو رسالة بعث بها مولانا محمد الشيخ بن زيدان الى امير المومنين مولانا محمد
ابن مولانا الشريف السجلماسي وكان من فحول العلماء اذ قال له وبلغني انكم
تعلون في النواجد من الحواجب والبواد وان جرثومة انما هي لبني سعد بن
بكر بن هوازن ومع انهم من بني نزار بن معد وابنة الكاتب وثقيلة الهوازني
وانتم من قريش احل الفخر ربواحد زمعة ومنها ابنة الله اهلنا فانتم
واقمتم بعد بلى كان في خدمة منقطعة فرونا من اللب بمنزلة من العضد
عليكم عادون وان تحاول محونا من صحيفة النسب بتلك ايقاد عدو لا تعلى
ان تترحم علينا سوابق الاشعار وقد زم فيها لك نسخة من مناهل الصفا في
اخبار الشرفا ليطلع انظار الملوك على ما يزيل اشراك الشكوك
فاجابه مولانا محمد الشريف عن هذا الفصل بان قال
له وحقا وعنايتكم انا عرفنا لكم لبني سعد بن ابي بكر بن هوازن بن منصور
وناس وذلك من الحلل والجزن والغضون تالله ما جمعنا بذلك عن
معايرة لكم وان جعلوا بان نضيعكم لمعرفة عشيرة له ولا اهل
بلاغتهم بالذي بغير اسمكم ما نقله الثقات المورخون وكان خيار الناس
من علماء مراكش وتلمسان ومكناسة وفاس ولهذا فعل الكل التامل
بالذكر والبحث فما وجد وكم الا من بني سعد بن بكر المعول على كتاب
ابن مولانا احمد من العشائلة **وقال الفقيه** السيد احمد المكناسي
ولابن عمك الشريف الشغشاوني وسواهم اخذ الكل امثلة بسياحتهم
وانسابهم وانبساطهم وقد بلغتنا نسخة مناهل الصفا فلم نجد فيها
من يخالفهم وهو فافهم **و**كيف في الباطن والظاهر فوز مولانا عبد
الله ابن كامل ومع هذا فلم يعتمد فعلكم عن شرف النسب ولا رفعكم
اعلى فلا وسكت الله به من بيته الحسب اشير الغرض من هذه الرسالة انما ذكر
بعزله قول التحفة مولانا عبد الله بن كامل الى ما يحكى شافعيا ان السلطان

في الفاطمي

بعض العلماء

النفعة

حكاية المنصور مع مولانا عبد الله بن كامل

المنصور

المنصور وكان يوما جالسا مع الفقيه الامام الورع الزاهد ابي محمد مولانا عبد الله
عبد بن كامل الحسني احد السادات السجلماسيين وبين يديهما خوان يأكلان منه وذلك
بفعل السلطان المذكور من حاضرة مراكش **فقال السلطان** لابي محمد اين اجتمع
انا جمعنا بعض في النسب فقال له ابو محمد في هذا الخوان **وفي رواية** في هذا المشور
فاستشاط هنا السلطان غضبا واسرها في نفسه الى ان احتال على ابي محمد لما كان
النسب في تجرعه كاس المنون وكان المنصور يغرق اليه ينادم ابا محمد بمجلس مو
على الرخام في زمن كلب البرد ومجالسه من نعم حاله وقد اتخذ المنصور لبدة هو
داخل سراويله لا يحس معها بالبرد فلذا رواه ابو محمد جالسا معه فجلس وانتهى
ان يقوم والسلطان معه **و**منهما يتبعا وضار في مسايل العلم فعلت الجبة اياها
حتى سكنته علة البرد فلم ابو محمد يشتكي من ضررها الى ان قضت عليه وجوا
وجواب ابي محمد من النوع البارز المسمى تلقي المخاطب بغير ما يترقب
على ما هو مبين في الكتب البيانية **و**انما ساله السلطان المذكور لما تقرر لنا
اولا ان موالي السعديين يزعمون ان جدهم فرع من الينبوع ايضا كما سلف
والسادات السجلماسيون ينكرون ذلك كل الانكار ويقولون انهم لم
يجتمعوا معهم في فيلق ولا دين والله اعلم لا ذكر صحيح لنا عنهم واحد من اشياخنا
حدثنا ان الشيخ ابن كامل رجع عن ذلك الانكار وان السلطان ابا
العباس اطلعه بعد ذلك على ظهير فيه خط الامام ابن عرفة وبخط
الامام ابي عبد السلام بثبوت نسبهم فاطمأنت نفس ابن كامل لذا الا فكان
تغير في صحة نسبهم ويزجر من طعن فيه **و**افادة ابن كامل وعدل الله
شيمته **و**كذلك صرح بصحة نسبهم الامام العلامة مفتي الحضرة الحمراء
كمشية ابو مالك عبد الواحد بن احمد الشريف العلامة وممن ينفي عن ابي محمد
المذكور وله في المنصور امراح يعلن بها بشر فيه مع انه كان من اهل العلم والبر
بر والتحفظ فيما يكتب ويقول وعلى ما ذكرنا عنهم وان جدهم فرع من الينبوع

يزل

وقال ابن القاضي في درة السلوك ان جدهم قدم من الينبوع وامتنع اولهم
فسكنوا بدرعة بتاقمادرت في المائة الثامنة وفي هذا العصر فرع اشراف
سجلماسة ايضا كما سيأتي ان شاء الله تعالى وهذا ما يتعلق بنسبهم الشريف وقد
اعلمنا غير ما واحد عن منا ان ابناء الاعراض عنهما اولى لانه من شان المومن ان
لا يتتبع العورات ولا يبتدأ الاعراض والله المسؤول ان يمن علينا بالستر
دنيا واخرى بمنه وكرمه

ذكر كيفية اتصالهم بالملك
وسبب كونهم لغاية العلا

قال صاحب درة السلوك لم يزل اسلافهم مقيمين بدرعة الى
ان نشأ منهم ابو عبد الله القائم بامر الله فنشأ على عبادة وصلاح وحج
البيت الحرام وكان مجاب الدعوة ولقي جماعة من العلماء الاعلام
والصلحاء العظام في وفادته على الحرمين الشريفين اخبرني
بعض الفضلاء انه لقي رجلا صالحا بالمدينة المشرفة على ساكنها
افضل الصلاة والسلام فاشار له بما يكون منه ومن ولديه وكان
فسر له رؤيا بانه سيكون لولديه شان عظيم وسيملكان الناس ثم رجع
الى المغرب وهو منتظر الدعوة ويقول في كل مجلس ان ولديه سيملكان
المغرب ويكون لهما شان من غير تردد منه ثقة منه بالرجل الصالح
الكاشف ولرؤياه المذكورة فما زال الى ان قام في خمسة عشر وتسعمائة
انتهى ومعنى الرؤيا المذكورة فيحكى شارحها ان ولدي ابي
عبد الله القائم وهما محمد المهدي واخوه احمد الاعرج كانا يقرءان بمكتب
وهما صبيان صغيران فدخل رجل فوضع على راس كل منهما وصاح فاول
ذلك من رءاه بانهما سيكون لهما شان عظيم وكذا كان انتهى وقال
شارح زهرة الشماريخ فاحوريته ان سبب قيام ابي عبد الله القائم

وهو ان ناسا من [illegible] اهل بلده
فتبعهما الناس الى ان دخلا
صومعة ... موضع ... هو بها
... لم يزل بها بانيه

ابتداء تاريخ الدولة السعدية
سنة ٩١٥

ان اهل سوس احاط بهم العدو الكافر وتزاحموا عليهم من كل جهة حتى اخذ
البحر واستحكمت شوكة الروم وبقي المسلمون في امر مريج لعدم امير تجتمع
عليه كلمة الاسلام لان بني وطاس قد شغلت بهم ملكهم عن بلاد السوس
وانما كان لهم الملك في حواضر المغرب ولم يكن لهم من السلطنة بالسوس
الا الاسم مع كان فيه بنو وطاس ايضا من قتال الكفار بثغر اصيلا وغيره
بادس وغيرهما من الثغور والمراسي فلما رءا قبائل السوس ما دهمهم
من تغلب اهل الطغيان وطمع العدو ببلادهم ذهبوا الى الشيخ
الصالح ابي عبد الله محمد بن مبارك فذكروا له ما هم فيه من انتشار
جماعتهم وافتراق كلمتهم وطلب العدو على مباغتتهم بالقتال وطول
محنتهم وطلبوا منه ان تجتمع كلمتهم عليه ويعقدوا له البيعة فامتنع
من ذلك وقال ان رجلا من الاشراف بتاكمادارت من درعة يقول انه
سيكون لولديه شان ولو بعثتم اليه وبايعتموه كان انسب بكم
والتوفيق مودتكم فبعثوا اليه من اخبره فكان ما انتهى وراينا
بخط العلامة الحافظ ابي زيد عبد الرحمن بن شيخ الجماعة ابي محمد
عبد القادر الفاسي ما صورته ذكر لنا الوالد عن سيدي احمد بن علي
السوسي البوعبدلي ان ابتداء دولة الشرفاء بسوس سببها
ان بعض السادات وهو سيدي بركات توسط في بعض اسارى
واراد ان يكون افتداء النصارى على ان لا يفتدوا اسيرا فكلمهم في ذلك
فقالوا له حتى يكون لكم اميرا فان ملككم ذهب واضمحل قال
ثم ان بعض اهل السوس نزل الى قبيلة جسيمة يكايل العقود فاخذهم
جسيمة فاكلوا بضاعتهم وافتضحتم فذهبوا الى شيخهم وكان ذا
حزم وعزم وتدبير فرد لهم كل ما ضاع لهم حتى لم يبق لهم شيء
فلما رجعوا الى بلادهم قالوا ان هذا الشيخ الرئيس هو الذي يليق

الفقيه

جزاء

ان نبايعوه فاجتمعوا واتوه وطلبوا ان يبايعهم فامتنع واحتال لرفعه
واعتذر بتشويش هذا الامر للبرود لهم على رجل شريف كان موجودا
بدرعة بعد الفرار كان ولده فانصروا الشريف العلاني فانه يذكر ولم
يد يملكون المغرب فنصروه واستعبروه الى بلادهم ورضوا الله تعالى
وانواره وبغيتهم هنالك في فخر العز والاركان فما كان وقد توفي
بركات المذكور هو الولي الصالح بركات بن محمد بن ابي بكر التسوسي

ورأيت بخط بعض الفضلاء وانه من الزاد دخل
الشرفا السوس سنة سبعة عشر وتسعماية وتوفي عام خمسة وثلا
ثين وتسعماية اهـ **وفي الدوحة** لابن عسكر في ترجمة ابي عبد
الله ابن الجبار المذكور قيل انه هو الذي امر قبائل السوس بالانقياد الى
السلطانين الشريفين ابي العباس الاعرج واخيه ابي عبد الله محمد
الشيخ وامرهما بالعدل والجهاد في سبيل الله لمحاربة النصارى وتغلبوا
على سواحل تلك البلاد وكان من امرهما ما هو معلوم اهـ وفيه
بعض مخالفة مع ما قبله الا ان ما ذكره شارح الزهرة يفيد ان ابن
المبارك انما حظهم على مبايعة ابيهما ابي عبد الله القائم بالله في
ما ذكره في الدوحة ولعله امرهم بالانقياد الى الجميع والله اعلم
وفيه بعض مخالفة وابن الجبار المذكور من اكابر الاولياء ومن اهل
التصريف المشاهير بالعيان كان نزيلا ببلاد اقا وزاويته هنالك
شهيرة الى الان وكان رحمه الله قطب الولاية عند اهل السوس خصوصا
لكثرة ما له **منها** ان نفرا من الفقراء قدموا عليه بقصد الانكار
فامر الشيخ ان يطبخ لهم العصيدة في قدر من عصا التجريد فجعلت
القدر على النار ووضع عليها لهم ما امر به الشيخ والناس ينظرون
جميعا ومن ذلك انه جعل لهم ثلاثة ايام في كل اسبوع وفي كل شهر

منقبة جليلة

لا يحمل فيهما احد سلاحا ولا يتعرض بعض القبائل فيما بينها لبعض ومن انتهك فيها
الحرمة عجلت له العقوبة حتى ذكروا ان اعرابيا قتل في بعض تلك الا
يام على بير يربوعا فقال له بعض اصحابه اصلحه قبل يوم من ايام
عادية سيدي محمد بن مبارك فابى الاعرابي وقضى في اليربوع بكسر رجله
فلما تم ان صلح الاعرابي يلغ محيه كسر رجله فما مشى عليها بعد

وكراماته كثيرة لما ثبت ولا بقيته عند القبائل السوسية
انه عنوا له وانه يشفع لهم فامرهم بالاجتماع على من ذكرنا والله
اعلم **وفي الدوحة** في ترجمة الشيخ العالم ابي العباس احمد
ابي محمد عبد الله بن عمر المضغري ما نصه وبعثه ما هو ر ثم لما كان السلطان
ابو عبد الله محمد الشيخ واخوه ابو العباس من تلامذته وبسببه كانت
دعوتهما انتهى ومن المخالف لما تقدم ايضا الا ان يتاول على ان كلا
من ابن مبارك وابن عمر وغيرهما احظ على مبايعتهما وابن مبارك بالسوس
وابن عمر بدرعة وبتوسط الفقراء ونواحيهما وفي مرآة المحاسن ان السلطان
ابا عبد الله محمد الشيخ ماهد دولة الشرفاء كان يتبرك من مشايخ
الفقراء ويحيى منهم لدخوله الملك من بابهم انتهى وقد اتفقت كلمة
اولايات الاشياخ على ان ابا عبد الله القائم انما كان باشارة من الصالحين واذ
من العلماء العاملين وكفى بذلك شاهدا على صحة نسبة الشرفاء والا لما حصل
بالماقة العظمى التي لا ينقطع صوتها الا تشريف النسب قريش المحترم هذا
سبب ما وقعت عليه في سبب اتصالهم بالملك وقد تركت اخبارا وقعت بها العامة
في ذلك ورأينا اخلاء كتابنا منها ايضا والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

لطيفة رأيت بخط الفقيه الاستاذ مؤدب اولاد الملوك ابي
عبد الله محمد بن يوسف الترغي رحمه الله ما نصه كان سيدي علي بن عماز ويامخ
دولة الشرفاء اهل درعة من فوق الله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر

ان الارض يرثها عبادي الصالحون واقتصر ولم يكتب بقية الآية لخلو الحال من الآية

تنبيه في الرحلة لشيخ شيوخنا الفقيه العلامة ابي سالم

عبد الله بن محمد العياشي ما نصه حدثني شهاب الدين احمد بن

التلاج ان السلطان سليم العثماني اخترم ملوك الترك وهم اول من ملك مصر

منهم وانتزعها من يد السلطان الغوري سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة

وذلك انه لما ملك الشام اراد ان يتملك العراق لانها كانت اسلافه من الترك

قبله اراد النهوض لذلك من اول الشام تعذر عليه اتخاذ الغلة اذ لا قوات

وغلاء الاسعار وكتب للسلطان من الغوري يستاذنه في الاجتياز من بلده

وكان الشاه ملك العراق في ذلك الوقت لما سمع بتحرك السلطان سليم

كاتب الغوري وكانت بينهما مرافقة يطلب منه ان يشغله عنه ويثبطه

ما استطاع وصادف ذلك من الغوري غيرة من السلطان سليم وانفة

من تملكه لبلاد الشام وخشي ان تتسع مملكته ان يستولي على مصر فيجمع

اذ ذاك امهات البلاد الاسلامية وملكها اعظم الملوك بعد انتقال

الخلافة العباسية بعد وقعة التتار من العراق الى مصر وعندما

طلب السلطان سليم من الملك الغوري تعلل له بان ذلك لا يمكن

في هذا الوقت لغلاء الاسعار واعتذر باعذار ضعيفة فعلم

سليم لغصه وعلم انه انما اراد تعويقه عن المسير الى العراق وحدث

نفسه بالوثوب عليه وصرف العنان عن قصد العراق عن

من العراق الى غزو مصر باستشارة في ذلك من كان بحضرته من

العلماء وذكر لهم عذره وان الغوري منعه التزود من بلاده ومن

يحتاج الى الزاد وكلهم قال له العلماء ذلك لا يبيح لك قتاله لانه ملك

بلاده لم يطلع لك بامر كان عنده بان داخل في الحرمين وكيف يجوز لك

الهجوم عليه في بلاده ومحاربته بلا سبب وقرا العلماء الحديث في

الجعفي

(هوامش: شيء / رأيت — المبراه — غزو — كان)

الجعفي ابن كمال باشا وكان اعظمهم فقال له ابن الوزير ان ابن ... انه يباح لك قتاله

او غزوه وفي كتاب الله انك تدخل مصر من ... السنة فقال له وكيف ذلك

فقال الا افتح في ذلك ... الانبياء وهم مشايخ الاسلام حتى توجلهم

سبعا لينظروا وليتدبروا بان الله تعالى قال ما فرطنا في الكتاب من شيء

فكيف لا تكون مذكورة النازلة في كتاب الله الذي فيه تبيان كل شيء فقال لهم

سليم اني اجلتكم سبعا لتبحثوا عن صحة ما قال فقالوا كلهم ايت الان ما

كان جوابنا الان هو جوابنا بعد سبعة فقال ابن كمال لا بد من التاجيل

وفصله والله اعلم ... عند الملك وانه ... ولما عجزوا عنه بعد

التامل والتطوع ادخلوا ابن قاضي في المجلس لان ... في ذلك يكون

الا ... بالتعاقل والتدبر فاجلهم الاسبوع سبعا فلما انقضت جمعهم

وسالهم فقالوا جوابنا فيما مضى هو جوابنا الان فقال ابن كمال ابيان

فيم نفهم لينصر ... في كتاب الله العظيم انك تدخل مصر ... ذلك من

السنة الا انهم لا يعرفون ... فقالوا اين هذا فقال قوله تعالى ولقد كتبنا

في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون فقدم واحسنه

فقالوا ... فقال ان قوله تعالى ولقد ... لفظ سليم في

بالجمل فان كل واحد من الكلمتين عدده تسعمائة واربعون ...

اشارة الكلام سليم كتبنا في الزبور عشرين وتسعمائة ان الارض يرثها

عبادي الصالحون ... الترك ... البحرين ما تقدم ...

وذكر في الاية الكريمة على قول كثير من المفسرين ان الارض ...

الصالحون في هذا الوقت هم جنود الله الا ...

في اقطارها ... فامتثلهم سنة الجهاد ... اكثر البلاد النصرانية ومع

على مذهب اهل السنة والجماعة و ... جنان ...

... كامل العراق واكثر اليمن والهند ...

عن ابيهم عن اقامة شعائر الاسلام كالجمعة واما من اسست ولن عليهم الدنيا كلا
مل وحج وبالغ في تقرير هذا المعنى وسر سليم بقوله وسلم له الفقهاء حسن
ابن سنبك ولفظ ابن الشارح الانه قالوا ان هذا الذي يقع في اباحة قتال قوم
لم يخلع برابرهم طاعة وقد حارب احزاب المشركين وان كانت الاشارة الغزاة
نية تدل على انه هذا سكوت فلما برز هذا الكلام وجد مستمسكه في الفتوى الفقهية
فقال ابن كمال ان البيان الاسمي ان هذا استنصار ذا الكبار تبعث للسلطان الغوري
وتعول الغاية لما قررت الى تلك البلاد وكان ولم يتيسر الغرض الخير فرمنا بجله
عزمنا للتوجه للحجاز فريضة الحج وليس لنا طريق وقد تزود الاهي
بلادكم فاردنا ان تاذن في المرور الى بلادكم والتزود منها فانه لا محالة ما فعله
وهاد اعن المرور الى بلاده فانه امر اعن حج البيت جاز له قتاله وصار
محاربا فاستحسن الفقهاء رايه في ذلك وكان الحيلة في منعهم جائزة وكتب
السلطان سليم للغوري بذلك فراجعه الغوري بسيئ وصرح بمنعه وقال
له لا تمشي من نيل مصر جرعة ماء الا اذا مشيت على جثتي والموت فقوي حينئذ
عزم السلطان سليم على غزوهم وتهيأ لذلك فكان ما كان من استيلائه وحمل
عليه وخوله مع بالسيف فعظمت مرتبته ابن كمال عند سليم وخيره فيما شاء
من الولاية فاختار الفتوى وتولاها وحسنت سيرته فيها وتصدر لنشر
العلم والله يتقبل منه انتهى فص الرحلة المذكورة وكان دخول
السلطان سليم مصر عام عشرين وتسعماية كما قال ابن كمال وقد دخل مصر
قتل الخليفة العباسي وبه انقرضت بني عباس وقتل جماعة من العلماء والصلحاء
وكثير من المجاذيب وارباب الاحوال لان الغوري خرج بهم معه يستشفع
بهم فلم يغن ذلك شيئا عن قدر الله قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح
ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا قلت ولعل الخبر اخر
دولة الشعريين من الاية يشير ابن سنبك ابن كمال ان الشرفاء السعديين

نبغ

نبغ امرهم في حدود العشرين وتسعماية كما سيأتي والعلم عند الله سبحانه ونقيم
هذا ما رايته بخط الفقيه قاضي الجماعة بالحضرة الاسماعيلية ابي محمد بن عبد الرحمن
الجامعي قال استخرج بعض الاصحاب من موسى بن عبد الكريم السجلماسي الاربعة
عشر ماية الذي يقال ان تزيد عليها من الاخوة من كلام ذيل النبي عليه
السلام من قوله تعالى فقد جاء اشراطها انتهى

ذكر بقية الخبر عن دولة الامير ابي عبد الله القائم

قال الغانم ان السلطان ابا عبد الله القائم اجتمع بالشيخ
الصالح ابي عبد الله بن المبارك المتقدم الذكر بموضع يقال له اقا من بلاد السوس
الاقصى فتكلم معه ثم رجع الى فرارهم من بلاد درعة وذلك عام خمسة
عشر وتسعماية ثم في العام المقبل وهو عام ستة عشر بعث له فقهاء المصامدة
وشيوخ القبائل واستدعوه الى تقدمه عليهم وتسليم الامر اليه قبل دعوته
ثم وجاء الى قرية يقال لها تيدسي من تارودانت فبايعه الناس واصبحوا
معه بقلوب متفقة واغراض على الجهاد مجتمعة فندب الناس الى مقارعة
النصارى واجلائهم عن سوس فانثال معه جموع حافلة من المسلمين وعمدوا
الى النصارى فنا وشرهم القتال فاتاح الله له النصر وقتل اشلاء الكفر
بغالب الطبع واخرج حية الغيرة من جحرها واعاد شرير الدين الى وكنه فلما
راى ذلك المسلمون ويقنوا بطاعته وتفاءلوا بكابرته الميمون وزاد تمكنه
ذلك محبة في جنابه وتعظيما لمكانته ثم رجع الى مكانه من تدسي
المذكورة بوقع بينه وبين بعض الرؤساء منازعة ادت الى ان قتله
وبخجوعه الى درعة فلم يزل بدرعة فيما الى عام ثمانية عشر فرجع من كانه
من تدسي واهل تارودانت بعد ارها وازال الله عنه ما كان ازعجه عنها ثم ندب الناس الى
بيعة اكبر ولديه ابي العباس احمد فبايعه الناس ثم جاءه اشياخ حاحة

والشياظمة لما بلغهم من حسن سيرته ونصرة لوائه فشكوا له امر العدو الكا
فر في بلادهم وشدة شوكته عليهم وطلبوا منه ان ينتقل اليهم هو وولده وولي
عهده المذكور فاجابهم الى ذلك وخرج معهم هو وولده الى محل يقال
افغل من بلاد حاحة وتركا ولده الاصغر ابا عبد الله محمد المهدي بالسوس
يمهد له المملكة ويفعل اساس الملك ويباكر القتال مع العدو ويراوحه
وبقي الامام ابو عبد الله القائم بمكانه من افغل
الى ان توفي به عام ثلاثة وعشرين وتسعمائة وفي تلك السنة استولى
الترك على الجزائر وتلمسان وتملكوا امر المغرب الاوسط ولم يكن لهم
قبل ذلك في المغرب تملك ولا صولة وسبب ذلك ان الشيخ الامام العالم
الحكم ابا العباس احمد بن القاضي الزواوي كانت له همة شريفة
في غزو الكفار وقوة شكيمة عليهم وله مع ذلك شيوخ في بسائط المغرب
الاوسط وجباله وفيه قال الشيخ سيدي عبد الله الهبطي ما رأيت احدا
في مقام الوراثة النبوية على الحالة المعهودة من سيدنا رسول الله صلى
الله صلى الله عليه وسلم الا رجلين سيدي احمد بن القاضي الزواوي وسيدي
سعيد بن عبد النعيم في حاحة وقولها وابو العباس المذكور قوة شوكة
الكفار وانتشار ايديهم في بلاد المغرب وضعف المسلمين عن مقاومتهم كاتب
الترك وعرفهم بحرمة تلك البلاد لما يسمع من شوكتهم الا تراجع في المعارك
وتجربتهم في الحروب واوصلهم للكفرة ونفر بحسن نيته ان يدفعوا من عزة
الاسلام ما انخفض ويغيروا من امره ما ضعف وقال ان بلادنا بقيت
لكم اولا خيلا او الرجال فاقبل الترك نحوه مستعجلين ومع بعض الناس على
اتباعهم والانخراط في سلكهم والسمع والطاعة في ميرهم عروج التر
كماني الذي مر الثناء عليهم فدخل الترك الجزائر ثم تلمسان ثم انهم مكروا
بالشيخ وغدروا به خوفا على رياستهم فقتل رحمه الله شهيدا بعد الثلاثين

وتسعماية

وتسعمائة ولما دخل الترك تلمسان واكثروا الفساد فيها ونهب عروج التركماني
اموال الملك واذاق عليهم دائرة البوار ومزقهم كل ممزق وخرج آل بني زيان ثو
واشتعل امر تلمسان زمنه وخافوا اذا رجع اليهم ان يستاصلهم فجاءوا الى الشيخ
الامام عالم تلمسان وزاهدها ابو العباس احمد بن ملوكة فشكوا اليه ما نابهم
منه وما يخافون من ابرمته فانقبض الشيخ انقباضا عظيما ثم ضرب الارض
بيده وقال والله لا يرجع لتلمسان ابدا اعتمادا على الله فكان كما قال وقتل
عروج ومن معه من الاعلاج والترك فكان الشيخ ممن قال في حقه
الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله لو اقسم على الله في شيء
لابره ولما توفي ابو عبد الله القائم بالمحل المذكور
من بلاد حاحة دفن بمناكط بازاء ضريح الولي الصالح والقطب الواضح
شيخ الطريقة ابي عبد الله محمد بن سليمان الجزولي مؤلف دلائل الخيرات وذا
لك قبل ان ينقل الى مراكش ولما نقل الشيخ الجزولي الى مراكش على يد
ولده السلطان ابي العباس احمد الاعرج نقل السلطان المذكور اباه
ايضا ودفن بازاء ضريح الشيخ الجزولي حيث هو اليوم من مراكش وكان
سبب نقل الشيخ الجزولي ان عمرا المغيطي الشيظمي ويعرف بالسياف فل
ما بعد موت الشيخ مظهرا الطلب لثار الشيخ الجزولي ممن سمه لانه مات مسموما
ثم صار يدعو الناس الى نفسه واخرج الشيخ من قبره وصار يحمله امامه
تبركا به فبقي ينسبه الله تعالى اعدائه الى ان قتل عمر المذكور في قضية
طويلة فلما ولي الاشراف خافوا ان يثور آخر فيفعل مثل فعل عمر فنقلو
ه الى مراكش وقيل ان الحامل لهم على نقله انه ذكر لهم ان تميمة كانت
يتعلقون الجمع عليه يعمر نقله الى بلادهم والله اعلم وكان ذلك كله
في حدود الثلاثين وتسعماية

ذكر ابتداء دولة السلطان ابي

العباس احمد الاعرج رحمه الله

ولد رحمه الله كما ذكره ابن الغازي رحمه الله عن بعض الثقات عام وثلاثين عن عبد العزيز بن يعقوب الامير سنة اثنين وتسعين وثمانماية وبويع باشارة ابيه كان تقدم عام ثمانية عشر وتسعماية ولما توفي ابوه امعن في تحصير البلاد وافتقاد الاجناد وتعبية الجيوش الى الثغور وشن الغارات على العدو الكافر بتلمسان واسفي وكان النصارى قد تغلبوا على السواحل معمرين وجهزوا بشط البحر من كل جهة فاجلاهم من تلك النواحي وكثر تلك البقاع من مجاهديهم ويقال ان النصارى لما راوا فعل بني مرين بالسوس من القتل والسبي اخلوا ثغر افور ودباك الميلاد من غير قتال فصار مع جماعة من المسلمين وفيهم الشيخ ابو محمد عبد الله بن ساسي والشيخ ابو محمد عبد الله الكوش الى ثغر ازمور يحرسونه حتى يجتمع فيه من المسلمين ما يدفع بذا الكفرة ويزودوا عن بيضة الاسلام مخافة ان يرجع اليه العدو فبلغ الجميع ذلك وعن قدر الله ان العدو رجعوا اليه فاخذوا الجميع من هنالك واسروا الشيخين المذكورين الى ان افتديا ويقال ان الشيخ الكوش لما افتدي وعزم على الخروج وكان ملكا لافراة نصرانية فقالت له ان عندي كتبا من كتب المسلمين فخذها فجعلها الشيخ في قفة وحملها على راسه وكان من جملة تلك الكتب تنبيه الانام المعروف في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فكان ذلك اول دخوله لهذه البلاد على يد الشيخ المذكور ثم ان السلطان ابا العباس لما عظمت هيبته واشتهر في البلاد ذكره وملك ساير البلاد السوسية من عم الناس الفتنة وفقروا من كل جهة وكانت اقرانه متنافسين في ملك مراكش وجعلوا تحت طاعته فدخل مراكش في حدود الثلاثين وتسعماية ثم ان المرينيين بلغهم دخول الاشراف الى مراكش فاقبل في جموع عديدة مع وزيره ابي محمد المسعود بن الناصر فلما وصل السلطان ابو العباس قال له قبله يتحصن بمراكش ويحرز اسوارها وملا ملامن

(الوان)

أشهر صحيح عبد الله بن ساسي وهو عبد الله الكوش

الرقات ونهب الانعام ودام الحصار كذلك اياما فيحكى ان ذيل للشيخ العارف بالله القطب الكبير ابي محمد سيدي عبد الله الغزواني وكان اذ ذاك قد استوطن مراكش بعد ما وقع له مع بني وطاس من سجنه له وللامه وهو الذي لما توجه الى مراكش من فاس اخذ برنوسه مشيرا به في يده وصار يقول اشيدوا معي يا سلطنة ان اهل المدينة سيموا من الحصار فركب مع اصحابه وخرج من باب فاس المعروف بباب الشيخ ابي العباس السبتي فوجد رماة المرينيين يرمون من بالاسوار من اهل المدينة فوقف الشيخ بعينه بجماعة رماة وهم بنية في عدوه ومخرفة الجبة عليه والتصقت بالجسد وهاوت كالعصير كانما وقعت في مثم ماء فقبض الشيخ عليهما بيده وقال لهم خائنة حربهم فثم دخل الشيخ المدينة فورد ابنا على المرينيين في تلك الليلة بان اولاد عمه قاموا بفاس وقد بزوا عرته فاصبح راحلا عن مراكش وكتب معهم فقال الشيخ الغزواني ولم يعد المرينيون يحول لمراكش بعد الى قرب بلوغ لا حوازها بل كان السلطان ابو العباس يتلقى معهم بتادلة واحوازها وكانت بينهما معارك يطول ذكرها فانتهى الى ان وقع اللقاء في شهر الفطر من عام خمس وثلاثين وتسعماية فاجتمعوا على الهلاك ثم حرك الجمع المرينيون ايضا فالتقوا في غيبة بار عقبة ابي مشارع وادي العبيد فوقعت الهزيمة على المرينيين وكان ذلك يوم الجمعة ثامن صفر عام ثلاث واربعين ولما راوا الناس ما وقع بين السلطانين المرينيين وابي العباس الا عرج من التقاتل على الملك والقتال عليه وفناء الخلق بينهم دخلوا بينهم بالصلح والتراضي على قسمة البلاد وحضر لذلك جماعة من العلماء والصلحاء منهم سيدي عمر الخطاب بن جبل زمور وسيدي المجذوب المعروف بابي الرواين وكان رجلا مجذوبا فلما وانزعاج يجعل الناس يرمونه بالسكوت مخافة ان يعسر على الناس

شغلهم فلما دخلوا على السلطان أبي العباس وأخيه محمد الشيخ وأعلموهما
بأنهم قرؤوا الأجلة وجدوا فيهما بكاظة وغلظة وقلة مبالاة بذل الجاه وأشعلا
من السماعة على أن زاد السلطان محمد سيدي عمر الخطاب بأن دخلنا بأس ما دون
على وجه الأرض فلما خرجوا احتوى ما أن الشيخ بعزمه وكان بعضهم
يقول لو علم الناس بنو مرين شيئا ما تركوا سيدي عمر يبيت ولو يعودوا في تابوت
على الأعناق لأنه قال أما غضت على وجه الأرض **هكذا** ساق هذه
الحكاية صاحب كتاب ممتع الأسماع وذكر في شرح زهرة الشماريخ أن الصلح
انبرم بين الطائفتين على أن للأشراف من تادلة إلى السوس وللمرينيين
من تادلة إلى المغرب الأوسط وأن من حضر الصلح المذكور فاتح الجماعة بفاس
أبا الحسن علي بن هارون المطغري بالظاء مفتي تلمسان والإمام الشهير
أبا مالك عبد الواحد بن أحمد الونشريسي وغيرهما من مشايخ فاس وذكر
أنه لما تواطأت كلمة الحاضرين على الصلح وعقدوا شروطه وصدرت الدعوات
وسكن الجأش أتي بدواة وقرطاس لكتب الصلح بها ووضعت الدواة
بين أحد من الفقهاء الحاضرين فوجم وانقبض ودفعها عن نفسه ثم
استحياء في ذلك المحفل أن يكتب ما لا يناسب الجهتين فقام فاتح الجماعة
المذكور وأخذ الدواة وأسندها ووضعها بين يدي أبي مالك المذكور
فأنشأ أبو مالك المذكور في الحين خطبة بليغة الصلح ونسج الصلح
على منوال عجيب واخترع أسلوبا بديعا تحير فيه الحاضرون وعجبوا من ثبات
جأشه وهجومه فريدة في مثل ذلك المشهد العظيم الذي تخرس فيه
الألسن الفصحاء هيبة وإكبارا فقام فاتح الجماعة وقبله بين عينيه
وقال له جزاك الله عن المسلمين خيرا وما هي إلا بركتكم يا أبا مالك وكان
وكان ذلك كله في حدود الأربعين وتسعماية

ذكر الخبر عن وفاة السلطان أبي العباس

الأعرج

(في الهامش: الناس — غريبا)

الأعرج وسبب ذلك

كان أبو العباس رحمه الله من السلطنة وفخامة الدولة بالمحل الذي وصفناه قبل وكان
أخوه محمد الشيخ أصغر منه سنا تحت طاعته ورافعا عن إشارته وكان أبو العباس
يستشيره ويعاونه في مهمات الأمور وعظائم النوازل ويستظهر برأيه في كل المعارك
وكان الشيخ ثاقب الذهن نافذ البصيرة مصاب الرأي حازما في أموره وكانت كلمتهما
واحدة ورأيهما متفقا إلى أن دخل بينهما الوشاة فأفسدوا ما بينهما فأبشروا وانبعثت فلم
يهدءا وتبدل الأمر فيهما حتى أفضى بهما الحال إلى المقاتلة وأتى كل منهما بطائفة من
الجيش وتقاتلا مرة فتغلب الشيخ على أخيه أبي العباس ونزع من يده خاتم الملك وا
ستولى على جميع ما كان بيده من الذخائر والعدد وقبض عليه وسجنه هو وأولاده
بمراكش وكان يجري عليه الجرايات العظيمة ويعامله بأحسن معاملات **وكان**
ذلك سنة ست وأربعين وتسعماية فلم يزل أبو العباس في حكم الثقاف إلى أن
قتلت الأتراك بالسوس أخاه محمد الشيخ المذكور في أواخر الحجة من عام أربع
وستين وتسعماية فبلغ خبر مقتله لخليفته على مراكش الناظر علي بن أبي بكر أزيكي
بادر بقتل أبي العباس وأولاده ذكورا وإناثا وصبية جميعا خشية أن يخرجه
أهل مراكش من السجن فيبايعوه وكان ابن مخدومه أبو محمد عبد الله الغالب نا
ئبا خليفة أبيه بفاس وكان ولي عهد أبيه كما سيأتي إن شاء الله مستوفى
وذكر بعضهم أن الشيخ العارف بالله الولي الشهير سيدي أبا عمرو القسطلي
الأندلسي دخل على السلطان أبي العباس قبل أن ينزع الملك من يده فأ
غلظ له الشيخ في القول وواجهه بما يكره فلما خرج من عنده قال له بعض
لم لا قاربت وقال له كيف تواجه السلطان بهذا وحذره من وثبات الملوك
فقال له الشيخ أبو عمرو كيف أخاف من المذبوح والله إني لأرى الذبيحة
في عنقه من الأذن إلى الأذن والله إني لأجد جيفته قد نتن فيما أحد وكان
كذلك **فلما** قتل أبو العباس وأولاده لم يتجرأ أحد على دفنهم حتى فاح نتنهم

الشيخ ابو عمرو بعفيه من شيخ الشيخ الامام محمد بن سليمان الجزولي وهي الغيضة
التي فيها من شيخ الامام المذكور تسمى بغدير الاشراف وكانت مدة خلافة
ابي العباس اثنين وعشرين سنة قال ابن القاضي وكان بين قتله
وقتل الخبيث ثلاثة ايام وممن جاء به محمد بن علي الانكزاري الهلالي
ومحمد بن ابي زيد المنزاري وممن كتابه سعيد بن علي الجامعي رحمهم الله تعالى

ذكر الخبر عن ولده زيدان ابن ابي العباس الاعرج

قال صاحب درة الحجال اختلف هل بويع لزيدان بعد وفاة ابيه
ابي العباس ام لا وقال الشارح زمن المشارح كان ولده زيدان بسجلماسة
سنة بويع بها وبلغ بيعة لذا الامر وبويع سنة ستين وتسعمائة

ذكر الخبر عن دولة السلطان ابي عبد الله محمد الشيخ امير المؤمنين القائم بامر الله

كانت ولادته رحمه الله سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة ويلقب بافغاي
ومعناه بلغة البربر الشيخ ويلقب من الالقاب السلطانية بالمهدي ويلقب
بيعتين واحدة من الجهة ونشأ في عفاف وصيانة وعني بالعلم في صغره وتعلق
باهل العلم واخذ عن جماعة من الشيوخ وبلغ في العلم درجة الرسوخ حتى كان
يجالس الفقهاء في الاحكام ويرد عليهم فتاويهم ويحرر الجواب معهم ويقع
لهذا الامراء وله حواش على التجسيم وقد الامائل على غزارة علمه
وقال في المستغفري كان رحمه الله حافظا حدثني
شيخنا ابو زيد انه كان يتبع المجالسة والمذاكرة نقي الشيبة عظيم الهيبة
ما رايت مثل شيخي ابي الحسن علي بن هارون واجمع منه للمقطعات الشع
رية وكثيرا ما ينشد
الناس كالناس والايام واحدة والدهر كالدهر والدنيا لمن غلبا

وكان حافظا للغة والنحو حفظا جيدا ويحفظ ديوان المتنبي من كان من قبله حافظا
لصحيح البخاري ويتبختر بالناس عليه ويقول في شرح ابن حجر ما هنا في الا
شلا مثله عارفا بالتعبير وغيره وكان يحض على المشاورة ويقول الاسيما في شان
الملك وينشد قول الشاعر

وما جمعت نفسه فرد رد اغنيه منه فلا يرى

كان يقول ينبغي للملك ان يكون طويل الاملاق كان طول الانحصار بين غيره يعود
منه مالح الرعية بهم القلق وكان يقول من صلح امله اخذ للسعاد وسبيته
وغيره مما انتهى وفضله كان يحفظ ديوان المتنبي سببه ما رايته في الزهرة قال
اخبرني الوزير المعظم ابو عبد الله محمد بن المعظم بن الامير ابي محمد عبد
الغلاد ان السلطان ابي عبد الله الشريف محمد الشيخ قال المامون
قبيلة المغامة يحيى بيحيى السلطان المذكور وانجاه الله من غدر تم عرف
الشيخ ابا محمد بن عمر بن زال كتب اليه وهو يقول له اين انت من قول ابي الطيب
المتنبي

غاض الوفاء فما تلقاه من احد واعوز الصدق في الاخبار والقسم

قال ويقال السلطان المذكور على ديوان المتنبي حتى على بعد
بحفظه كله ولم يعزب عنه بيت واحد منه انتهى وابن عمر المذكور من احد
اشياخ السلطان ابي عبد الله ومن عبد الله بن عمر المضغري اخذ عن عبد الله
الغوري والونشريسي مؤلف المعيار وغيرهما وكان علامة حافظا توفي
ببلاد درعة سنة سبع وعشرين وتسعمائة قاله سيدي احمد بابا
في كفاية المحتاج والاعنز صاحب العوايد انه توفي سنة ثمان وخمسين وتسعما
ية ومواشبه بالصواب وكان ابن عمر شديد المحبة للسلطان ابي عبد الله
واخيه السلطان ابي العباس وتقدم في كلام صاحب الزهرة ان بسببه
كانت دعوتهما وفد ابن عمر لسوس على تلميذه السلطان ابي عبد الله

اللهم صل على سيدنا ومولانا محمد وآله

مراراً قــال البرزلي في الفوايد اخبرني ابو محمد عبد الله بن الجبار
الاقاميني قال سمعت ابن قاضي الفاضل ابا عمران العبدوسي يقول لما رجع ابي
عمر المذكور من قابس قدمت الحج رجعت مالا دفعنا وعادي امثال الشرقيين فقال الشيخ
وجدت فقهاءهم على مذهب العتابي وبقراءتهم على كتب الرعاوي
وعامتهم على كتب المساوي اشهر ومن فوائد ابن عمر المذكور انه سئل
عن وزن النبي صلى الله عليه وسلم فاجاب بانه وعليه
السلام معشر السادات ورحمة الله وبركاته وفيه
يقرا التمرنا على مقدار الطاع النبوي فاقول والله تعالى التوفيق مبلغ
علمنا واخرنا بما مع كون الحبة الى من ازاد مع فيه تحقيقا وسع فيه مقدار
عيانا بليغا من حبوب الشعير الوسط المقطوعات الاطراف اربعة
وثلاثين الف حبة وسبعمائة حبة وثلاث اخماس الحبة لان الرطل مائة
وثمانية وعشرون درهما بالدرهم السنى والدرهم السنى خمسون وخمسا
حبة فعمى ما بين المد اربع مرات تكون الجملة فاذكرنا في الطاع والا
نقاء واما المجاز بهذا العمل الذي لما جيئت من قابس المحروسة بالمد والصاع
ومنه بعد لقيت شيخنا الفقيه الجليل ابا علي الحسن بن عثمان بن عبد الله
التاملي فقال مثل لا قيتنا من قابس بصاع النبي صلى الله عليه وسلم
ومده فقال فدلا تيت بهما وبالنصف ففرح بذلك فرحا بليغا وقال على
بما فعلت لصاحب اخرجهما من حق اخرجهما فلما زاع اليهما
فمع كالمستهزئ فقال ورب الكعبة ما جيئت بمد ولا صاع على النبي صلى الله
عليه وسلم فزعلهما ابيهما غلطا متبعا حشا فكانه استكبرهما وكنت اذ ذاك
معتقدا باسا وامله فقلت له اتق الله ايها السيد كيف تنسب الغلط الى
قرينة الاسلام والمسلمين وهذا القبيح فيهما وقد جعلوا العالم النحرير
على الحرير قبلا يعرفون ما عدا ولا مراحتى ينزل كما بعد فيه بعد افتتاحه

دوان

١٤

فقال في رد الى بالك منار غلطهما انهم اعمدوا واقوال الفقهاء فوق الفقهاء بني
الموحدين وكان ثلث بوزنهما من الاشياء الخفيفة ارايت لو وزنهما
من التبر لكان اكبر واكثر وخضم لو فوله برجعت الى طلب التخفيف فاعتمدت
فيما ذكرت على ما ذكره ابو راشد الفقيه والصاع الذي جيئت به من قابس
في مليه ثمان عشر قبضة وما هذا اثنى عشر قبضة بينهما من الثلث بمن اراد
الاحتياط فليخرج زكاة الفطر ويعتبر بلوغ النصاب بالاصغر انتهى
ومن اشياخ السلطان ابي عبد الله ايضا الامام الشهير الصدر الكبير شيخ
الجماعة بالصقع السوسي ابو علي الحسن بن عثمان التملي وقد ذكره في المنتقى
وكان على ما ذكره من حافظا مثابرا على التعليم مجانبا للراحة كثير الصوم والتدريس
والعبادة وكان اذا غلب عليه التدريس النوم يضع راسه على حجر لتو
ذلك فمسوحة الحجر فلا يستغرق النوم ويطول في مجلسه تدريسه حتى كان
قد يقرا عليه في المجلس الواحد اربع عشرة ولقد كان ماضيا التوضيح خليل
لكثرة ملازمته في النسخ والتدريس يقال انه نسخه اربع عشرة مرة وكان
خير كونه بفاس فيعيش بنسخه وفتح الرسالة قــال ابن غازي
بعد سنده حدثني بذلك كله ابن اخيه الثقة المشارك النجيب النابه
الصالح ابو الحسن علي بن سليمان بن عبد الله بن سليمان عثمان اعانه الله
الله على ما هو بصدده من الاخذ بايدي المسلمين انتهى وكان
ابو علي رحل الى فاس فافاد بها مدة واخذ عنه جماعة كالامام الونشريسي
وغيره في المنتقى قال حدثني ابو راشد انه لما
اكمل على ابن غازي قراءته واراد الرجوع لوطنه جاء للشيخ ليودعه
فاخذ الشيخ ابن غازي بيده اليمنى وقال له استودع الله دينك وامانتك
وخواتيم عملك ثم الشيخ ابن غازي بعد ذلك الا في اجزاءت فاس
الى ولدنا الا ناثا وعندنا تاويل وجعلوا له من عباده جزء الثمن واملى

بقوار

بالاكبر

مؤلف العيار والاملاء ابن غازي بهما في ربع المليون سبعين وثمان مائة
قبيحة الونشريسي

قال

معوار المون الطاع النبوي

وعشر

سوس اعتناء عظيم بفتاويه رحمه الله **وقد افتى** باباحة ما عجن بالزيت منه وخالفه بعض اهل عصره حسبما في نوازل ابي مهدي السكتاني ومن بعض اجوبته فانظره احباس المسجد تزكى على ملك المحبس فان حبس واحد فانه يزكى النصاب زكى وان احدا قلا سوا حبس على مصالح المسجد او المعلم لغو لهم بالمعتبر الجملة اي جملة ما حبس واحد لا جملة احباس المسجد واما ما اشترى بالغلات فلا يزكى لانها لم تكن ملكا للمحبس والمسجد غير مكلف والمحبس من اموات غير مكلفين وينبغي النظر فيما اذا كان المحبس حيا انتهى **وتوفي رحمه الله** كثيرا توفي سنة اثنين وثلاثين وتسعمائة وينبغي ان ينظر فيما اذا كان **ومن اشياخ** السلطان ابي عبد الله ايضا الامام العلامة المحقق ابو عبد الله محمد بن احمد اليستيني اخذ عنه علوما منها التعبير **قال المنجور** قد كنت انا قارئه بين يدي امير المؤمنين العالم العابد الغازي المجاهد ابي عبد الله المذكور وكان شديد المحبة له **قال** المنجور ولما توفي الشيخ ذهبت مع ولده صبيحة تلك الليلة التي توفي فيها لنخبر السلطان بوفاته فوجدناه يبغي الورد مع جماعة المريني فخرج السلطان الينا فنعيناه له بصوت عال فبكى من سمعه حتى رأينا فيه العجب وما سكت الا بعد مدة لما كان يعلم منه من محبة الدين والنصح لخاصة المسلمين وعامتهم وحضر جنازته توفي رحمه الله عام تسعة وخمسين والسلطان رحمه الله عدة اشياخ وفيما ذكرناه كفاية والله اعلم

فصل في الخبر عن بيعة السلطان ابي عبد الله وتمهيد البلاد

قال في درة السلوك كانت بيعة ابي عبد الله الشيخ بعد كسره سنة احدى وخمسين وتسعمائة فاستولى على البلاد التي كانت بيده وبيد اخيه المخلوع من اقاليم تادلة وواد نول ثم تحركت بيد الهمة السلطانية والشهامة الهاشمية

وطمع بعد الزيادة في مملكته وسما الى التوغل في بلاد ابي الغرب وفرانه بتوجه الى مقاتلة بقايا بني مرين وفكك ما بينه وبينهم من الصلح المتقدم جرموا منه بن احمد بعد ما وقعت عليهم طاعة بعد ما **وقطر** بتسليم ملكهم وما بأيديهم بما اتاح الله له من النصر الى ان استولى على ما بأيديهم واول ما ملك من بلاد الغرب مدينة مكناسة افتتحها بعد خمس وخمسين وتسعمائة بعد حصار ومقاتلة **قال صاحب الدوحة** ولما تغلب على مكناسة والح بالطالبة على فاس جاءه الشيخ ابو الرواين وقال له اشتر مني فاسا بخمسمائة دينار فقال السلطان ما انزل الله بهذا من سلطان هذا شيء لم تأت به الشريعة فقال والله لا دخلتها من هذه السنة فبقي اشهرا وان عمر لا يزيد عليه الا تعبا فقال الامير ابو عبد الله محمد عبد القادر ولد الامير المذكور يا ابت افعل ما قال لك الشيخ ابو الرواين فانه رجل مبارك من اولياء الله تعالى وما زال به كذلك حتى اذن له في الكلام معه وكلمه الامير عبد القادر وقال له ادفع المال فوعده له فقال له عند تمام السنة ان شاء الله يقضي الله الحاجة وافرد بالفوز سبحانه **ثم** ان الشيخ ابا الرواين فرق المال من يومه لم يبق لنفسه منه حبة ولا ذرة ومن ذلك اليوم والسلطان المذكور في الحصار الى ان تمت السنة فدخل فاسا كما قال انتهى **قال صاحب ممتع الاسماع** والشيخ ابو الرواين هو كان احد الاسباب في تمكين السلطان المذكور من الملك واخراج بني مرين منه فانه لما رأى مرج الناس وهيجان النصارى على الاسلام وجعل ينادي ربا هران حج فاني اعطيته الغرب والحراز مع احمد ولد السلطان صاحب الترجمة وهو الذي كان يتعرض للحروب ولم يفتح والده من البلاد الا ما فتح له على يده ثم ان الشيخ ابا الرواين تعرض له فقال مرة بعض الا كلاب من اهل فاس بن علي بني مرين فيلعمو الشيخ ابو محمد عبد الواحد الزعري **وقيل**

من الشيخ احمد ابو العباس الشامير الصنهاجي احد اولاد مصباح سلالة
الاولياء ركب بغلته وذهب الى البلد فلما بلغ داره وجد بابها ولد الدار فقال يا عم
ابا الزواين اعطيني هذه البغلة فقال هي لك ونزل عنها ومكنه منها فرحل
الى الشيخ والركوا علمه بخروج فقال له بعد السلام ما هي تلك البلغة فقال له
ان تروع بيرداعر صلا في بلاد الناس فعتق بني مرين قال له قد ربعتها وبثل
من تقدم ثم الشيخ ابي محمد عبد الله الغزواني **ومن حوادث الشيخ**
ابي الحسن علي الصنهاجي انه كان يوما ينادي بسطح الصباغين من فاس اخر
جمعة ابلغ يا بني مرين والله ما بقي لكم ببلادنا الا شي **وكان دخول**
فان السلطان الشيخ الى فاس سنة ست وخمسين وتسعمائة
ابن الغازي بن شرح درة السلوك واقف من التاريخ لما دخل مدينة فاس من
الغرب بلدة سوس بسبب الحمل انشد ومما ملك فاس وحل بباب الفتوح دار ملكها
عصر التيسار جيء به الهمة العالية الى تلمسان الى ما نظر في بجموع عديدة
قتلهما ونفي عنها الاتراك وانتشر حكمه في اعمالها ونواحيها الى واد شلف
وكان دخوله لتلمسان يوم الاثنين الثالث والعشرين من جمادى الاولى عام
سبعة وخمسين وتسعمائة ثم رجع الى فاس وقد اتسقت له مملكة المغرب
ودانت له البلاد كلها واشتغل بترتيب ديوان الملك وتحسين اشارة السلطنة
وضبط امور الخدم والعبيد **ويقال انه لما دخل فاس** دخلتها
وعليه وعلى اصحابه الخرقات الصوف وسمة البداوة لا نجد عليهم مجلوا
انفسهم على التاذب بآداب الحاضرة والتحلي باخلاق المدينة **ومن ذكر**
ان ملك الاشراف ياتي على يدي رجل وامراة الرجل فابيسم الزرهوني فانه علم
للسلطان محمد الشيخ عشية السلطة بما بسم ودخولهم وحزب جعهم
واداب العلائم وكيفية مثولهم بين يديه والمراة العربية بنت عجوا فانها
علمته سير الملك بجداره وجالسته في الطعام واللباس وعاداته وقد مع النساء

أعلى

وعظمي اليك فاكتسب ملك الشيخ بذلك كله وزاد في عيون العامة جلالة
بسبب جرايانه على الفوائد الجمة بما ان اهل البلاد في مستنزل ودا اعين اهل
الحاضرة فلم يزل السلطان ابو عبد الله يدور على مدن اهل المغرب وجبال الافاقة
بفاس الى ان ورد عليه ابو حسون من تلمسان واخرجه من فاس والله غالب
على امره

ذكر الخبر عن دخول ابي حسون المريني فاس واخراجه ابا عبد الله محمد الشيخ

منها كان ابو الحسن المعروف بابي حسون القاسم بن الشيخ بن ابي زكري
المريني الوطاسي حين اخرجه الشيخ ابو عبد الله الشيخ من دار ملكه فاس
وقتل الملك الذي ذكرناه قبل مستوبين برهتوجها الى الجزاير يحتنا الترك وطلب
الاعانة فلم يزل اعمر قر الجزاير يقتل لهم بني الغارب والسنان ويحسن لهم
بلاد المغرب ويعظمها في اعينهم ويقول ان ملكها اليوم استلب ملكي وملك
آبائي وغلبني على تراث اجدادي فلو ذهبتم معي الى قتاله عسى الله ان
يتيح لنا النصر عليه ويرزقنا الظفر به والغلبة عليه ولا تعرفوا واقسم
مع ذلك منبعه من ملك اثريكم غنايم وذخائر واعدهم بالجزيل
فاقبلوا معه بجيش جهيل وباشتهم صالح التركماني الى ان دخلوا فاسا
وخرجهم منها ابو عبد الله صاروا بعد حروب عظيمة ومعارك شديدة
وكان دخول ابي حسون لفاس ثالث صفر من سنة احدى وستين
ولما دخل فرح به اهلها فرحا شديدا وترجل من غير فرسه
وكان يعانق الناس كبيرا وصغيرا وشريفا ومشروفا وهو يبكي على ما
عمد وقال ينقذ من قتل الاشراف واستبشر الناس بقدومه وتيمنوا بطلعته
ولم يلبث ابو حسون ان ايسر اكثرت عليه شكاية الناس له بالاتراك
وانهم مدوا ايديهم للحريم وعشوا في البلاد فسادا ربيع ما اتفق معهم عليه
من المال ثم واخرجهم من فاس وتخلف منهم نفر يسير ثم ان ابا عبد الله

المنزل لما استغرق اكثر بعد الكاينة عليهم وبعثه للاستنفار للغزا بالوتعهة
الاجناد والخلائل فلما اقبل جمع له من الجيوش ما تقوى به عضده وبتو
جه بهم الى فاس فخرج له ابو حسون في زناتة بفاس وما انضاف اليه من جيش
الغرب وكانت الواقعة على ابي حسون فتحصن بفاس وحاصرها فلم يزل
ابو عبد الله محاصرا الى ان قتل ابو حسون وافتتح فاس وكانت الواقعة
بينهما بموضع يقال له البسملة وقتل ابو حسون ودخل السلطان ابو عبد
الله فاس يوم السبت الرابع والعشرين من شوال عام واحد وستين كما
ذكره بعضهم والذي عند صاحب الدوحة ان دخول ابي حسون لفا
س كان سنة ستين وان رجوع السلطان ابي عبد الله ودخوله لفاس كان
بعد الفجر من سنة ستين وابو حسون المذكور هو علي بن محمد بن محمد بن
ابي زكري الوطاسي وكان بويع بفاس سنة اثنين وثلاثين وتسعماية ثم
قدم عليهم ولد اخيه احمد بن محمد فخلعه واستمر عليه بخلعه وبويع احمد يوم خلع
ابي حسون آخر ذي الحجة من السنة المذكورة قال ابن القاضي
وقد رايت البيعة التي كتبت له بخط الامام عبد الواحد الونشريسي وفي
انشائه وعليها خطوط جماعة من فقهاء فاس كابي العباس الحباك والفقيه
المواسي احمد وغيرهما انتهى وانظر ما وجه كتبه البيعة لاحمد مع ان
خلع ابي حسون لم يكن لموجب والونشريسي لم يكن من اهل الورع كما ستر
اه عن قريب ولعله لا قدرة لهم لنا والله اعلم ولم يزل السلطان احمد متما
ديا على الملك الى ان اسره السلطان ابو عبد الله ودخل فاس بعد ابو
حسون للجزاير وتقبض السلطان ابو عبد الله على الوطاسيين وبعث بهم
صحبة بنيه لمراكش ثم غدر بهم فيما قيل بعد ان الحم العجة عنهم وسرح
السلطان احمد من ثقافه والله غالب على امره وفي دخلة السلطان ابي
عبد الله الثانية امر بقتل الفقيه الصالح قاضي الجماعة بفاس ابي محمد عبد

لطاس

الرهان

الوهاب بن محمد الزقاق لانه اتهمه بالميل الى ابي حسون ويحكى انه لما امر بذبحه
قال له اختم بالرشد وتموت قال له الفقيه اخترت لنفسك فان الحرز وقول با
قتلته فقال الشيخ السلطان اقطعوا راسه بشاقور وكان من قدر الله سبحانه
ان السلطان قتل ايضا كما سيأتي بعد ذلك من كان من براسات الفقيه محمد وكان
ابو محمد وفيما اشار وكان وقعت بينه وبين عصرييه امام اليستني منازعة
في مسالة خلف الوعيد من الله فزعم ابو محمد انه يصح من الله تعالى الخلف في
الوعيد وخالفه اليستني والف كل منهما في المسالة والصواب مع اليستني وكان
قتل ابي محمد بعد الفجر من عام واحد وستين وتسعماية وفي هذه
الرحلة ايضا امر بقتل خطيب مكناسة الزيتون الشيخ ابي علي حرزوز المكنا
سي لكلام بلغه عنه وانه كان يذكره في خطبته ويحذر الناس من اتباعه والا
نقياد له ويقول في خطبته جاءكم من سوس الاقحط البعاد واذا تولى سعى
في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد واذا قيل
له اتق الله اخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبيس المهاد في كلام آخر
اتفق لعله فقتلوه رحمه الله في ذي القعدة من السنة المذكورة وفي
الدوحة ان سيدي ابا الرواين بعث لابي علي حرزوز وهو يقول الشعر
في مسجده فلم يكترث بكلامه فقال ابو الرواين للرسول ارجع اليه وقل
له سيقتلك محمد و ولده وتعلقان على باب داره في الغرب فبلغ ذلك
الفقيه ابا علي فذهب منه على حسن الشيخ ابا الرواين فقال يا مجنون ما
هذا الذي تقول فقال له مقوة صدرتا ومشيه سبقتنا فقال له يا جاهل
تقوله فقال لا يكون الا ما كان ثم تراخى الامر مدة من ثلاثة اشهر فكان
الامر كما قال انتهى ويحكى ثانيا عن مكناسة ان ولد ابي علي
كان يوما جالسا بباب داره وكان في الطريق كبير جاء ابو الرواين وعليه
ثياب رثة كانه ذاهب لصلاة الجمعة فقال لولد ابي علي ان كنت تحب

وفيه مسالة خلف الوعيد من الله تعالى عما لا يليق بجلاله وجماله

الله فيفرغ في هذا القبر فجعل يفرغ فيه ما قدر له الله ثم قام فقال له افتحت قال نعم
فقال له فكذا تفرغ انت وابوك في الحرير فكان كما قال وقد قتل السلطان ايضا ابو عبد
الله قبل دخلته لأولى العباس الامام المفتي الخطيب ابا محمد عبد الواحد بن احمد الو
نشريسي فانه لما الح بالمطالبة لاخذ فاس وصعب عليه امرها قيل له لا سبيل
لك اليها ولا يتأتى لك امتلاكها الا اذا بايعك الونشريسي فبعث اليه ورغبه فقال له
بيعة هذا السلطان يعني ابا العباس احمد الوطاسي في رقبتي ولا يحل لي خلع بيعتها
الا لموجب شرعي وهو غير موجود فلما امتنع ابن الونشريسي من الاجابة امر
السلطان جماعة من المتلصصين ان ياتوا به من فاس ويخرجوه له بكانون ففعلوا واتوه
وراودوه ليذهب معهم فلما امتنع من الذهاب معهم قتلوه **وذكر** بعضهم
ان السلطان ابا عبد الله كتب لاهل فاس وهو يقول لهم ان دخلت فاسا صلحا امنت
على الله وان دخلتها عنوة ملاتها قتلا فاجابه ابن الونشريسي بابيات اغلظ له
فيها واولها

كذبت وبيت الله لا تحسن العدلا ولا خصلة المزلى بفضل ولا ولى

فاختر ما عليه السلطان وامر بقتله **وحكى** انه كان يقرا صحيح البخاري بين
العشاءين بجامع القرويين ويتقلد عليه كلام ابن حجر وفتح الباري عليه ويستوفيه
لانه شرح المختصر فقال له يا ابت سمعت ان اللصوص ارادوا الفتك بك الليلة
في مجلسك فلو تاخرت عن القراءة من الليلة فقال له يا بني وقعنا في القراءة من
البخاري فقال له دولي على كتاب الغدر فقال له كيف نغدر عن القراءة انطلق
بنا للميعاد فلما افترق المجلس خرج الشيخ من باب الشماعين احد ابواب الم
سجد المذكور فثار عليه اللصوص وارادوا اهلاكه واراد اخذ بعضادة باب
المسجد فضرب احدهم يده فقطعها ثم اجهزوا عليه رحمه الله هنالك بباب
المسجد في ذي الحجة سنة خمس وخمسين **قال المجهول** وقد درسته
وانشد عن الفقيه الصالح ابي عبد الله بن ابراهيم المدعو بابن شامة انه رآ

قوله وولاة الصلاح الموضع ... وموضع به

المذكور

هذا

هذا الشيخ في المنام بعد مقتله فسأله عن حاله وما فعل الله به فانشد يقول

لقد نلت رضوان ربي وفضله ولم ازل الحق في وحشة القبر
وانالا سالا له بفضله ليجمعني يوم الخروج الى الحشر
وما بعد ما لي من امور عويصة كنشر الكتاب والجواز على الجسر
بجاه النبي الهاشمي محمد واصحابه والآل ذي الشرف الغر

وكان ابو محمد الونشريسي اماما وفقيها متراميا صحيح الدين كبير الورع مهيبا
ذا سمت حسن وحال مستحسن فصيح العبارة متقدما على اهل عصره في صناعة
الانشاء وعقد الشروط والوثائق **وبها** زوجه ابو الامام الكبير مؤلف الكتب
المعيار وهو شاب واغترس الحلو الفقيه المفتي القاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الله
اليفرني المكناسي مؤلف المجالس المكناسية ترك على الشهادة وقال ابي فيه مقالة
مرتبة لهذا العصر يعني الشهادة وكانت خطة الشهادة عندهم عزيزة ومزية
كبيرة حتى كان يقول من طلبها منه كانما طلب الى ابنته واصاب في ذلك لا تعظ
القضاة كان يقول للشهود انتم القضاة ونحن المنفذون فخرج ابو محمد من الاعراس
الى الشهادة في العدالة ثم امتحن بالجدال الى ان ولي القضاء بفاس مدة
نحو من ثلاث عشرة سنة ثم تخلى عنه الى الفتوى بعد موت الشيخ ابن هارون
وكان شاعرا مجيدا له ازجال وموشحات مع رقة طبع واهتزاز عند سماع الالحان
وآلة الطرب لاعتدال مزاجه وقوام طبعه **قال المجهول** ومن رقته
وكاتبه انه كان يدرس يوما فرع ابن الحاجب بالمسجد المعلق برحبة الزبيب
فاجتازت من هنالك عمارية مصحوبة بطرب من زمارة واطبال وابوافات
فاخرج الشيخ راسه من الطاق فامضى الى ذلك وقال اما تاتي هذا الطرب
منه العمارية حتى انتفعوا فيه قال انك تعتذر ونحن نسمعه مجانا فكيف لا نفعل ولما
توفي ابوه قيل انه لا يحسن دروس ابيه فجلس على كرسي ابيه بالمدرسة المصبا
حية لتدريس المدونة وحشر الناس يختبرون **وحضر** الامام ابن غازي فاجاد

في معرفة وذكاء ابي محمد الونشريسي

كما ينبغي فاعجب الامام ابن غازي وقبله بين عينيه وقال له لو لم تحصل الدرس لفت
مقاتلته حتى تحسنه وتاخذ منه ترتيبا حسنا لما كان بين ابن غازي وبين والده من الصداقة
وكان يجمع بمجلسه اعيان الطلبة كالشيخ ابن مجبر المساري صاحب حاشية المكودي
والزقاق وغيرهما ونظم ايضاح المسالك لابيه وزاد عليه وشرحه ومن شعره قوله
في تاريخ قنطرة الذهبية لما جددها السلطان ابو العباس الوطاسي

جدد الذهبية ابو العباس جددها بحر السلاطين من ابناء وطاس
فجاء في غاية الاتقان مرتفعا لمن يريد من عز ونور فاس
وكان تاريخه في نص عام غنى من هجرة المصطفى المبعوث للناس

وكان السلطان الوطاسي المذكور واقفا عند اشارة ابي محمد الونشريسي لا يتعدى
رايه ولا يخالف امره كما وقع له معه في مسالة رجل اسلامي يعرف بعبد الرحمن النجيرر
وكان تاجرا جماعا للمال فشهد عليه في حكاية طويلة اربعون رجلا من العدول
المبرزين باستغراق ذمته فاخذه السلطان وقتله وصير سائر امواله لبيت مال المسلمين
فرغب اولاد المذكور من السلطان ان يرد والدهم عشرين الف دينار ويسقط عنهم
بقية الاستغراق ويرد اليهم املاكهم فقال السلطان لحاجبه للشيخ عبد الواحد
الونشريسي وشاوره في ذلك وعرفه باني في الحاجة الى هذا المال لاجل منعه الح
كذ فذهب الحاجب اليه واخبره بمقالة السلطان ورغبته في قبول ذلك فقال له الشيخ
والله لا افعل اللهم اشهد ان اربعين رجلا من عدول المسلمين لاجل سلطنتك
اذهب له وقل له اني لا اوافق على ذلك ولا ازيد فرجع الحاجب للسلطان
واخبره بمقال الشيخ فرجع السلطان عما عزم عليه **وقضيته**
مع ما جرى له معه ايضا وذلك ان الناس خرجوا يوم العيد للصلاة وانتظروا
السلطان فابطا عليهم ولم ياتي الى ان خرج وقت الصلاة وحينئذ اقبل السلطان
في ابهته فلما وصل السلطان للمصلى نهض الشيخ الونشريسي من مكانه فرقي في
المنبر وقال يا معشر المسلمين عظم الله اجركم في صلاة العيد وقد عادت كمثرا

ثم

ع الوطاسي
ع اذهب
اي مجير
ع لم يوقت

١٩

ثم امر المؤذن باقامة الصلاة وصلى بالناس صلاة الظهر فخجل السلطان
واعترف بخطيئته رحمه الله **و**اخبار ابي محمد الونشريسي كثيرة وفي هذا القدر الذي
ذكرناه كفاية والله اعلم

ذكر الخبر عن خاتمة دولة السلطان ابي عبد الله محمد الشيخ وانقشاع ايالته

لما افتتح ابو عبد الله مدينة فاس واستولى عليها انسقت له مملكة المغرب من
باب تلمسان الى تخوم الصحراء ودانت له الرقاب واجتمعت عليه الكلمة **وكان**
قد استولى على تلمسان واعمالها الى وادي شلف وكان دخوله تلمسان يوم الاثنين
الثالث والعشرين من جمادى الاولى سنة سبع وخمسين وتسعمائة كما تقدم بعد ان كان
اقام لما حاصرها تسعة اشهر وقاتل في محاصرتها ولقي الحروب ثم تراجعت الترك
واخرجوه من تلمسان وانقضى عنهم للمغرب الى ان عاود الحرب اليهم عام
سبع وستين فمات بالغدر قبل اقدامه على الترك وانحياز الترك بعضهم وقام وهو
بها عليهم ايا ما ثم رجع ولم يدخلها عليهم **قال** ابن القاضي رحمه
الله كان ماكرا فقيها قوي الشكيمة عظيم الهيبة كثير الحركة ذو همة عالية وشهامة
غالية حتى تغرقوا عنه الملوك واستقبلوا بما احيى من اسم الخلافة المراد
سنة ومعالمها الطامسة وكان له سعد وبخت عظيم في الجهاد وبين يديه في ابي
سلام فتح حصن النصارى بسوس بغربي افلام النصارى فيه اثنين وسبعين
سنة **وكان** منصورا بالرعب حتى تركوا له اسفي وازمور من غير قتال
ولا ايجاف عليهم واهيلة الثمن **وتقدم** في كلامنا ما يدل
من ابن ترجمة ابن عرج **و**كان نزول النصارى باقوز سنة ربعة عشر وتسعمائة
وفي هذه السنة بنى النصارى حجر بادس **وفي اواخر المحرم** منها اخذ
النصارى مدينة وهران وتكلب اهلها بما فيهم ابن اسي وقتيل الى ان اعاجم
السلطان على تراب نزاله بين حدود العشرين ومائة والف

ذكر الخبر عن أولاد السلطان أبي عبد الله وسمة نجابتهم وفضائلهم

كان رحمه الله عدة أولاد نجباء أنجبهم مولاي محمد المعروف بالحران وهو الذي كان يتعرض للحروب ولم يعتج لأبيه من البلاد إلا ما فتح على يديه وهو الذي كان ينادي به سيدي أبو الرواين ويقول قبل أن يكون للأشراف ذكر يا حران جيء فإن في أغشية الغرب بلغ يعقد الناس قوله إلى أن حضر مولاي الحران **ومنهم** الوزير أبو محمد عبد القادر توفي سنة تسع وخمسين **وأبو محمد عبد الله** الغالب **و**أبو مروان عبد المالك الغازي **و**أحمد المنصور **و**عثمان **و**عبد المومن **و**عمر وغيرهم **قال المنصور في مجلس له** حضرت يوما بمجلس مولانا أمير المومنين أبي عبد الله وقد حضر عنده أولاده الكنائد من الأمراء مولانا محمد الحران **و**مولانا عبد القادر ومولانا عبد الله ومن جاء تنجلي إمام العالم أبو عبد الله اليستني فلما نظر إلى بنيه حوله إليهم أنشد بيت تلميم المتنبي

فبغلته عشرا وتسعة نبيه كأنما بنيه حوله الأسود الحوادر

فيا عجبا ذاك السلطان وأولاده رحمة الله عليهم **وأما حجابه** فمنهم علي بن أبي بكر أزيكي الحاحي **و**موسى بن بوجمادة العمري وغيرهم وأما قضاته فبفاس أبو الحسن علي بن هارون المطغري **و**بمراكش أبو الحسن علي ابن أبي بكر السجتاني

ذكر الخبر عن سيرته رحمه الله ولمع من سياسته

كان رحمه الله شديد التولع بأمر الرعية مستيقظا في مسائله حازما غير متوقف في الرقاء وهو أول من استخرج في المغرب الضريبة المسماة على الألسنة العامة بالنايبة **و**فرض على الناس المغارم والمطالب وكان لا يميز

عنها

عنها أخذ احتسابها فذكر ابن عسكر في الدوحة المشتهر في ترجمة سيدي خالد المصمودي وأنه زمانا حتى على أولاد سيدي خالد المذكور وقع المائتين والشيء بالرواية بالعنائة الحريد في تلك البلاد **وحسبك أن مولاي أن سيدي خالد** الثعابية إلى الآن أنه كتب في حجر بالعجة لا إله إلا الله فأثر في الحجر وانقش فيه كلما نقش في شمع وما نزله السلطان عنها أولاده حتى حضرت له مع إثبات كرامة ذكرها في الدوحة فراجعه **وقد وقفت على رسالة** كتب بها السلطان أبو العباس أحمد بن المنصور للشيخ أبي زكرياء يحيى ابن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحاحي وكان من فصولها ما معربه وتحن غلام لكم الكلام على بعض ما قرره الناس في الخراج **أصل** ما بنوا عليه فرضه في أول الإسلام والزول العظام فلا تطول به لشهرته **وأما** في المغرب فحصوله بأول من فرضه عبد المومن بن علي وجعله على أقطاع الأرض بناء على أن المغرب فتح عنوة وإليه ذهب بعض العلماء **ومنهم** من يقول أن الشمال فتح عنوة والجبل فتح صلحا فإذا تقرر هذا وعلمت أن أملاك الغم فريادوا وانقرضوا وبقي الشمال كله رقبة لبيت المال تعين أن يكون الخراج فيه على ما يرضى صاحب الأرض وهو السلطان والجبل تعذر وعرفنا كان الصلح عليه ولا سبيل إلى الوقوف عليه فيرجع فيه للاجتهاد **و**قد اجتمع سلفنا الكرام في فرضه لأول الدولة الشريفة على حسب ومن السنة ومشايخ أهل العلم والدين في ذلك العصر فجرى الأمر على السنن القويم إلى أن تمرأى مبتدعوا معاوية ابن عمنا صاحب الجبل وأخ القمر مولانا الأمير وهو العزوم على حوائج الغرب وسلك عبد الرحمن بالانتزاء وامترت بها الفتنة في الجبل إلى أن ملك مع النصارى في الغزوة الشهيرة وجاء فتح الله من مولانا المنصور بالجبل العالي للإسلام من كوكب الأحوال فرر رضي الله

الخراج وما أول من ضربه

آية

أول العشر

أول الصلح

عنه الاشياخ فقد صاروا اليوم بسبب تلك العوائد قد ضعفوا بواحد لا تتقا
عدوا او عن ظهيا من التراك الدول الطاغية فان ظهر رحمه الله الى الاستكثار
من الاجناد لمقاومة الاعداء والذب عن الدين وحماية ثغور الاسلام
فدعى ذلك الاجناد الى تضاعف العطا وتضاعف العطا الى تضا
عف الخراج وتضاعف الى الاجحاف بالرعية امر يستشكله رضي الله
عنه من ارتكابه ولا يرضاه في سيرة عدله طول ايامه فلم يتوجه عنده
الا امعان النظر في اصل الخراج فوجد سبب السعر الذي بني عليه في قيمة الز
رع والسمن والكبش الخ تعطي الرعية من زمن العدل وبين سعر الوقت ابعا
د بعيد فتحرى رحمه الله العدل فخير الرعية بين دفع كل شيء بوجهه او دفع
ما يساوي بسعر الوقت فاختاروا السعر مخافة ان يطلع الى ما هو اكثر فسما
ع عمهم اليه رضي الله عنه وعرف الناس الحق فلم ينكر احد من اهل الدين
ولا من اهل السياسة **ليت شعري** لو طلبنا نحن الرعية اليوم بسعر
الوقت الذي يطلع الى اضعاف مضاعفة اليوم فماذا تقولون **و** قد انقرضتم
علينا ما هو اخف من ذلك **والحاصل** ارجعوا رضي الله عنكم
ما عند الامام الماوردي في الاحكام السلطانية في ضرب الخراج فوجدا استو
فى الكلام عليها في ذلك انتهى نص المحتاج اليه من تلك الرسالة وكانت
مدة النائبة في زمن السلطان ابي عبد الله تعرض على الكوانين وتوخذ
على حسب السكان ويعرض الشيء اليسير في ذلك وجرى على ذا الدولة
السلطان الغالب **و** اخوه بعده السلطان المعتصم **ثم** اشتد امرها
في ايام المنصور وتفاقم الحال بعده **و** قد وقفت على رسالة كتبها
السلطان ابو مروان عبد الملك الغازي لاخيه المنصور يامره بعرض
مونة محلته على بعض القبايل **ومنها** تعلم خبرة اهل قدر
في زمانه **ونصها** من عبد الله المعتصم بالله المجاهد في سبيل الله

وعزوا لا...

والاجحاف بالرعية

امير المومنين ابي مروان عبد الملك بن امير المومنين ابي عبد الله محمد الشيخ
الشريف الحسني ايده الله واعز نصره الى اخينا الاعز الانجب ابي العباس احمد ونا
الوالي حرسه الله المكرمين اخانا به سلام كريم ورحمة الله وبركاته اما بعد
فانا كتبنا اليكم من محلتنا السعيدة بتامسنا ولا زايد بحمد الله الا الخير والعا
فية والنعم الضافية متزايدة متنامية وهو له اليكم تخرجوا من الخراج لعما
له مكناسة وازمور وما والاها خلول من يعرض عليهم علف محلتنا المنصورة وموم
نتها وتامرهم بدفعه وابلاغه لمدينة سلا وقدر ذلك عقبة شعير وعشرون
مدا قمحا لكل نائبة وصاع سمن وكبش لكل اربع نوائب وتوكد عليهم رعا
هم الله ان يعتنوا بذلك وبايصاله للمكان المذكور من غير عطلة وهذا
ما اوجب به اليكم والله يديم علاكم بمنه والسلام انتهى **ومن هذا**
المعنى ما يحكى ان اباه ابا عبد الله القايم لما بويع له بمنع
السوس وقام بعده وقلة ما بيده من المال جعل يتناول الابل بالمال
فافرد على السوس بيضة لكل كانون فاجتمع من ذلك اموال لا تحصى
لان الناس استهونوا امر البيضة فلما اجتمع عنده الشيء امرهم ان ياتي
كل من اتى بيضة بدرهم ففعلوا فاجتمع له مال وافر واصلح به شانه
وقوى به شانه جيشه ومنه اول نائبة فرضت في دولة الاشراف والله
يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

ذكر الخبر عن مفاز السلطان ابي عبد الله وما وقع في ايام دولته من الاحداث

قال في المنتقى كانت له رحمه الله ماثر حسنة منها بناء جسر
وادي ام الربيع انتهى **و** سيأتي كلام في ترجمة المنصور ما يخالف هذا
ومنها انه اول من اخذ مرسى اكادير بالسوس اي في سنة
سبع واربعين وتسعماية لما اجلى النصارى من الموضع المعروف بفونتي

قف
مولاي محمد الشيخ هو اول من اخذ مرسى اكادير بالسوس

على تغسوتة من الكرز وكان له في اختطاطها رأي مصيب وفراسة تامة. وفي سنة
ثلاث وثلاثين وتسعمائة وقع مطر غزير بمراكش حتى امتلأت الآبار وتهدمت الديار
وكان الناس يخرجون بعد ذلك من الديار. وفي سنة ثمان وخمسين كانت حركة ملوا. وفي
سنة ثمان وخمسين أمر بامتحان أرباب الزوايا والمتصدرين للمشيخة خوفا على الملك لأنه
دخله من بابهم فامتحن جماعة كسيدي عبد الله الكوش فأخلى زاويته بمراكش وأمر بترحيله
لفاس. وفي الدوحة أن أبا علي الحسن بن عطاء الصنهاجي قال لما امتحن السلطان أبو
عبد الله زوايا المغرب قيل للشيخ علي ألا تخشى من هذا السلطان قال إنما الخشية
من الله ومع هذا الأبناء والعيلة لا يقدر أحد على نزعهما والباقي متروك لمن طلبه. وكان
السلطان يطالب أرباب الزوايا بودائع أموال بني مرين ويتهمهم بذلك. وبعث
خديمه يوما للشيخ أبي عثمان سعيد بن أبي بكر دفين مكناسة رحمه الله بذلك فوجدوه جالسا
بناحية من زاويته يقطع المدوم وإذا بطائر لعله اللقلاق [illegible] أمامه فما رفع
أبو عثمان رأسه حتى سقط الطائر ميتا متكابر الريش فلما رأوا ذلك خرجوا إلى الملك
وولى لسبيله. وفي سنة تسع وخمسين قدم عليه الفقيه العالم الصالح
أبو عبد الله محمد بن علي الخروبي الطرابلسي نزيل الجزائر سفيرا بينه وبين سلطان
الترك الربيع سليمان شاه صاحب القسطنطينية العظمى بقصد المهادنة بين
السلطانين وتحديد البلاد بينهما. وفي قدمة الخروبي هذه لمراكش
أنكر على سيدي أبي عمرو القسطلي فيما تشبع التلاميذ وقال له إنه بدعة فقال له إن الشيخ
الجزولي كان يفعله فقال الشيخ لعله بإذن وأما أنت فذلك لا يمكنك بأن الإذن للنبي
يعم أتباعه والإذن للولي لا يعم أتباعه وأنكر عليه مسائل كثيرة وبعث
له رسالة أفرغ له فيها وهي شهيرة توفي الخروبي سنة ثلاث وستين بالجزائر
ودفن خارجها والله أعلم

ذكر كيفية وفاة السلطان
أبي عبد الله رحمه الله وسببها

وفاة الخروبي

الشرف

22

لما تغلب رحمه الله على بلاد المغرب وأتت له حواضره وبواديه ثاقفنا بمقته إلى بلاد المغرب
فكان يقول لا بد لي أن أذهب إليهم وأخرج الترك من الجزائر وأغزوهم في ديارهم
بمصر فتوفي السلطان سليمان العثماني. وكان أبو عبد الله لا يسمي سلطان
العثمانية إلا سلطان الحوت لأن الغالب على الترك سبحهم في البحر بالسفن فلما بلغ ذلك
للسلطان سليمان العثماني بعث له رسالة فلم يلتفت لهم أبو عبد الله بل قال
أخبروا صاحبكم أني متهم عليه ببلاده ومتوجه للقائه فلما رجعت الرسل للعثماني
أخبروه بمقالة أبي عبد الله وما واجههم به بعث لترك الجزائر يأتون برأس أبي عبد
الله فبعثوا رجلا من أبطالهم يقال له صالح الكاهية في شرذمة من أجنادهم مظهرين
أنهم من نوامي العثماني ودخلوا في خدمة أبي عبد الله والتصدر به من كلهم وبيتهم
المكيدة والاغتيال حيث أمكن فلما قدموا على السلطان أبي عبد الله فرح بهم غاية
وأظهر السرور بقدومهم عليه. وكان أبو عبد الله لما دخل فاس
في المرة الثانية وجد جماعة من الأتراك تخلفوا عن الجيش الذي قدم به أبو حسون
من الجزائر كما تقدم فضمهم أبو عبد الله وجعلهم على حدة في جيشه وسماهم أهل
دكشارية وقدم بهم إلى مراكش وكان يركب فيهم ويدنيهم منه ويأمر فيهم وما علم أن
الترك كما قال الشاعر فيهم

لا تأمنن تركيا فيما تقول ولو ... من العبادة حتى صار في السحب
إن جاد عمنا بذل الجود عن غلط ... وإن تمرد عم أي الدواب

ولما قدم صالح الكاهية فرحوا به وجعلوا له الدار كل غريب
للغريب نسيب أي الغريب يحب الغريب فلم يزل صالح مع أصحابه ينظرون في المكيدة
ويتربصون الدوائر بأبي عبد الله إلى أن أمكنتهم الفرصة في حركة بجبال درن بموضع يقال له
آفلاقلا فدخلوا عليه خباءه على حين غفلة من العسس وضربوا رأسه بشاقور ضربة
واحدة أبانوه بها واحتملوه في مخلاة وذهبوا يجوبون في أحشاء الظلماء وامتطوا
مطية الخوف والعنى وخرجوا على طريق الرجحة تلمسانة كأنهم إلى أرسال الى

اللهم ... بسيرته وقفوه ...

تلمسان ليلا بقصو بهم احد بلد ركوا في بعض المواضع فقاتل منهم طايفة حتى هلكوا وقطع
بعضهم بالراس الى ان ابلغوه للسلطان بالقسنطينة فلم يزل معلقا بها الى ان تلاشى
وقتل معه تلك الليلة الفقيه مفتي مراكش ابو الحسن علي بن ابي بكر السكتاني
والكاتب ابو عمران الوجاني وحكى صاحب الممتع ان سيدي احمد الشهبي
نزيل بني سلمان من جبل الحطة وكان صاحب حال وله قدم في الطريق وقعت له وحشة
في باطنه بينه وبين سلطان الوقت يعني ابا عبد الله ادى ذلك الى ان تم وجهته الى
الى ان ملكه وتوكل عليه في الغيب ليوقع به بشافور في بيته اورد عليه بذلك ان محمد
ولد ابي سعيد بن ابي بكر ... بمكناس فلما تم على راس السلطان المذكور وبين على
راسه كانما فتح له فقال الذي كان ينكر عليه الى هذا الذهب تبارك الى ذلك من سبيل
يرجع فال في الممتع وما كنا نعرف في الخارج قبل النزل فقطعوا راس
السلطان بشافور والذي في الوقت كان متاخرا وحال سيدي احمد كا وحال ال
عيبا انه تمام كلامه وكان قتله رحمه الله يوم الاربعاء التاسع والعشر
يوم من ذي الحجة عام اربع وستين وتسعماية وحمل الى الشرف ... بن
قبلة جامع المنصور في قبور الاشراف من تالك وقبره شهير وما انفش على رخامة على قبره

حتى تصير بها نغرته رحمات ۝ وكلت تحتره منها نعما قات
وانستشفوا نجعة التغريس فقد ... من الخلد منه نسيمات
بحر يد كوثر سمس المترو وكست ... من اجله الشبعة الازهير كلمات
يا مهجة غمها لما غول الردى فنطا ۝ وانبتت سنتها ابيد المنيات
ذكت لموته الهواء الغلة ... من بعد المسبع السماوات
وتشيعت نعشه الخرجي الى غرته من الملايك الجان واصوات
يا رحمة الله بما حيه سلاه زهى منها بدور الزهر كاسات
تغشى قواقي في التاريخ منه تجلي دار امام الدرى المبرات جنات

ذكر الخبر عن دولة السلطان ابي محمد مولانا

عبد

٢٢

عبد الله بن السلطان ابي عبد الله
محمد الشيخ الشريف رحمه الله وعفا عنه

صفته كان رحمه الله ادعج العينين مستدير الوجه متسع الاسنان
الحديث مشرف الوجه ربعة للقصر وكانت ولادته بفاس وقدانت بعد العشرين
وتسعماية ويلقب من الالقاب السلطانية الغالب بالله لقبه بذلك ابوه ولخد
من الادبية ونشا في عفاف وصيانة وحب الغزوات العظيم واخذ بحظوه مما
لم من العلم وكان ولي عهد ابيه ولما وقعت الانباء بقتل ابيه بايعه اهل فاس ولم
يتخلف عن بيعته منهم احد وذكر شارح زهرة الشماريخ ان الفقيه
المغارني الجعل بمنار القرويين ابا عبد الله الجزولي وكان بصيرا بعلم الازيا
ج والحدثان بينما هو ليلة يراقب الطالع والراقب والغارب وقرانات الليل
واسوده دعجوره اذ انجم السلطان ابي عبد الله فرسغ ... وكانت بينه وبين مولانا
عبد الله معرفة ومخالطة فاسرع في الذهاب اليه ليخبره بما راه فلما بلغ باب
باب الحرير وجده مغلقا فاستاذن الموكلين به في فتحه فاستعفوا فقال لهم
افتحوا للخليفة في امر مهم عندي وان لم تفعلوا في تلك الساعة لحقكم منه غرا
ما تكرهونه فانذروا الخليفة بمجيئه وساله فاخبره بما راه وقعوا اليه
ابيه فلم يكن في ذلك واستعظم ونصيبا فلم تمض الا ايام قلايل حتى واقته الاخبار
بقتل ابيه في تلك الساعة التي قال له الجعل فوجده على اهبة واستعداد
ولما بلغ اهل مراكش مبايعة اهل فاس له وافقوا عليها واستوثق له الامر
وتمهد له ملك ابيه وقطره وكان ذلك كله في المحرم سنة خمس وستين
وتسعماية

ذكر الخبر عن سيرته وثناء
الناس عليه وما قيل في ذلك

كان السلطان ابو محمد عبد الله الغالب ذا سياسة وخبرة بالملك ولين عريكة
ولما استقر بالخلافة الان الجانب وخفض الجناح وسار بسيرة حسنة

حتى طمت الرعية وازدادت الرزايا واشتد على الناس حتى كان يقال ثلاثة عينات
عبد الرحمان مولاي عبد الله وسيدي عبد الله بن حسين وسيدي عياد السوسي ورأيت
من جملة سؤال كتب به الفقيه الصالح خطيب الجامع الاعظم بتارودانت ابو زيد
عبد الرحمان التلمساني الى الفقيه الجماعة الفقيه ابي مهدي عيسى بن عبد الرحمان السجتاني
وهو يقول ومن شك ان مولانا عبد الله مجمع على عدالته وبيعته **وقد**
اخبرني الثقة من اصحاب الشيخ الجامع القطب الكبير سيدي احمد بن موسى السملالي
انه قال مولاي عبد الله يا فرحة اهل شراكة من صاحب شلطان **وقد قال**
الفقيه سيدي عبد الرحمان بن عمر البعقيلي سال رجل سيدي احمد بن موسى من
القطب فقال انا فقال ومن بعدك قال فلان قال ومن بعده فقال مولانا عبد الله
فقال له ومن بعده فقال له كعبا حتى ولم يجبه وناهيك بشهادة الشيخ له بما ذكر
وقد اشتهر عند الناس وعلى السنة الخاص والعام ان
مولاي عبد الله كان سلطانا عدلا ورجلا صالحا واستفاض ذلك **ثم**
رأيت في الرسالة التي كتب ابراهيم السلطان ابو العلا زيدان بن المنصور لابي
زكرياء يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم ما يخالف ذلك ويؤذن انه
كان كغيره من الملوك **وذلك انه الف المعالي** انكر على ابي زكرياء
تعرضه لامور السلطنة وانكاره على الملوك وذكر له بعد ذلك قال
ذلك يقول مقتولا للصحابة رضي الله عنهم كانوا في زمن يزيد بن
معاوية وما تصدى منهم احد لعزله ولا قام به ولا شغل نفسه بذلك
لان السلطان لا يتم الا بالعسر والجور الذي قال له **ما نصه**
واعلم انفا ان والرجال افضل منك برليلة اباؤكم خير من ابنائكم الى يوم القيامة
وكان عمنا مولاي عبد الملك رضي الله عنه وسع على ما كان عليه واشتهر عيانا
وكان والدنا في دولته وبيعته ووجد عليه ولم يستنكف من ذلك ولا خفي له
ما يجالا السلطنة ولا انكر عليه ولا عرض بما سوء ملك اليوم ولا سمع

بحلمي

ذالك

٢٤

ولاية

ذالك منه بل كان راضيا بفعله بقوله والم يشر نعمه بما وجد سكوته والوفادة
عليه وقد تحققنا وعلمنا ان ولادة احمد بن موسى الجزولي كادت تكون قطعية
واشتهر امرها عند الخاص والعام حتى اجمع اهل المغرب على ولايته **وقد كان**
على عهد مولاي عبد الله جزاه الله خيرا وكان المولى المذكور على ما كان
عليه وقد اشتهر عنه وما برح الشيخ المذكور يثني عليه ويدعو له بالبقاء ويظهر
حبه وكان المولى المذكور يعز ويولي ويقتل وكان شرد منه بزاويته المرابط
ابن نزلهم ولم ازيلها وامثالهم وكان يقوم للشفاعة ويشفع ولا يتعقب ولا
يعيبا ولا يبحث على ما وراء ذلك بل على عهده ومدته وكان المولى المذكور
بعث لابن حسين بسيخ داره بما فيها حتى امره ولا استعظم احد ذلك ولا
انكر فيه ولا جعله سببا لفتح الفتنة **وكان في ولد** المذكور مثل وزيره
ابن شقرة وعبد الكريم بن الشيخ وعبد الكريم بن موسى العلج والبطحي والمز
زموري وعبد الهادي بن قلوش وغيرهم ممن لا يخفى نبذ كرهم لبعد عهدهم
فرانغمسوا من شرب الخمور واتخاذ القيان ولبس الحرير وغير ذلك من الة
الفضة والذهب وكان في عصر احمد بن موسى المذكور وابو حسين الشرفي وابو
عمرو القسطلي ومحمد بن ابراهيم التمنارتي والشطيبي وغيرهم من الاولياء ومن المشايخ
واهل الدين الذين لا يسع من يدعي سلوك الطريقة التقدم عليهم ولا اكتساب
الفضيلة دونهم واحسنوا السيرة ولا تعرضوا للسلطنة ولا سمع منهم قط
بقدح فيهم ولا ان امر ولا فادة اهل الجلاد ممن ذكر الذين كان الملك يدور عليهم
ويرجع اليهم في تدبيره ومثل من ذكر من امراء ولياء كان علامة الزمان وواحد
وقته شيخ مشايخ افريقية وبعض اهل المغرب عبد العزيز القسنطيني الشيخ
المتكلم بالعربية صاحب ابيات البنات قد كان من سكان تونس وكان ملوك تونس
وما اتفق لهم من الفساد الذي لا يخفى واشتهر امرهم حتى عبر دواوينه في المشارق
والمغارب ولم يبرح الشيخ المذكور من بيته ولا تصدى لتغيير المنكر وان مر بالمعز

يعتب

بالعز وكحتى قبضه الله اليه انتهى محل الحاجة من الرسالة المذكورة بقضى
كلام ابي العلاء هذا خلاف ما استنبط من ادريس وشاع عند الرجال **وكان**
الولي احمد بن موسى الجزولي يدعو له بالغلبة لعلمه انه اراد فما بقية الملك
وقد رأيت في كتاب قوت القلوب لابي طالب المكي رحمه الله ما **نصه**
وقال ابو محمد سمعت ابي محمد عبد الله التستري رحمه الله الخليفة اذا كان
غير صالح جعل من الابدال واذا كان صالحا جعل من القطب الذي تدور عليه الدنيا
قال ابو طالب قوله من الابدال يعني ابدال الملك انتهى وقريب
من هذا ما رأيته ايضا في كتاب التشوف المغمور وغير الغاضر وان السلطان اما ان
يكون وليا او قطبا واحسن من هذا كله ما رأيته في قواعد الشيخ زروق وان الامام
احمد بن حنبل كان يقول السلطان اذا كان ظالما فهو خير من طلبي الامة واذا
كان فاسقا فصالح الامة خير منه وهذا قول عدل انتهى **و**حكى صاحب ممتع
الاسماع ان السلطان مولاي عبد الله رحمه الله ذهب لزيارة الشيخ سيدي احمد
ابن موسى الجزولي المذكور وسأله ان يضمن له الملك لمعين عليه طعم وكهرب واعتذر
له بانه لا يمكنه العيش بينه ولا يامن على نفسه وقال تاويله ان ضراه منتجلي
عنه فقال الشيخ يا عرب يا شمالة يا بربر يا جبالة اطيعوا السلطان مولاي عبد الله
ولا تخلعوا عليه فلم يزل ملكه مستقرا في هدو وسكون الى ان نزل الترك مرة
بمرسى طنجة وسبتة فتحرك منهم جند برزوا للشيخ فلما لحق به البربر سمع
الشيخ يقول قبل ان يراه يا ترك ارجعوا الى بلادكم ويا مولاي عبد الله مناك الله
في بلدك فرجع الرسول ووردت الانباء على السلطان بانزعاج الترك ور
حيلهم في تلك الساعة التي قال الشيخ فيها ما قال **ثم ان الشيخ لما قدم**
لمراكش استدعاه السلطان للدار وصنع له طعاما فابى ان ياكله **وقال**
من اكل طعام السلطان وهو حلال اظلم قلبه اربعين يوما ومن اكله وفيه
شبهة مات قلبه اربعين سنة انتهى قوله بمرسى طنجة وسبتة لعل صوابه وحجر

بلادس

بادس بلاد الترك فنزلوا به كما قال ابن القاضي في درة الحجال وقيل وذكر
بعضهم ان السلطان مولاي عبد الله لما راى اعمارة الجزائر وسعيهم لا ينقطعون
عن حجر بادس ومرسى طنجة وتخوف منهم اتبوع الطاغية ان يعطي له حجر
بادس ويخليها من المسلمين فشغط بسبب ذلك سادات الترك ولا يجدون
اليه فنزل السلطان على حجر بادس واخرجوا المسلمين ونبشوا قبور الاموات
وحرقوها واعانوا المسلمين كل الاعانة **و**لما بلغ خبر نزولهم عليها الولي محمد
وكان خليفته على فاس خرج بجيوشه لاعانة المسلمين فلما كان بوادي اللبن بلغه
استيلا قومه عليهما فرجع وتركها لهم **و**نحو هذا ذكره ابن فايد ابن قرد ثم
دخل البرجية التي في ثغر انقرو واخذ اسوارها وعزم على ان يستاصل في الغد
بقيتها فلا يبقى للكفر بها اثر فكتب له السلطان مولاي عبد الله بفناء عمد البرك
فتراجع النصارى اليها بغرار وركبوا البحر عازمين على الجلاء عنها وتخلى منزا
فقيته مع امتلاء عز بلطفه واكان فيما ابا الكتب اشكت انا عن كتبتم هنا ومن
امور شنيعة ان صح انه فعلها ولست ادخل في عهدتها لان اخبار ايضا في اور
ان جملة الدولة اشتملت على خرج من الدولة السعدية وكذلك انما من وضع
بعض اعدائهم لحطهم من قدرهم واخراجهم عن النسب الشريف ووصفه وتهم
بالدولة الخبيثة فلذلك اجتنب منها منها كثيرا من الاخبار التي لا تطهر بالو لا بت
السادات الاشراف رحمهم الله **وقد قال الشيخ** تاج الدين ابن
السبكي رحمه الله في طبقاته ان المورخين على شفا جرف هار لانهم يتسلطون
على اعراض الناس وربما نقلوا عن الناس تعصبا او جهلا او اعتمادا على
نقل من لا يوثق به **قال** بعض المورخين ان تبقى الله تعلى انتهى ١٧١ والملوك
لا يستغنى في حقهم ان يهدموا اساس الشريعة ليبنوا منار منازلهم ويامنهم
ويستمدوا عطائم الامور لتطيعهم الرعية ساعة وكيف لا وشراع ابدانهم
تلعب بها رياح الشهوات فتلقى سفينة قلوبهم على سيل بحر الغفلة من رحمة

الله تعالى والله يسامح الجميع ويتجاوز عن كل فرقة من أمة محمد بمنه وفضله

• ذكر أخبار مولاي عبد الله رحمه الله •
• وما وقع في أيامه من الأحداث •

قال ابن القاضي لما ولي رحمه الله الخلافة اشتغل بتأسيس قواعده وتحصينه بالعدة والعدد ولم تطمح نفسه للزيادة على ما ملك أبوه قبله وفي سنة خمس وستين وتسعمائة في جمادى الأولى منها خرج له الباشا حسن بن خير الدين التركي في جيش ثقيل من الأتراك فخرج مولاي عبد الله لملاقاته فالتقوا بمقربة من وادي اللبن مما يلي فاس وكانت الدائرة على حسن فرجع مولاي عبد الله لفاس ولم يدخلها لوباء كان فيها ما عظم ومعه وباء عظيم كمستوسهل الحجب وجبالة وأفنى كثيرا فهو ابتلاء القوم 12 رجع مولاي عبد الله من ثغر كنفة تلك أمر بقتل الخيم عثمان لا قرن ثم عليه فقتل في السنة المذكورة ولما

وفي يوم الأحد رابعا الثامن والعشرين من رمضان سنة أربع وستين خسفت الشمس خسوفا عظيما وحدث زلزال عظيم ثلاثة جمعة وأربعة من المحرم فاتح عام سبع وسبعين وتسعمائة وقدم الجراد في وسط مارس من الشهور العجمية أو آخر شهر العام ثمانية وسبعين وتسعمائة وفي سنة

قتل الفقيه محمد الاندلسي وكان منتحلا للزهد والصلاح حتى اشتهر بكثير من العامة وتبعوه وكانت تصدر منه مقالات من الطعن على أئمة المذاهب رضي الله عنهم ويجنح فيما ينحو ابن حزم الظاهري ويتبعه في مقالات شنيعة في الدين فأمر السلطان بقتله واستعظم واستغاث بالعامة ووقعت عليه فتنة الحال فقتل وصلب بباب داره من رياض الزيتون أخطأ الروحة وفي عام واحد وثمانين كانت وقعة البارود التي انفجرت بها القبة الواسعة بجامع المنصور وانشقت بها صومعة الجامع المذكور وذلك باحتيال من أسرى النصارى حفروا تحتها أرضا وملؤوه بالبارود لينقلب الجامع بأهله يوم الجمعة فكفى الله

المومنين

وقعة البارود بجامع المنصور سنة 981

المومنين شر تلك المكيدة ولم يتمكن لهم الحال على وفق ما أرادوه وفي عشرة السبعين أنشأ مولاي عبد الله جامع الأشراف والسقاية الملصقة بالجامع المذكور التي عليها مدار المدينة بالمواسين وكذا المارستان التي تحت نعمه ووقف عليها أوقافا عظيمة ومن آثاره أيضا بناء المدرسة بإزاء الجامع أنشأها أولا ثم عمر السلطان التي بجوار جامع علي بن يوسف اللمتوني والبنية التي أنشأها كما يعتقد كثير من الناس بل الذي أنشأها أولا ثم عمر السلطان أبو الحسن المريني رحمه الله حسبما ذكره ابن بطوطة في رحلته وشاع على ألسنة الناس أن السلطان مولاي عبد الله بناه بذلك بصنعة الكيمياء وأن الشيخ الصالح سيدي أحمد بن موسى علمها له لما كانت له منزلة عنده كما سلف ومما ذكره وجملة أن الذي نقل عن الشيخ سيدي أحمد بن موسى أن رجلا جاءه وطلب منه أن يعلمه صنعة الكيمياء فقال له الشيخ خذ من كل نبات خمسة ومن كل نبت أصابع البترها وادهنها بالخير وعلقه بالحرارة والعلاجة فتلك كيمياء الناس لا كيمياء الرصاص والنحاس وانظر بأن الشيخ من أكابر الأولياء وما كان يفتح على مسلم بابا عظيما من أبواب الفتنة وسببا بليغا من أسباب المحنة فإن صنعة أعظم أبواب الفتن

وقد كان الشيخ ينشد هذا البيت لذا يرديه كثيرا

• عليك بأوساط الأمور فإنها نجاة ولا تركب ذلولا ولا صعبا •

وقد أجمع أولياء الله على التحذير من خلطة الكيمياء وكلهم على ذلك وجه ثلاثة أوجه أنها من الأمور المستحيلات كما ذكره ابن سينا مستدلا بقوله تعالى لا تبديل لخلق الله وكما أنه ليس في قدرة المخلوق أن يبدل القرد إنسانا والذيب غزالا كذلك ليس في قدرته أن يبدل الرصاص ذهبا والنحاس فضة ولقد تناظر رجلان فيها فقال مجوزها أنتم ما تشاهدون في الصبغ وتغيير الجسد الأحمر أصفر والأبيض أسود فقال له ما نعلم لا أنكر إلا ذلك الصبغ لأنه ليس تغييرا وإنما أنكرنا ثوب الصوف الأبيض نرده صنعة

الصبغ فهذا او حريرا احمر او اخضر واما الصبغ فلا شك ان النحاس يصير ابيض ولا يخرجه ذلك عن اصله وكيف يقلب عندنا اهل النحاس بل يقال فيه نحاس ابيض كما لا ينقلب صبغ الصوف عندنا اسم الصوف **ثانيهما** انما جاز في الوجود لا كونها معروفة في الخارج كما ذهب اليه ابو الفرج ابن الجوزي رحمه الله فقال انها متعذرة في وجودها في الغالب وقد اتفق على ذلك منها اهل المشارق والمغارب في الكيمياء والغول والعنقاء واخبرهما كلها على وجه السماع وبلا اسناد ولا حكاياتها كالموضوعات عن العجائب والخرافات **ثالثها** على تقدير وجودها او مع وقتها يحرم تناولها والبيع والشراء **وقد سئل** عنها ابو اسحاق التونسي رحمه الله احلال هي ام لا فقال ان كانت خالصة **فقال** الوجه في العملة وغيرها من الاجساد حتى تصير ذهبا خالصا لا شائبة فيه فلم يقل بل يعمل الصناعة على هذا الكمال وضعا او جسرا او احرا الاجساد وبرئته حتى طرحه ذهبا الكمال غاشا مدلسا **قال** ومتى ذكر لم يشترط منه احد بعلمه **ويقال** الكذا لم يبر من غيروا فيرجع الى غيره الى اهله فمن لم يبين فيه فهو داخل في قوله عليه السلام من غشنا فليس منا ويكون صنعتها حراما **وقال** امام الدين المشهور الى الله اعلم فاياك بتحليل الكيمياء **وذكر** ابن عبد البر الغافري بوسعا انه قال من طلب الدين بالكلام تزندق ومن طلب المال بالكيمياء افتقر **وكان** ابو محمد صالح يقال انركوا ثلاثة قبل ان تتركهم الثلاثة اتركوا شراب الرب مخافة ان يجركم الى شرب الخمر **واتركوا** الاشتغال بصنعة الكيمياء لانها توقع في الغش والتدليس واتركوا مجالسة النساء يزولها تجركم الى مجالسة السفهاء منهم **وقيل** لبعض الفضلاء لم لم تتحوث في هذه الصنعة فقال انما تسلبه الخاطر وقال قيل للحمار لم لم تجتر فقال اكره مضغ الباطل وانشد

• وقبلك لا يطلب من الشمس ضوءه وما قد قربت ولا كن في تناولها بعد •

وبالجملة فلا شك عندي ولا عند الله في ذلك ان الطالب الذي يتقي الله في تركها اهل الورع

يجتنب

يجتنبون الصلاة في جامع الاشراف لما بني منه ويقال ان عمود هذا الجامع كان مغصوبا لليهود والله اعلم

• ذكر وزرائها وحجابها •
• وكتابها وولاة خطائها •

اما وزرائها فمنهم ابو ابراهيم الاجل الفقيه الاجل ابو عبد الله محمد بن عبد القادر ابن السلطان ابي عبد الله محمد الشيخ المهدي رحمه الله **وكان** من اهل الرأي والحزم مثلكا والحكمة وله معارف في النظم والنثر **وذكر صاحبنا ابو محمد** عبد الله ابن محمد القاسم في كتابه انه عالم بني مضر وغيرهم من اهل الفنون الجامع من هو بعد ما صنعه فرح الوزير ابو عبد الله محمد بن عبد القادر بمراكش لعباس وهو الفقيه قاضي الجماعة ابو مالك عبد الواحد الحميدي **والفقيه** الامام ابو العباس احمد المنجور ولما تنزهوا في معالم فاس الجديد وتطلعوا للشوق في جو الحمراء وابدع ما يكون الشوق يوما اذا دانت الديار من الديار **انشد الفقيه** الوزير لنفسه بيتا

• اخلاي منزل المشتغل وربوعه ومغنى نواعيم البلاد تنوح •
• وذا المحلى مسرح الشوق والهوا ومغنى منازل الديار تلوح •

فقال الفقيه الحميدي بديهة

• وتلك القباب الخضر شبه زبرجد بمن غوار طربها تفوح •
• يسر كل ملوح من الزهر بانعاش اهدى بجول الديار يفوح •

فقال ابو العباس المنجور رحمه الله مرتجلا ايضا بديهة •

• ويعلو في الحلة بدر بالحل وصير انواع الجمال وضوح •
• بباب رنترفيع الكوى بها جر لابقا الحب كما فيه نزوح •

وكما بلغت الابيات للشيخ الامام سيدي عبد الواحد بن احمد الشريف السجلماسي وكان كاتبا عند الوزير وجعل موضع اخلاي امولاي والمشتغل بعوضا المنزل بفتح الميم وسكون مهملة ومثناة فوقية وفاء معقودة مفتوحة راس بستان معروف وتفهم

من أهل الذكر وصاحبنا المذكور في أعلامه قال كان الوزير المذكور مع كاتبه أبي
محمد سيدي عبد الواحد الشريف في بعض الأيام بسفار وأرسلت السماء بغيثها المدرار فقال
الوزير • لما اشتكوا عمرا أتى الشيخ إذ ركبنا سير المطايا وجاد الريح يحدونا •

فأجابه كاتبه المذكور

• والغيث في الأرض فرادى رحمة وابتدا باسم الهوى ولا ينبعث برمينا •

فقال الوزير رحمه الله

• حتى استوى في الأكام واستترت معالم الرشد فريبا يهدينا •
• وظلت الخيل في الأمواج سابحة سبح الأساطيل في المدار تسرينا •

فأجابه الكاتب

• والنفس في قلق ليس ما بعدها والشوق يحدو بنا والحال يفنينا •

فقال الوزير

• كأننا لم نبت والوصل ثالثنا حتى غدا الهجر دون الصبح يغشينا •

وأخبار هذا الوزير رحمه الله ومحاسنه كثيرة توفي في عشرين من جمادى الأولى وقيل
الثانية عام خمس وسبعين وتسعمائة ومن جملة أصحابه الفقيه عبد الكريم بن مومن بن
يحيى الجنوي العلج وابن توده قاسم الزرهوني وأحمد البنجي ومولاي
عبد الله أبو عمران موسى بن مخلوف الكنسوسي وهو والد الشركة وكان فقيها
مشاركا وحكى بعضهم أن الشيخ الصالح سيدي أحمد بن موسى
في بعض قرباته يملي مولاي عبد الله الغالب الناس لزيارته فوفد أبو عمران يزود النا
س عنه وهو يقول لهم حيكم الله من زار يخرج فسمعه الشيخ فقال له لا تقل كذلك
بل قل من جاء يخرج وأما كتابه فمنهم محمد بن عبد الرحمن السجلماسي ومحمد بن أحمد
ابن عيسى وغيرهما وأما قضاته فمنهم أبو الكسر والعقيد قاضي الجماعة أبو القاسم بن
علي الشاطبي وبفاس أبو عبد الله العوفي وعبد الواحد بن أحمد الحميدي

ذكر الخبر عن وفاة مولانا عبد الله

توفي

رحمه الله وسامحه

قال أبو العباس ابن القاضي رحمه الله في شرح درة السلوك أبو محمد عبد
الله في سابع وعشرين من رمضان سنة إحدى وثمانين وتسعمائة بسبب غم كان يعتريه
انتهى وهذا الغم الذي كان يعتريه المسمى على ألسنة العامة بالضيقة أعاذنا
الله منها وذكر غيره أنه توفي بشوال بسبب ذلك بعد الصيام وبعد ما صليت العلة المو
هوبة وشاع على الألسنة أنه مات يصلي ليلة سبع وعشرين بجامع المنية وهو
ساجد وذلك كذب ودفن رحمه الله عند ضريح أبيه في قبور الشرفاء وقبره
معروف ومما كتب على الرخامة التي على قبره منقوشا

• أيا زائرا قبري في الدعاء ترحما • فإني إلى فضل الدعاء فقير •
• وقد كان أمر المؤمنين وملكه الحق وهيبته في البلاد شهير •
• فها أنا مرتهن ملقى بحفرة • ولم يغن عنه قائد ووزير •
• تزودت حسن الظن بالله خالقي • وزاد بحسن الظن فيه كبير •
• ومن كان مثلي عالما بجنابه • فمن نيل العفو منه جدير •
• وقد جاء أن الله قال أنا لدى • ما يظن العبد بي سيصير •

وحكى أنه أتى ابنه أبا عبد الله لما قرأ هذه الأبيات عاتب ناظمها وقال إني في قولك
ملقى بحفرة دسيسة وتلويحا إلى الحديث القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من
حفر النار وحبذا لو قلت ببلقع أو نحوه

• ذكر الخبر عن دولة السلطان أبي عبد الله مولاي محمد بن السلطان
• الغالب مولانا عبد الله بن السلطان مولانا محمد الشيخ الشريف الحسني

بويع بعد وفاة أبيه سنة إحدى وثمانين وتسعمائة وكان أبوه عهد له بالخلافة
في حياته فلما توفي أبوه انعقدت له البيعة المستأنفة بحاضرة مراكش ووصلت
له البيعة من مدينة فاس قال ابن القاضي وأمه ولد ولقبه أبو عبد الله وكنيته
المتوكل على الله ويعرف عند العامة بالمسلوخ لأنه سلخ جلده وملئ تبنا

كما ان شاء الله وصفه غير واحد بانه كان متكبرا غنيا مبالا بالحرب وكان متوقفا في الدماء شديد العسف على الرعية وكان مع ذلك فقيها مشاركا اديبا مجيدا قوي العارضة نظما ونثرا ومن شعره قوله في الغزل

خليلي ما يغني اخطار عن الصبا لجلا عقال فؤادي بين الربط
ولا تجعلوا امي للاخ اومن تلوما فان بحور اللوم ليس لها شط

وقد خمس هذين البيتين لما جاء الفقيه ابو العباس الزموري رحمه الله فقال

الا فاعجبوا ممن علا ذيل في فراغ ربا بكم اذ عز عيني كرى اعلا واذ نبا
وفي شرعة حل الخلاعة منه صبا خليلي ما يغني اخطار عن الصبا
ولا تجعلوا ممن للاخ اومن تلوما
الا فاعذروا عن عذل صب تظلما وبالبين طار القلب منه متيما
واحكامه تمثل من عبرته دما ولا تجعلوا ممن لاخ اومن تلوما
فان بحور اللوم ليس لها شط

ومن شعره ايضا قوله

وقم بنا نصطبح صهباء صافية في وجهها عنبري وجهها نغط
وانهض الينا على رغم العذول فلا فان تلخيص اوقات الصبا غلط

وقد خمس هذين البيتين الفقيه المذكور فقال

كم شادن بسنام اللحظ اودنه رمي بقواضبه وكم حوراء سابكة
وفي العقار اغتنم ابا الفسالة وقم بنا نصطبح صهباء صافية
في وجهها عنبري وجهها نغط
وخل عنك عاذل باللوم فرطها وكنت راكدا فيه دمعا هيفا
لا يعرف الشوق الا من التزم ارقا وانهض الينا على رغم العذول فلا
فان تلخيص اوقات الصبا غلط

ومن شعره رحمه الله ايضا قوله

سارزوا

سارزوا ابسارهم بواجد اثر ظعنهم وخلفوني نحيل الجسم حيرانا
لا ابتر ثغر الثرى من بعد بينهم ولا سقوها طل وردا وريحانا

وقد خمسهما ايضا الفقيه المذكور فقال

استخبرا واخبروني بعد انبعاث ظعنهم فراقا مت بالحشا نار بعادهم
وصبوني لم ترى نفسي بغيرهم سارزوا ابسارهم بواجد اثر ظعنهم
وخلفوني نحيل الجسم حيرانا
قد كان صفو حياتي يوم قربهم ولو عقة في افتراقي من بنا نيهم
ولا الان ابغيت في ربيعا غرامهم لا ابتر ثغر الثرى من بعد بينهم
ولا سقوها طل وردا وريحانا

ولم تطل خلافته رحمه الله الا نحو عامين او اخر ثلاث وثمانين فبايع عمه ابو مروان عبد الملك بجيوش الترك فاستلب ملكه وبدد دولته وكان خليفته بمراكش الغالب ابن شكرا وحاجبه احمد بن حسين الدرعي وكاتبه يونس ابن سليمان التاملي وكان خليفته بمراكش القائد علي ابن ابي بكر وحاجبها

ذكر الخبر عن خروج ابي مروان مولانا عبد الملك بن مولانا محمد الشيخ الشريف بجنود الاتراك وغلبته لابن اخيه مولانا محمد المذكور

لما توفي السلطان ابو عبد الله محمد الشيخ رحمه الله وولي بعده ولده مولاي عبد الله رحمه الله كما تقدم وكان اخواه عبد الملك الغازي واحمد المنصور بسجلماسة وحين بلغهما وفاة ابيهما واستيلاء اخيهما على الملك بعده فرا الى تلمسان خوفا على انفسهما منه ولحق بهما اخوهما عبد المومن فبقي بها مدة ثم فرا الى الجزائر ولم يزالا مقيمين بها الى ان بلغهما خبر وفاة اخيهما واستبداد ولده بعده بالملك فطار عبد الملك الى اصطنبول القسطنطينية العظمى فاتصل بالسلطان امراد العثماني فنزل عليه وطلب منه ان يمده بجيش يذهب به الى المغرب فينتزع الملك من ابن اخيه فتعطف عليه السلطان

ح ابن السلطان سليمان شاه بن السلطان سليم خان آل عثمان في منزله ح

امراه وقع بواجبه على غرضه فلم يزل عنده مع وافد سجادة الرحمانية الى ان لجأ
بها الزلية وذكر بعضهم ان سبب ذلك ان تونس تغلب عليها العدو
الكافر وسكن نصفها وسكن المسلمون نصفها بعد ان ضربت عليهم الجزية ورضوا
بالبقاء تحت الذمة وذلك بسبب ان ملك افريقية وملك تونس وكانا
اخوين تشاجرا وشبت بينهما نيران الحروب الى ان تغلب ملك افريقية فعز ملك
تونس الى طاغية النصارى فجاء معه بجيوش الروم الى ان تملكوا تونس كما ذكرنا وفعلوا
فيها الافاعيل العظيمة وانتهكوا حرمات المساجد وذكر المخبر ان ابا الطيب
الحريع التونسي وكان واعظا بجامع الزيتونة رحل لفاس بعد اخذ العدو لتونس
فكتب لفقيه الجماعة بفاس ابي الحسن علي بن هارون رحمه الله بابيات منها

سقى الغيث اذا الغيث انهمر ... حضرة ابن نصر البديع المونس
كم خرود في وجوه في قمر ... خرضا مع جرى من نرجس
حال الكافر غيرت منها الصور ... وذل الاسر بعد عز الانفس
اصبحوا اسرى بايدي من كفر ... ملكت ازفابهم بالقلنس
يا لنزلي بغيث ووتر ... اخرجوهم من ظلام حندس
واستغيثوا بعلي وعمر ... وابي بكر الرضى مع انس
وادعوا الله مساء وبكر ... فعسى قد يجي من الله عسي
ربما يشرق صبح وكم ... عقد جلا قبل حلول الرمس
وارى الكافر مقبوضا ... بارتفاع البيض يوم الملتقى
وابا الطيب كاف ... ونشر كتبه يقرا بدور الكرسي
وعلى اهل السلام والحق انتشر ... بعلوم اشمر ابعس

فاجابه ابو الطيب بابيات منها

ايها الشيخ الفقيه المعتبر ... سيد العلم وصدر المجلس
قد تفضلت بنظم كالدرر ... حل من قلبي محل النفس

ملاعني

٣

ما جنى شوقي اقتفاء للاثر ... انكر عن ذكره ابليس
كلما هب نسيم للسحر ... وفقت الحيارى للغلس

وقال في النفحة المسكية ان النصارى استولوا على تونس وانتزعوها
من يد ملكها الحفصيين وقسموا البلاد بينهم وبين من بقي تحتهم من المسلمين نصفين
فسكن النصارى قلعة البلد وما والاها وسكن المسلمون باقيه بعد ان منع
النصارى في جانب المسلمين كلما كان حصينا من باب ودار وحانوت وبنوا حصنا
آخر منيعا على باب البحيرة خارجها ثم بنوا مثلها في وسط البحيرة بمقربة من المرسى
الى باب البحيرة وعند المرسى حلق البحر يدخل اليها وهنالك حلق الوادي ولما
وليس هنالك واد عذب ثم بنوا على المرسى حصنا عظيما وشيدوا منيعا متقنا
عجز الترك لما اخذوه عن هدمه وملؤوه بالات نقاض والعدة والرجال والقوة بحيث
انهم ايقنوا انهم ملكوا تلك البلاد وانهم لا ياتي من يقدر على اخراجهم منها ثم ان
الترك اخذوها ويقال ان السلطان مراد بينما هو نائم وقع عليه رجل في النوم
وقال له ان لم تغث الغرب ما اتى من المسلمين بتونس ورجع الى فراشه مستعيذا
بالله من الشيطان فرجع اليه فقال له في المرة الثالثة من انتما فقال له احدهما
انا ابن العروس وهذا الكلاعي وهما من صلحاء تونس مشهوران فلما انتبه جمع
وقص رؤياه على اصحابه فاعلموه باخبار تونس فوجه لها جيوشا حافلة في البحر
وفي كتاب النفحة المسكية ايضا ان عدد السفاين التي وجه اليها اربعمائة
وخمسين سفينة من القسطنطينية ومن غيرها من سائر افريقية فيها مائة مقاتل وازيد
وبعث معهم مولانا عبد الملك رحمه الله منزه الله الكبرى وهو من رفاقه السنية
وحصروا البلاد من جميعها بعد ان حاصروها اربعين يوما وذلك عام اثنين وثمانين
وتسعمائة فكان عبد الملك اول من ارسل بالبشارة مع اصحابه الى السلطان
العثماني فبلغت الرسالة اعمال الرحمانية فاعطاهما السلطان المذكور والتمست منه
ان يعطيهما في بشارتهما امر اهل الجزائر بالزمات معه للمغرب فاعطاها ما اراد الجماعة

عبد الملك مع أمه بكتاب السلطان إلى الجزائر يأمرهم بالمسير معه إلى تملك ما كان بيد
آبائه وطلبه أهل الجزائر في الراتب فقال لهم أسلفوني وعلي الخلاص فاتفق معهم على أن
يعطيهم عشرة آلاف لكل مرحلة وكان عدد جيش الترك أربعة آلاف وقال
في شرح الدرة أن عبد الملك طلب من ديوان الترك أن يبعثوا معه جماعة منهم توصله إلى
حضرة بلاده ليدخلها إذ الجند كله جند والده لا يمكن أن يقاتلوه ويتم نوابه وجمعه
لتعظيمهم آباءه فأسعفه على مراده وأرسله مع عصابة وحصة قليلة فأقبل في
إلى موضع يقال له الركن من أحواز بني وارتين من فاس المحروسة فلما سمع بنزوله نجل
أخيه محمد بن عبد الله خرج للقائه بنفسه فلما التقى الجمعان فر ديسان بن نرلس سعيد
الدغالي وكان عبد الملك يكاتبه ابن محمد وبطانته وذوي وساء جنده وبعد كابعهم
وبوعد عاهم فلما سمع محمد بفرار جند ابن نرلس إلى جهة عمه مع قائد منهم فت في عضده
وفشلت ريحه وأيقن بالنكبة ظنا منه أن جنده كله سيفعل بفعل الدغالي فكان ذلك
سبب جزعه وفراره من المعركة وسبب خراب ملكه وإقامة ملك عمه ويقال إن بعضهم
لما رأوا بعضهم الغادر كثرمان وأولاد عمران صيروا إلى عبد الملك جاء إلى محمد وقال له إن
محمد الغادر ابن شكر أغدر وفر إلى عبد الملك فارتاع محمد إلى ذلك وانقلب منهزما وا
وانتهبت خزائنه وافترقوا فيها النار وحسنوا البارود من الجبال ودخل محمد فاس فجد
بدوا خزمته ما يعز عليه من الذخائر ثم خرج متوجها إلى مراكش فلحق به الغادر ابن
شكر بواد النجا بغربية من فاس وأغلظ له في القول ولامه على عدم التثبت والتأني
وكان أمر الله قدرا مقدورا

ذكر الخبر عن دولة أبي مروان عبد الملك واستيلائه على المغرب

قال ابن القاضي كان دخول أبي مروان إلى فاس واستيلاؤه عليه بعد
هزيمة ابن أخيه أواخر ذي الحجة سنة ثلاث وثمانين وبعد أن دخلها وبايعه أهلها
وبقي بها أياما طمحت نفسه إلى اتباع ابن أخيه بمراكش ولما عزم على التوجه تلقاء

مراكش

مراكش طلبه الترك أن يردهم إلى بلادهم وأن يعطيهم المال الذي اتفق معهم
عليه وهم يسمونه بلغتهم البقشيش فأعطاهم أربعماية دينار لكل واحد
واستسلف المال من كبراء فاس حتى تم عليه المال فأعطاهم خمسمائة
ألف وأعطاهم عشرة من المدافع منها المدفع الكبير الذي له عشرة أفواه فرد
لهم من تحت المغرب وطرده فأسليه انفصم وركب لود أحمد بنفسه إلى تمز
شبوا ثم رجع وتوجه لمحاربة ابن أخيه بجيش الزرافة وكان عرس بيده وقد
انضاف إليه من جند ابن أخيه جملة ورجع إلى مراكش ولما سمع ابن أخيه بخروجه
إليه وقصده مراكش تهيأ للقائه وطار لملاقاته فالتقى الجمعان بموضع
يسمى خندق الريحان على مقربة من الشراط من أحواز سلا فكانت الهزيمة
أيضا على محمد ومن خالفه وعاداه وتبعه أبو العباس المنصور خليفة أبي
مروان فلما سمع محمد بأتباعه بعد بلوغه لمراكش فر عنها لجبال الدرن واستولى
مراكش فدخلها أبو العباس المنصور نائبا عن أخيه فلما استقر المنصور بمرا
كش لحق به أخوه أبو مروان فدخلها وأقام بها مدة ثم خرج منها في طلب ابن أخيه
فعميت عليه أنباؤه فرجع أبو مروان ثم إن ابن أخيه لم يزل يجول في جبال السوس
سلك بغرله فرارا إلى أن انضافت له طائفة من الصعاليك واجتمع له منهم ما
يشبه الجيش فتوجه بهم إلى مراكش فسمع به أبو مروان فخرج للقائه فالتقيا
في الطريق وسلك طريقا غير طريق أبي مروان وقصد مراكش فدخلها
بأتباعه أملا في نصره فكتبوا له البيعة إلا أنه لم يتمكن من القصبة لأن أبا
مروان ترك بها أخته الشريفة مريم في نحو الثلاثة آلاف من الرماة فتحصنوا
بها وبلغ الخبر أبا مروان بحلوله مراكش فرجع مسرعا إلى أن وافاه بمراكش
فحاصره بها وكتب إلى أخيه أحمد المنصور وكان خليفته على فاس أن يأتيه بجيش
من فاس فأتاه به المنصور ومشى على وكان أحمد المنصور لما دخل مرا
كش أولا وهرب محمد إلى السوس طلب من أخيه أبي مروان أن يخلفه على فاس فأ

بالغطاء أياما وكان الوزير عبد العزيز بن سعيد الوزكيتي حاضرا
للطلب والعطية فانكر ذلك ولم يره صوابا وقال لهما لا ينبغي لكما ان تجلسا حتى
يحكم الله بينكما وبين ابن اخيكما فغاظ ذلك احمد المنصور وكتم ان ذلك الامر
سوء رأي عبد العزيز فيه ومن بغضه فيه في جانبه ولم ينسها المقالة الوزير
بذهب المنصور وخليفته الى فاس فلما رجع المنصور الى مراكش بالجيش تلاقى مع
عبد العزيز فقال له وفقت على الرأي اول الفكرة آخر العمل فبانت للمنصور
نصيحته وزال ما كان يختلج في صدره عليه ولما جاء المنصور بجيش فل
سرور محمد الى السوس وبقي اهل مراكش متعاد بن على الحصار الى ان اتى ابو
مروان مع اعيان الكراة والمخلوعين من اهل شوار وبعض اهل نفاذ ولما
توجه محمد الى سوس تبعه المنصور وكانت بينهما هناك حروب عظيمة اتاح
الله فيها النصر للمنصور وهزم محمد لعادته فعبر الى جبال درن ثم منها الى
بلد يسر واقام بها مدة ثم فر الى سبتة ثم دخل طنجة مستصرخا بعظيم الروم
ولله عاقبة الامور

• ذكر الخبر عن استصراخ مولانا محمد بن مولانا عبد •
• الله بالنصارى وما وقع في ذلك •

كان مولانا محمد بن عبد الله عمه لما تغلب عليه عمه ابو مروان ولم يجد منه ملجأ ولا
مفرا ذهب للطاغية النصراني عظيم نصارى برتقيس فاستصرخ به واستغاث
ثم على عمه فاغاثه وبعث معه جيوشا عظيمة وهو من هنالك كتب مولانا
محمد رسالة الى اعيان المغرب من علمائه واشرافه وذوي الرأي فيهم ومن
يحظى عليهم في ذلك بيعته ونقضها ومبايعة عمه من غير موجب شرعي وقال
انه ما استصرخت بالنصارى حتى عدمت النصرة من المسلمين وقد قال
العلماء انه يجوز للانسان ان يستعين على من غصبه بكل ما امكنه ومكن منه
فيهما وابرق وارعد وقال فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ومعنى

النصارى

النصارى اهل العدوة واشتكاء من تسميتهم نصارى فاجابه
علماء الاسلام رضوان الله عليهم عن رسالته تلك برسالة دامغة لجيش اباطيله
ودافعة لتركيك تاويله وهذا نص جواب تلك الرسالة المذكورة حرفا بحرف
الحمد لله كما يجب لجلاله والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
انبيائه وارساله والرضى عن آله واصحابه الذين هاجروا وادبروا الكفر
فانتصروا وقاموا استنصروا به حتى انتشر الله به دين الاسلام ونشروا
عنه وكماله وبعد فهذا الجواب من كافة الشرفاء والعلماء
والصلحاء والاجناد من اهل المغرب وفقهم الله لمولانا محمد بن مولانا عبد
الله السعدي هداه الله عن كتابه الذي استرعى فيه بحكم الكتاب واستند لحجج
الواهية المنكبة عن الصواب فاعلم لو لم تجد اول حجة عن مدعيها الخطاب
لو رجعت على نفسك باللوم والعتاب لعلمت انك المحجوج المطالب بغفلتك
خلعنا بيعتك التي التزمنا هنا وكوفنا ما اعتنا فنا وعذرنا مما فقال
والله ما كان ذلك منا عن هوى متبع ولا عن سبيل خارج عن طريق الشرع
مبتدع وانما ذلك منا على منهج الشرع وطريقه وعلى سبيل الحق وتحقيقه
وسنشرح لك ذلك ونبينه ونشهره لك بادلة شرعية نرتبه فنقول
كنت سلطانا بافعالك والدائم البيعة وترد لك من الاموال والعدد
والحصون ما لم يتهيأ مثله لاحد من اسلافك الكرام رضوان الله عليهم فما صدوا
المحل الذي من اجله [illegible] في الله حق جهاده حتى استخلصوا من ايدي الكفار رقاب
عباد الله وحصون بلاده واسسوا لدين الله قواعد واركانا وملكوا من المغرب
بلادا معتبرة وان كانا قبلها وطاغية [illegible] العباد اعتنهما وما كتب
ان هما غير مبدلين ولا مغيرين ولا باغيرين منكم بدا السلطان افاض عليك
عمك بحجته التي لا يمكنك جحودها حسبما ثبت كما يجب عقدها بحجة مبادرا
له برفعها ولغيته بما وانت واسهمه عقدها وحاول راية عقدها وعمل

ع
البطل

في بيعة لا يمكن بها احد فكيف ان يقابل جيشا من جنوده او يرابعه انت تحت لواء من الوطنية وبنو
دلم في اموال لا ان جرى القتال وجرى وحمي النزال رجعت على عقبها فارة منهزمة
مهزومة بغطرس وجنود لا تتناهى وكانت خير متاع فتركت عددها ومحلتها
بكل ما فيها وخلعتها العدوة بينهما وبيعتها وقصدت مدينة فاس المحروسة ○ ومنذ
وسكانها ينادي وظلم تتركنا والى من تكلنا فلم تلتفت اليهم واسلمت بلادهم على
ما فيها من خزائن الاموال والعدد الوافرة والرجال والاسوار المرتفعة
الشاهقة والمدينة المشهورة الجامعة فاصبح اهلها والبر العادية من النساء
والمعسرين تريان تمر الى الحريم والاولاد والهارب والبلاد ولاذ ابعد
الضعفاء والمساكين الا الله سبحانه الذي قال في مثلهم ومن اصدق من الله قيلا
لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فامكنهم بعد ضروب عنهم واسلامهم
لهم بوضاءة الا النظر في امرهم واعمال الفكر في التدبير على انفسهم فبينما هم كذلك
واذا بعمك بجنوده على باب فرشيم فاجابته سالكا في ذلك سبيل ابيه رحمه
الله ومحبته حسبما تقرر في الى عندكم وكنهم ولم يخف عنكم منه عين ولا اثر
اذ كان مولانا الجد الاكبر عمك ولاده مولانا احمد ومولانا محمد الشيخ واخوا
نهما لا ينولي الخلافة منهم ولا من اولاده وامتنع فقاتله على ذلك حتى تم
له الامر وانتظم وعمر لواء الدار الذي كان مواكبه لو ولاده فلم ينازعه احد في
بعد ذلك الى الغير والدك رحمه الله ذلك لك وعمر اليك فلم ينازعكم احد في
الله ان الحق فاعطى ملكه لعمك الذي هو اكبر بعد ابيك **فان سلمت**
فاي حجة ترى بها واي طريق تعتمد عليها وان انكرت منه ولا ابدا ان الخلافة
ابيك من قبلك ولا يجد من قبله لثبوتها لعمكم مولانا احمد اذ الحجة حينئذ
تجده في القيام على عمك بخلافته صحيحة ليستحجر له فلم يبق الا التغلب الذي
ترى به في مسئلة عمك وفي قيامه عليك فان كنت ترى ان تشفع حجته بالتغلب
عليك بحجة ابير في الشغوط لعدم ثبوت الخلافة لبني عبد الملك اذ المعروم

ع
له الاكبر فالاكبر والترمطاد الاخ الاول عبر
او الاولاد مطلب جرى من مقام الوطاء بن
والشيخ

شرعا

شرعا كان العدو حاضرا فلم نبق بينكم لا الملك بعد في ليلى من غلبنا فيلزمك على
هذا ان تثبت ما عقده مولانا الجد رحمه الله وعليه فالخلافة لعمك القائم عليك
اذ هو اكبر في هذا التاريخ **فان قلت** ان ما عقده الجد غير صحيح
قلنا فقد ذكر الامام الماوردي رحمه الله ورضي عنه في كتاب الاحكام
السلطانية له في باب عقد الخلافة ان عبد الملك بن مروان ولى ربتهما في اولا
كبر فلا الاكبر من بنيه فلم ينازعه احد في ذلك **فان قلت** فعل عبد
الملك بن مروان ليس بحجة **قلنا** سكوت العلماء على ذلك وهم من
هم في زمانه هو الحجة اذ لا يمكن ان يسكتوا على باطل وافرادا اهل العصر
الواحد على مسئلة من المسائل واتفاقهم عليها يقوم مقام الاجماع الذي هو
حجة الله في ارضه وكان ايضا من محفوظات اهل فاس المحروسة ما اخرجه
مسلم رضي الله عنه في صحيحه في كتاب الامارة ما نصه **قال رسول
الله** صلى الله عليه وسلم يرفع لكل غادر لواء يوم القيامة عند استه يقال
هذه غدرة فلان بن فلان الا ولا غادر اعظم غدرا من امير عامة **قال**
القاضي ابو الفضل عياض بن موسى رحمه الله في كتاب اكمال المعلم على شرح فوائد
مسلم يعني لم يحطهم ولم ينصح لهم ولم يف بالعهد الذي تقلده من امرهم
وفي الباب بنفسه عنه عليه السلام ما نصه ما من امير استرعاه الله رعية
ثم لم ينصح لهم لم يرح رائحة الجنة وان ريحها يوجد من مسيرة خمسمائة
عام وفي الاكمال بنفسه **قال القاضي** والذي عليه الناس ان الغير الما
بعوا فوضا مهملين لا امام لهم فلهم ان يتفقوا على امام يقيمونه ويستخلفونه
عليهم ينصف بعضهم من بعض ويقيم لهم الحدود **قلنا** اسلمتم وافقوا
بغير امام وعمك يزعم بحجته التي ذكرنا لك مع ما حفظوه من كلام النبي صلى
الله عليه وسلم وكلام السلف الصالح وايسر من زجرهم لهم ولم يبقوا فوضا
مهملين لم يسعهم الا الرجوع لما عليه الناس رضي الله عنهم فاتفقوا

ع
عقلا

عامة

اللهم صل على سيدنا ومولانا محمد وآله

على ان يبايعوا عمك لما ذكرنا لك من الحجج التي لا يسعها جحودها الا على وجه المكا
برة فاطمأن الناس وسكنوا وانقمعت السبل وانبثت الجنود وارتفعت النيرا العادية
فان قلت كان يجب على اهل فاس ان يقاتلوا على البيعة التي من قبلها لك قلنا
انما يلزم القتال ان لو كان بين الطائفتين يكون قتالهم على وجه شرعي لان القتال على
الحدود الشرعية انما يكون بعد نصب امام يصدر الناس عن رايه ولم يمكنك ايضا
حجرها ابدا ثم وصلت من اكثر القبائل التي تجبى اليها الاموال من القواد
والاقطار وتسارع اليها الرجال من سائر الاقطار وتلقيت اليها بالرحب والسرور
وانواع الفرح والحبور وعمرت خزائنها تضم ما هو من كل شيء وجاءها اشرافها
ورجالها حين كانت في القرية الاولى والبرج النبوي يحل اليها بحلل وتمكنت من اقوالها
وخزائنها واقبل اهلها فانكسروا وما عزروا ولا خرجوا عليك في سلطانها ولا
انكروا فعلمت ايضا قتال عمك وحضرت جنود الا حجمها دينا وحاجة ولا يغرها
لسان لا بغى فخرجت اليه تجر اعنة الخيل خلفك كالسيول والرقات ملات الهضاب
والتلول فما كان من حرقتك الا ان وقع القتال وحمي النزال فبادرت مقاربا
محكما العاجلة تاركا للرؤساء من اجنادها والقادة تجلت بهم الحصون والزوايا
واختصمتهم ايدي المنايا فتركت ايضا محلتك بما فيها من حريمك واموالك وعز
تك ثم اسرعت هاربا الى اكثر ما هو جاعلها الحرمين اهلها ولا قال لك احد
لست ببعلها فعملوا على القتال معك والتمنع باسوار مدينة الحمينة والحصار
داخل الحرينة قلنا كان الليل غررتهم وغررت بناتك واخواتك
وعماتك ونسائك وخرجت عنهم من القصبة وتركتهم لا ابواب عليهم ولا
حارس ولا راجل ولا فارس فيا لها من مصيبة ما اعظمها او من داهية
ما افظعها ولولا بفضل الله ولطفه ووعده لتطهير اهل البيت ابي الهم
المستدل من البيعة فاي حجة تبقى لك بعد هذا واي كلام لك بين الرجال
فامتاز فتم جاء عمك ايضا بما سلف من الحجج بوجه اهلها في لعله الله

سبحانه وهم يحرسون اولادهم وقد بادروا من يد العادية فانقذهم الله بما اقتضى
فبايعوا عمك واطمانوا وسكنوا ثم ضربت الجبال عنه صاحبه فحصرها في نهب
اموال الرعية وسعيك في قتالهم واكثرها قبالك من ذلك اهل الزرقة المصغ
ين يحكم الغزوات الداخلين تحت عصر سيد التغلب في الامر ولا قار قافت
وانا منهم في استيلائك عليهم وتغلبك كما قيل

• ان من مشتوليا على اخر الا على اضعف الجانبي •

وقد قال بقول النبي صلى الله عليه وسلم انا خصيم من ظلم ذميا يوم القيا
مة ثم خرجت العامر وانتشرت ما شيرا لاهل الاسلام من الحاكي
قلنا ان اهل الشورى الا فضلة الى ايعنوا اليك انما انتصرت خرا
ب الاسلام واهله فتشتت عنك اهل الخير والعلم منهم ودعيت كما قيل
في خلع كجلد الاجرب فان قلت ان اولادك الخلع لم يبايعوا
بشغلهم فافرزناه قلنا لم يقع في خلافة امير المؤمنين
ابي الحسن علي بن ابي طالب رضي الله عنه من تخلف عنها من اهل الشام وغيرهم
من قد علمت من الناس ولا اجماع على صحة بيعته وسمي من تخلف عنها باغيا
بقول النبي صلى الله عليه وسلم لعمار تقتلك الفئة الباغية فقتله اصحاب
معاوية رضي الله عنه والحديث من اعلام نبوته عليه الصلاة والسلام
والقاعدة ان من اجتمع عليه من يعتبر من اهل العصر الواحد من اهل الحل والعقد
ولا يعذر خلاف من خالف خلافا وهذا كله بالنظر الى ما كان
من حزبك قبل التحيز مع عمك الى ان حرب التخليط العظيم على المسلمين
فان انفقت معهم على دخول الميلة واعطيتهم بلاد الاسلام فيا لله ويا لر
سول الله لهذه المصيبة التي احرقتها وعلى المسلمين وتعيقها ولا كرم الله تعالى
لك ولهم بالمرصاد لم تتمالك ان القيت بنفسك في الهم ورضيت بجوارهم
ومن التمهم كانت ملكهم سمعت قول الله سبحانه يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا

اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم
قال أبو حيان رحمه الله أي لا تنصروهم ولا تستنصروا بهم وفي
كتاب القضاء من نوازل الإمام البرزلي رحمه الله أن أمير المؤمنين علي
ابن يوسف بن تاشفين اللمتوني رحمه الله استفتى علماء زمانه رضوان الله
عليهم وهم قاطبة في استنصار ابن عباد الأندلسي بالكتب إلى الإفرنج أن
يعينوه على المسلمين فأجابه جلهم رضي الله عنهم بردته
وكفره وبناء على ذلك فصيلة تجريدها الأخروية مناسبة لقضاء ابن عباد
في عقرها افتراء وأنه مشترط الكفر وجب العزل وناهيك بقول النبي
صلى الله عليه وسلم عليكم بالسمع والطاعة ولما أفتى
العلماء رضوان الله عليهم بردة من استنصر بالنصارى على المسلمين
… مرجلي في وجوب خلعه وسقوطه … فلم ينازع الا منازعة
الحق سبحانه في حكمه ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب
وأما قولك في النصارى إذ رجعت أو … أمثال العروة واستعظمت
أن تسميهم بالنصارى ففيه الحقد للمزاله يخفى وقولك رجعت اليهم حين
عدمت النصرة من المسلمين ففيه محظوران يخرج عنهما غضب الرب
جل جلاله أحدهما كذلك اعترفت أن المسلمين كلهم على ضلال
وأن الحق لم يبق من يقوم به إلا النصارى والعياذ بالله الثاني
أنك استغثت بالكفار على المسلمين وفي الحديث أن رجلا من
المشركين من عرف بالنجدة والشجاعة جاء إلى النبي صلى الله
عليه وسلم … بحجر الوبرة فقال له يا محمد جئت لأتبعك فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم إن كنت تؤمن بالله ورسوله فقال لا فقال
له عليه الصلاة والسلام إني لا أستعين بمشرك وما سمعته
من قول العلماء في الاستعانة بهم إنما هو بأن يجعلهم خدمة لا زيادة الدواب

لا مغاثة

اللهم صل على سيدنا ومولانا محمد وآله

٣٥

لا مغاثة … أما الاستعانة بهم على المسلمين فلا يجهلها إلا من بال من قلبه
وراء لسانه وقد قيل قديما لسان العاقل من وراء قلبه وفي قولك يجوز للانسان
أن يستعين على من غصبه بكل ما أمكن وجعلت قولك من أفقه أفتح لك
دليلا بجواز الاستعانة بالكفار على المسلمين وفيه أي مصادمة للقرآن
والحديث وهو عين الكفر أيضا والعياذ بالله وقولك فإن لم تجعلوا فأذنوا
بحرب من الله ورسوله أو مع حزبه فما قلت وفي الحديث يتكلم
أحدكم بالكلمة تهوي به في النار سبعين خريفا وما سمعت جنود الله وأ
نصاره وحماة دينه من العرب والعجم قولك من أهلتهم الغيرة الإسلا
مية والحمية الإيمانية وتجدد لهم نور الإيمان وتجدد لهم نور الإيمان
وأشرق عليهم شعاع شعله الإيقان فمن قائل يقول لا دين إلا دين محمد صلى
الله عليه وسلم ومن قائل يقول سترون ما أصنع عند اللقاء ومن قائل يقول
ليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين ومن قائل يقول إنما قصد التشفي في
المسلمين إذ لو كان يطلب الصلاح لما صدر منه مثل هذه الفعال القبيحة
الخبيثة التي يجزيهم الله عن الإسلام خيرا ورضي عنهم وبارك فيهم
فلله درهم من بطل وفرسان وأبطال وشجعان فلو لم يكن
إلا ما عمر قلوبهم على الدين لكان كافيا في صحة إيمانهم وعظيم إيقانهم لقد بلغ
نور غضبهم في الله سبحانه ساق العرش والحب في الله والبغض في الله من
قواعد الإيمان وقولك أيضا متبريا من حول الله وقوته فإن لم تجعلوا فا
لشيء بعد كلام من يأوي يدل على حياء قائله وقد أبانا قائلك سيطفي معنا
وأنت مع المسلمين نيفا وعشرين معركة لم تثبت لك فيها راية ثم زال نبا
إلا وبالكفار … المعركة فتأملها وأما ما نسبتم لأهل دار الحرب
فكفاك عجزا أن تعين لنا نصا جليا نعتمد عليه فيما نحتج به إلا أنك أكثرت
سواد القرطاس مغرفا بذكر ما لا معرفا بنصه وما نسبته للحنفية من أكل

لا يبرأ منه مع الله ورسوله أحد

من أكل الميتة عند الضرورة وإباحة الغصة بالخمر بقدر ما نص عليه المالكية
في مختصر أقرب إليه اللغو بها للمصياد ويعزو لك عند الحنفية أما
نصرو وأما الغناء لمذهب مالك رضي الله عنه وهو النجم الثاقب **وأما**
قولك إننا أهل بغي وعناد فلا اشتغلت بذلك إلا إن لو فتن بين الحضرنا
وقاتلت معنا حتى ترى أنسلمك أم لا فإذا أهربت عنا وتركتنا فالحجة عليك لا
علينا على أنك في كتابك تبسط الكلام في ذلك وتكثره **و**قد قال العلماء رضي
الله عنهم من يقول بتكفير العامة بما أولى بالتكفير وذلك معزو لزعيم العلماء
أبي الوليد بن رشد والقاضي أبي الفضل عياض رحمهما الله **و**كيف لا تفتخر لقضايا
تلمسان وتونس وغيرهما من سائر البلدان كيف وقع لأمرائهم المستنصرين
بالكفار على المسلمين هل حصلوا على شيء مما قصدوه أو بلغوا شيئا مما أملوه
على أن أكثر العلماء حكموا بردتهم فقاتلهم الدنيا والآخرة والعياذ بالله
وقد افتخرت في كتابك بجموع الروم وفيما معك وعولت على بلوغ
الملك بجنودهم وأنى لك بذلك مع قول الله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم
[illegible] دينا ويأبى الله إلا [illegible] الكافرون **وفي الحديث** عن النبي صلى الله
عليه وسلم لن تغلب هذه الأمة ولو اجتمع عليها من الكفار ما بين لابتي
الدنيا **و**عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال سيقاتل آخر هذه الأمة الد
جال **وعنه** عليه الصلاة والسلام أنه قال سألت ربي ثلاثا فأعطاني
اثنتين ومنعني واحدة سألته أن لا يهلكهم بسنة عامة فأعطانيها وسألته أن
لا يسلط عليهم عدوا من الكافرين فأعطانيها **و**سألته أن لا يجعل بأسهم بينهم
فمنعنيها والكل عليك وإياك أن تعتد وما ذكرته من همتك فاعلم أنه لما بلغه
خبرك واستنصارك بالكفار عقد لواءه المنصور بالله في وسط الجامع
المنصور بعد أن ختم عليه أهل الله جملة [illegible] مائة ختمة وصحيح البخاري
وضجوا [illegible] بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير

التزبير

النذير والدعاء له وللإسلام بالنصر والتكبير والعياط الشامخ [illegible] فلو سمعت ذلك
لعلمت وتحققت أن أبواب السماء فتحت لذلك ونصرنا مثالك وبلغه كتابك
الذي كان [illegible] بإجماع [illegible] من جنود الله وأنصار
دينه فاجعل الله فيه البركة **و**لولا أن الشرع العزيز أمر بتعظيم جنود الإسلام
والمباهاة بها وإلا بتفخار بكثرتها للعدو فالكن [illegible] أن لا اعتماد له إلا [illegible]
علينا **و**كذلك نحن لا اعتماد لنا [illegible] العلي حول الله وقوته ونصره وتأييده
والناس على دين الملك وقد فاتك وأنت في وسط المسلمين في نحو عشرة معركة
لم تنتصر في واحدة منها فأي نخوة [illegible] الروم [illegible] فالله لك
ولمن [illegible] فارجع إلى الله أيها المسكين وتب إليه فإنه يقبل التوبة عن
عباده في كل وقت وحين ودع عنك من لم يتمسك بحاله ولا يدلك على الهدى
[illegible] نصيحة إن قبلتها وموعظة إن وقفت عليها والله يهدي إلى
صراط مستقيم والله نعم المولى ونعم النصير وهو حسبنا ونعم الوكيل والسلام

ثم ذكر الخبر عن غزوة وادي المخازن • وما وقع فيها من النصر المبين •

قال في المنتقى هذه الغزوة من الغزوات العظيمة والوقائع الشهيرة
حضرها جم غفير من أهل الله تعالى حتى أنها أشبه شيء بغزوة بدر
حدثني شيخنا أبو راشد يعقوب اليدري [illegible] الزجلامي
[illegible] ذلك العتو [illegible] للنصارى [illegible] حتى [illegible]
[illegible] **و**كان خروج النصارى في هذه الوقعة بجيوش هائلة وجموع عديدة يقال
إنهم مائة ألف وخمسة وعشرون ألف مقاتل وقصدوا [illegible] الغرب وحصد
المسلمين [illegible] على أهل الدين فعظم ذلك على الناس
وامتلأت صدورهم وقلوبهم كربا وبلغت القلوب الحناجر واشتعلت على
أهل العقول من ذلك نيران الهواجر إلى أن أتاح الله لنصر دينه وإعلاء

كلمته وكيف من لهو منع الله تعالى يخطر لاحد ببال وسبب ذلك ان السلطان محمد
ابن عبد الله لما دخل من صنيعة قصد الطاغية واستصرخه على عمه وطلب منه المعونة
بشرط تمليك الطاغية ان يكون للنصارى ساير السواحل ولهم ما وراء ذلك فقبل
ذلك محمد والتزمه واشتد عزم الطاغية بستيان البرتغالي وقال برتقيس بجرجوايج
بجيش وافر وسلاح بيان نهايته حسبما نقله ابن القاضي والذي عند غيره انهم كانوا
نحوا من ستين الفا وقال في المنتقى وعدد الكفار ماية الف وخمسة وعشرون والخمس
والعشرون بقيت في السفر والحماية الاولى اسر بعضهم وقتل الباقي في التيه وكان وقع
نحو الثلاثمائة من اصحابه قال بعضهم وكان عدد الانفاض الذين حضروها
ما يتيسر من الانفاض وشنوا الغارات على السواحل فاغتم لها عبد الملك وكان بمراكش
وشكوا اليه كلب العدو عليهم فكتب عبد الملك من مراكش الى الطاغية ان سطوتك قد ظهرت
في خروجك من ارضك وجوازك العدوة فان ثبت الى ان نقدم عليك فانت نصراني
حقيقي شجاع والا فانت كلب بن كلب فلما بلغه الكتاب غضب وشاور اصحابه
فقال نتقدم هنا حتى يلحق بنا من خلفنا من اصحابنا فقال لهم محمد الراي ان نتقدم
ونملك تطاوين والقصر والعرائش ونجمع ما فيها من العدة ونتقوى بما فيها من
الذخاير وانجب غالب الاراء اهل الديوان ولم يعجب الطاغية وكتب عبد الملك
للخليفة اخاه ان يخرج من فاس واحوازها ويتهيا للقتال وكتب عبد الملك للطاغية
غيظا ايضا اني رحلت ستة عشر مرحلة اما ترحل انت مرحلة واحدة فرحل العدو
من موضع يقال له تاهدارت ونزل على وادي المخازن بقرب من قصر العدوة كتامة
وكان ذلك من عبد الملك مكيدة ثم ان الطاغية قطع بجيوشه وقطع وعبر
جسر الوادي وتراس منزله قرب العدوة فامر عبد الملك بالقنطرة ان تهدم ووجه
لها كتيبة من الخيل فهدموها وكان الوادي لا مشرع له ثم زحف عبد الملك
الى العدو بجيوش المسلمين وخيل الله المسومة وانضاف له من المتطوعة كل من غلب
رغب في الاجر وطمع في الشهادة واقبل الناس سراعا من الاوطان وابتدروا حضور

صدرا

٢٧

هذا الشهر الجليل وكان قد حضرها من اهل اعيان ابو المحاسن يوسف الفاسي رحمه الله
وغيره **وسمعت** ان الشيخ الغوث سيدي ابا العباس السبتي رحمه
الله رؤي فيما حضارا على بر سراتهم وهو يحض الناس على التقدم وكان يشتكي هذا
فان الشهداء احياء عند ربهم فالتقى الجيشان وزحف بعضهم الى بعض وحمي
الوطيس واسود الجو بنقع الجياد ودخان المدافع فلما قامت الحرب على ساق
والتفت الساق بالساق **توفي** عبد الملك عند الكرة الاولى وعند
ما اضرمت نار القتال وكان من قضاء الله السابق انه لم يطلع على وفاته
احد الا حاجبه مولاه رضوان العلج فانه كتم موته وصار يختلف الى الخباء
ويقول ان الامير يامر فلانا ان يذهب الى موضع كذا وفلانا ان يلزم الراية
وفلانا يتقدم وفلانا يتاخر وقال شارح الزهرة ومات عبد الملك لم يعلم
الذي كان سايسا للسعدية فوته بنحو الكفر ويقول للجند الملك يامركم بالتقدم اليهم
وعلم بموته ايضا اخوه المنصور فكتمها ولم يزل كذلك والناس في الحملة
ومر انغضة الغواضب واحتساء كؤوس الحمام الى ان هبت على المسلمين ريح
النصر وساعدهم الزمن النضر وافترت لهم مراجيهم زهور الفتح وولى المشركون
الادبار ودارت عليهم دايرة البوار وحكمت السيوف في رقابهم فيروا ولات
حين فرار وقتل الطاغية بستيان البرتغالي غريقا في الوادي وقصد النصارى القنطرة
فلم يجدوا الا اثرها فكانت تلك من اكبر الاسباب في هلاك الكفار واعظم الحبايل
في اقتناصهم ولم ينج من الروم الا عدد نزر وشرذمة قليلة وحصل في القتلى
محمد بن عبد الله المتوكل غريقا في وادي المخازن ذلك انه لما رام النجاة الغريق بنفسه
وراما فقصد وغرق فيه فاستخرجه الغواصون فسلخ جلده وحشي تبنا
وطيف به في مراكش وغيرها فلم وجرى في القتلى بعد ابو عبد الله محمد
ابن عثمان صاحب الروضة ان قتل يوم المسلوخ وكان مرابطا انه وجد
حاله بعد بلاد الروم بوجرقاتير جيش الروم النصارى وقتيلا وتكلم الناس

في امره حتى قيل انه وجد محل اشماله مستديرا للقبلة وحدثني يقول الفقيه
العلامة سيدي محمد بن ابي القاسم الشهير بسيدي عبد الله الهبطي رحمه الله في منظومته
التي نظم فيها الطلاب ابيه معتزرا عن ابن عسكر المذكور ومشيرا الى توهين ما
قيل فيه

ومنهم الشيخ الزكي ينكر ٭ محمد اخو الرؤساء عسكر
وان يكن اتى بذنب كامن ٭ بعزفه من الشكوك كامن
رايته في النوم ذا بشارة ٭ ومنية حسنة وشارة

وكان التقاء الجمعين يوم الاثنين منسلخ جمادى الاولى عام ستة وثمانين
وتسعماية قال في المنتقى وكان قدر القتلى ثلاثة وخمسين او اربعين درجة
او اثنين وخمسين على ما حدثني به بعض الحيساب انتهى وتوفي
عبد الملك في زوال اليوم المذكور وبايع الناس اخاه ابا العباس احمد
المنصور كما سياتي ان شاء الله تعالى قال في درة الحجال اتفق بحكمة
الله العظيم موت ثلاثة ملوك في يوم واحد وهم ابو مروان ومحمد بن عبد
الله والطاغية بسبستيان وقام واحد وهو ابو العباس احمد المنصور ولما
بلغت الهزيمة الى الطاغية ان غشيهم بعث الى المنصور بعد استبداده بالملك
ورجوعه لفاس كما سياتي يلتمس منه الفداء فيمن بيده من الاسارى فقبض منهم
وجمع من ذلك اموالا سنية وذكر بعضهم ان الاسارى لما توجهوا
الى بلادهم قال لهم الطاغية لم تاخذوا الغنم والعرايش وتكاون قبلا في
بعد ملككم فقالوا له امتنع من ذلك الامير الذي بعثته علينا فامر بهم
فاحرقوا اجمعهم غريبة وفيما قصصته ذكر بعضهم ان النصا
رى لما وقعت عليهم الكاينة المذكورة وفني من بقي منهم بهذه الساعة
قلة الروم وخلاء البلاد لكثرة من فات منهم اباحوا للعامة فاحشة الزنى
ليكثر التناسل ويخلف ما هلك منهم واقرانهم ذلك من ذم ديانتهم وتقويم

ملتمسهم

ملتمسهم اخزاهم الله ودمر اثرهم

ذكر الخبر عن سبب وفاة مولانا ابي مروان عبد الملك وتعيين اخباره

قال ابن القاضي كان سبب وفاة عبد الملك انه سقي سما وذلك ان
قائد الاتراك الذي كان معه واسمه رضوان العلج بعث لبعض قواد معه او تلقا
منه بكعك مسموم هدية لعبد الملك وفتحوا زمم عليه فمدد بذلك القتل
تعذر اخذه بيده فرنيده فاستبشيت نفس الملك فيما فلم يكمل الله مرادهم لما انشا
مروان من عظيم جيش المغرب وكان ذلك سبب موته انتهى ولما توفي
حمل الى مراكش ليلا وكانت مدة خلافته اربعة اعوام ومن جملة الفقها
ابن غزوان العلج وكتابه محمد بن عيسى ومحمد بن عمر الشاوي وقضا
ته قضاة اخيه وكان يتزيا بزي الاتراك وكان يجري مجراهم في كثير من
شؤونه وكان يتمتع بالالات وربما كان يشرب المسكر ويلقب من الالقاب
السلطانية بالمعتصم وكان اخوه ابو العباس المنصور خليفته على فاس وله
فيه محبة تامة وكان يظهر انه ولي عهده ويدرجه لذلك كثيرا وقد وقفت
على رسالة كتب بها اليه ابو مروان تدل على ذلك ونصها
بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد واله وسلم من عبد
الله المعتصم بالله المجاهد في سبيل الله امير المؤمنين ابي مروان عبد الملك ابن
امير المؤمنين ابي عبد الله محمد الشيخ الشريف الحسني ايده الله اقوى واعز نصره
واسعد زمانه المبارك وعصره وابقى فخره لمن دعوا له ابد ايده الله ونصره
الى اخينا الاعز الاحظى بنا احمد حفظه الله سلام عليكم ورحمة الله
وبركاته وبعد فاعلم انا لا احب احدا بعد نفسي محبتي لك ور
غبتي في اشغالك عنا الامر بعدي لانك لا اعرف احدا يعتمد منه الترا
خي في الامور حتى انك لا تبالي بعظيم الامر ولا تعتني ان يحصل وان قا

بيلا بين جحور امرأته فوران التي تكاد لولا لطف الله تذهب بهذا الملك وتمر او كا
د وبلغ العدو ومعه مافينا، ومرادهم من ذلك في هذا التراخي انما هو ان امر الجند الذي
بالعرايش واغتيالك له مع ما يتراءى عليك في كل ساعة من تلقاء بعض من اشترعاء
ما دعت الحاجة اليه من المونة والبارود والرصاص الذي لا يستغني عنهم الا
من في مغاومة العدو ودون ذلك وجعلت تغافل عن خطابهم بالاهمال وعدم المبا
لات الى ان ساعة يرد عليك كتابنا هذا فبادر وقتا ووقعه من يدك ابعث
لهم مونة عشرة ايام ريثما نصل ان شاء الله فيقع الترتيب فيما يحتاجونه زايدا
على ذلك فقد عندكم هنالك من البارود والرصاص من غير عطلة ولا تراخ
بحيث انقلب منك عن ان في هذه المسالة التي لا تحتاج للاهمال ولا يبرد ولا يبرز **وقد**
بلغنا ان صاحب النصارى بغرب اصيلا في خمسة عشر ماية من النصارى وتحيث
ان لو تحركت الهمة للاقتحام في مكانه بجيش يكنسه ارجية الصغار ويبز
في ساعة رويته الى عادته من الذل والعار فانتبه من الغفلة وافتح عين
الانتباه واليقظة فان الساعة لا تفتقر الا الحزم والتشمير عن ساعد الاجتها
د والعزم انتهى

ذكر الخبر عن اولية السلطان ابي العباس مولانا احمد المنصور الذهبي

رحمه الله صفته رحمه الله كان طويل القامة ممتلئ الخدين واسع المنكبين تعلوه
صفرة رقيقة ادعج اسود الشعر اكحل العينين براق الثنايا جميل الوجه
مليح الصورة ظريف المنزع لطيف الشمايل حسن الشكل وكانت ولادته رحمه
الله بفاس سنة ست وخمسين وتسعماية وامه الحرة المسعودة بنت الشيخ الاجل
ابي العباس احمد بن عبد الله الوزكيتي الورزازاتي وكانت من الصالحات
خيرية على افضل المفاخر وراغبة في فعل الخير **قال في المنتقى**
ومن انشاتها المسجد الجامع بحومة باب دكالة داخل مدينة مراكش

وحبست

وحبست عليه اوقافا عظيمة وكان ذلك الاتمام في خمس وتسعين وتسعماية
وهي التي بنت جسر ام الربيع وغير ذلك **و** توفيت رحمة الله عليها سحر يوم الثلا
ثاء السابع والعشرين من صفر في متم الالف ومن المستفيض انها ربتتني
دهر ومرتها بسيلت ما جعل الله بها فقالت عجبت لمن يشتبه انه كتب ذات يوم جا
لسة لقضاء الحاجة فسمعت المؤذن شرع في الاذان فجردت على ثيابي اعظا
ما لذكر الله حتى فرغ المؤذن من اذانه فشكر الله لي ذلك فجمع في **و** نشا
المنصور رحمه الله بين عفافه وصيانته **وكانت** مخايل الخلافة لايحة عليه
عفرتا من لدن عليه التمايم وكان ابوه المهدي ينبه على ذلك واسطة عقد
اولاده **قال** في مناهل الصفا حدثني الشيخ المسن القايد ابو محمد
مومن بن الغازي العمري ان المنصور اقبل يوما في حياة ابيه وهو صبي والمجلس
غاص بالاكابر فاندفع يخترق الصفوف فصاح في المهدي اخذ الدواة انا امغ
القوم فقال ايا مومن اذ بعد فسيتعظ ويتضع ويعطي فابشر ان هملة وكان كذلك فان
المنصور لما افضت اليه الخلافة كان القايد مومن بن الغازي عنده بالحظوة الرفيعة
والمنزلة العالية **قال** ابو فارس ولما اخذ المهدي البيعة لولديه السلطان الغا
لب بالله كما تقدم استقدمهم من فاس واوصاه بالمنصور خيرا وقال له ان الغاية بيد
ك وكما قال وكان المنصور يحدث انه راى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم وانوار تشر
ق قال فوقع في نفسي ان اسال عن نصيبي من الخلافة فكاشفني عليه السلام بما في
خاطري واجابني بما حفظ في مقالته اشار لي بها بعد الثلاثة التي يتقدمها
الابهام الى السبابة والوسطى وقال امير المومنين **وحدث** الفقيه
شيخ الخلفاء العالم الولي ابو عبد الله محمد بن محمد بن علي الدرعي الجزولي انه
اجتمع ببعض اهل المكاشفة بمصر فسالوه عن السلطان المهدي وعن اولاده فسمى
بتسميتهم له واقتصر على الكبار منهم فلم اذكر المنصور لانه كان اصغرهم سنا
اخذ الحق فقال الذي بقي منهم فلم تذكره فقلت نعم اخ يقال له احمد واسقطه عمدا منهم

ووجه متقبض بكاء كذلك وقال الامام ابو زيد عبد الرحمن بن محمد التمنا
رتي في كتابه الفوائد الجمة باسناد معلوم الائمة اخبرني الفقيه ابو العباس احمد
ابن عبد الله الزغودي صاحب الحسبة بتارودانت انه اخبره انه رأى في منامه كأنه في حلقة يسمع
فيها صحيح البخاري بجامع دار الخلافة فجاء ابو العباس المنصور ووقف بها اقبل ولما بيده
قال فرأيت في طرة الكتاب ورق الزند وكنت اتأمل معناه فالتفت فاذا برجل بفنا حيث
انظر فيها على كتفيه فوقع في نفسي ان اسأله فانتبذ بالكتاب وقلت له يا سيدي ما
معنى هذه الكلمة التي في طرة هذا الكتاب فقال في الفور احمد انا الذي اورثني زندا
قادحا على الحق فان عدلت عنه فانا بريء منه فقلت له ومن انت يا سيدي فقال لي رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم لم يلبث الا قليلا فولي الخلافة ومهدت سيرته قال
ابو زيد فانظر ما في ذلك من زند اورثه النبي صلى الله عليه وسلم وهذا يدل على ان
ولي من الاسلام لا ينعقد الا بأمر النبي صلى الله عليه وسلم وقد
اشتهر من الرواة بذلك انتهى وقريب من هذا ما ذكره صاحب كتاب ابتهاج
القلوب في مناقب سيدي عبد الرحمن المجذوب ان الولي سيدي قدار المالكي رأى النبي صلى
الله عليه وسلم يوما فشكا اليه اولاد مكاع لما نزل بهم عليه من الفساد في البلا
د فقال النبي صلى الله عليه وسلم يأتيهم احمد وكان كذلك اذ قام بالغرب السلطان
احمد المنصور فاخذهم وفرق جمعهم كما سيأتي ان شاء الله تعالى وذكر في المنتقى قال
مرض المنصور في صغره مرضا شديدا حتى ايس منه فرأت امه في النوم شخصا يقول لها
زوريه لسيدي الدراس بن اسماعيل نفع الله به فلما افاق بعثت به زورته اياه فعوفي
واخباره من هذا النمط يطول تتبعها

ذكر الخبر عن دولة المنصور واول امرها

قد ذكرنا كيفية مبايعته قبل وانها كانت عقب واقعة وادي المخازن في يوم الاثنين
جمادى الاولى عام ستة وثمانين وتسعمائة واجتمع عليها اهل الحل والعقد
ممن هنالك من الاعيان ثم لما قفل المنصور من تلك الغزوة ودخل فاس في يوم

الخميس ثامن عشر جمادى الآخرة من السنة المذكورة جددت له البيعة بفاس ووافى عليها من لم يحضر
ها في حومة الوغى ثم بعث لمراكش وغيرها من حواضر المغرب وبواديه فاذعن الكل لل
طاعة وسارعوا للدخول فيما دخلت فيه الجماعة ولما تمت للمنصور البيعة بوادي
المخازن كان اول ما بدأ به ان الجيش طلبوا منه ان يقرهم واستحيوا منه عطايا قوم حسبما جرت
به عادة من قبله معهم فطالبهم بتخميس الغنيمة لانهم جعلوها نهبا ولم يقتسموها على
الوجه الشرعي فصعب اخراجها منهم لعدم التمييز وجرأة الناس على الغلول فسلم
لهم فيها وسمحوا له في رواتبهم

ذكر الخبر عن بعث ملوك الآفاق للمنصور للإ
بإخبارهم عن هذا الفتح المبين

قال الفشتالي لما وقعت غزوة المخازن وكتب الله فيها الظهور والغلبة ونصر الدين
واستوثق الامر للمنصور وتمت له البيعة كتب المنصور لصاحب القسطنطينية العظمى
ولسائر ممالك الاسلام انجادا وبني المغرب يعرفهم بما انعم الله به من اظهار الدين وهلاك عبدة
الصليب واستئصال شوكة الروم ووصل كثير منهم في نحورهم فوردت عليه الارسال من سائر
الافاق مهنئين له على ما فتح الله عليه وكان اول من ورد عليه رسول صاحب
الجزائر ثم تلته ارسال الطاغية برتقال اذ بلغ القائم بامر الروم بعد هلاك ولد اخته
بستيان بوادي المخازن بهدايا وتحف عظيمة وضعوها يوم الدخول لفاس على العجلات و
العوارض فعجب الناس منها عجبا بليغا وكان فيما اشتملت عليه هدية الطاغية فاتنا من ربال الفضة
واما الطرف والتحف النفيسة فامر لا يحصى ثم وصلت ارسال
طاغية قشتالة بهدية عظيمة فيها اليواقيت الكبار التي انتزعها الطاغية من تاج ابائه وزعم
انه ملوكه مملوءة من الدر الفاخر وقصب الزمرد وغير ذلك وتكلم الناس فيما بين
هدية برتقال وهدية طاغية قشتالة ايها اعظم ولم يفز اهل العقول التفاوت بين
الهديتين ثم وافت ارسال السلطان خاقان العثماني وعظيم
هديته ومن سبقه محلي لم ير مثله وطاء واصغى منا ثم قدمت ارسال الطاغية الفرنجة

ويقال لهم اليوم اهل نصف وبها يعرفون اليوم ومعهم مدينة عظيمة ولم تزل الوفود
مترادفة ببابه والاموال تنصب وتمشي على عتبته الى ان بلغوا اجلهم تتشوق النفوس
لبعده وحنين الحنان نفس المنصور وقرت عينه بتمييز الامر له **وفي جمادى الاولى**
عام سبع وثمانين مرض المنصور مرضا مخوفا وكاد يهلك حتى كادت الامور ان تختل ثم
تداركه الله على يد الحكيم الماهر ابي عبد الله محمد الذهبي **وفيها** انتقل من مرضه
احسن للطبيب المذكور ونثر عليه من الخلع يوم خروجه ما لا يحصى وكان يوم خروجه
يوما مشهودا **وفي ذلك** يقول الفقيه اللغوي الاديب ابو عبد الله محمد
ابن علي الهوزالي المعروف بالنابغة

تردى اخي من سقمك البدر والبحر وحق لشكوى جسمك الشمس والبدر
وبات الورى عليك خوفا مسهدا واصبح قد عم الفؤاد الذعر والغمر
فلما اعاد الله صحتك التي اقلت بها من عمهم البدو والحضر
تراءت لنا الدنيا بزينة حسنها وعاد الى ايامها ذلك البشر
وطاب له الاسلام في كل بلدة يسير ويدعو ان يطول لك العمر
وصحت لنا الامال بعد اعتلالها وعادت الى ابان بلاغ اغطنا الحنق
ولا غرو ان حامت على سمعه النذر اذا الغيم وجه الارض واحتبس القطر
لسيب ابي العباس انهمت سحائبا فرويها جاوزت ان يعاودها الشكر
لمن جعلت بيض المعالي بقدرها ونشر الكلمات البيض واللون السمر
بقيت لهذا الدين تحمي ذماره وتحميك رب العرش ما بقي الدهر

ذكر الخبر عن اخذ البيعة لولده ولي عهده
محمد الشيخ المامون وسبب ذلك

قال الفشتالي لما ابل المنصور من مرضه المذكور وعاد الى حاله من
الصحة اجمع رأي اعيان الدولة واتفقت كلمة كبرائها على ان يطلبوا منه تعيين
من يلي الامر بعده ويكون ولي عهده وكان المنصور رضي الله عنه لم يبق احد على مراجعته

في ذلك فاتفقوا على ان يكون التلطف لذلك القائد موسى بن العلج العمري لما له من الدالة
على المنصور بطول الخدمة وسابق التربية فقال له القائد المذكور يا مولانا الله تعالى
حفظ الاسلام بابقائك من هذا المرض وعصم الدين ببقاء مهجتك وقد بقي الناس في
ايام سقمك في حيرة عظيمة وقد خلعهم من الدهش ما لا يخفى عليك ولو عينت لنا من
ابنائك الصالحين من تجتمع كلمة الاسلام عليه ويشار بالخلافة اليه لكان اولى
والزم بسياسة الملك **وولدك ابنك الاكبر ابا عبد الله** مولانا محمد المامون
حقيق بذلك وجدير بسلوك تلك المسالك لما فيه من خلال الخير وخصال السيادة
زيادة على ما هو عليه من التيقظ في اموره والحزم في شؤونه وقد وضح للناس
من محاسن سيرته واطلعوا على جميل سريرته فاستحسن المنصور ذلك واعجبه
ما اشار به عليه فقال له سوف استخير الله في ذلك فان كان من عند الله يمضه
فلبث المنصور اياما يستخير ربه في ذلك وشاور من يعلم اهليته للمشورة من اهل
العلم والصلاح فلما انقضت ايام الاستخارة والاستشارة وتواطأت
العقول على حسن تلك الاشارة جمع المنصور اعيان حاضرة مراكش واعيان
مدينة فاس وغيرهم من اشياخ القبائل ووجوه الناس في البوادي والحواضر واش
هدهم بالعهد لولده المذكور ابي عبد الله محمد المامون وذلك في يوم الاثنين
شعبان عام سبع وثمانين وتسعمائة **وكان** المامون اذ ذاك خليفة ابيه على
فاس ولم يحضر بيعته فبعث اليه المنصور يعرفه بذلك ليقوم من فاس ويبايع
بحضرته ولم يتقدم ما كان لامر البيعة وهو غائب ولما بعث له المنصور خرج
المنصور بعسكره خارج مراكش بتانسيفت في الثاني عشر من صفر عام تسع
وثمانين وتسعمائة ولم يعسكر هذا العسكر قبل ما ومنتظر القدوم المامون الى ان قدم
في جمادى الثانية من العام المذكور وكان يوم دخوله يوما من عجائب الزمان ولما
التقى جيش المامون وجيش المنصور ترجل المامون عن فرسه وقدم على ابيه
القدم بتقبيل وجهه بين يدي والده ثم قبل يده ورجله وسر المنصور على فرسه

بين الصفين من عالية بجنبي واكتفى الفرح بمفرده **وكان المامون** قد عبأ جيشه
تعبية لم ير مثله ورتبهم ترتيبا حسنا في لباسهم وسائر امورهم فسر المنصور بذلك
وبعد أيام من بلوغه أمر به فأجلس في سرادقه فأذن عظيم الترك ان يكن للملوك
قبله مثله كما استاذ وامر اهل الحل والعقد بأن يدخلوا على تقبيل يده وافتتح منه
أهل بيعته وقال الشعراء فأفصحوا عن وصف الحال وغمر المنصور الناس
بالعطايا **وكان** ذلك اليوم مشهودا وبعد ايام من ذلك امر المنصور بالمامون
ان يرجع لمحل امارته بفاس فرجع ودخل المنصور حضرته السعيدة

ذكر الخبر عن مخالفة داود بن عبد المومن على السلطان أبي عبد الله محمد الشيخ وشقه العصا

قال الفشتالي لما وقعت البيعة للمامون وتمكن
من امره ثار الرئيس ابو محمد ابو سليمان داود بن المولى عبد المومن بن الامام
المهدي وهو ابن اخي المنصور وفر الى جبل سكساوة وشق العصا ودعا
الى نفسه فانثالت عليه شرذمة من البرابرة وعظم منه وتجاهر وكثرت فيه
اهل الزعامة جمجمته فبعث له المنصور قايده الزعيم ابا عبد الله محمد بن ابراهيم
بن يحي بن ... فاشتد القتال بجبال سكساوة وهزمه هزيمة الى الجبل منوزالة فتحز
بوا عليه وقويت بهم شوكته وبقي يشن بهم الغارات على أهل تلك النواحي الى ان
عادوا بعد زمان فشكوا امره للمنصور فبعث له قايده المذكور فلم يزل في مقا
تلته الى ان شرده من هناك ففر منها الى الصحراء واستقر بالوهل في عرب الودا
ية من عرب الجنوب فلم يزل عندهم الى ان هلك عام ثمانية وثمانين وتسعمائة
وكفى المنصور امره

ذكر ما وقع للمنصور مع السلطان مراد العثماني وما السبب في ذلك

قد ذكرنا قبل ان المنصور وجه عليه ابن رسالا بالتماس ملوطا لم

فأبى

ابن فاليم وانت ممن ورد على ابواب رسالة ملك العثامنة بعد ما تعليه بهدية سنية
وتشاغل المنصور عنهم وتركهم بحضرته مهملين وتاخر عن جوابهم فثار ملحا الغض
الفسطنطينية العظمى السلطان مراد بن السلطان سليم التركمانى فبلغه ذلك
والطمع عليهم ولم يزل الرئيس علي علوج وزير البحر يشعر بالمنصور عنده ويذكر
ما وقع من ابيه من الفدح في امارة ابن نزلت والطعن ويسير عليه امره الى ان اذ
منازلته بالمغرب وبالغز عليه بفاقد ... الى ان يستاصل امر المنصور ويحيل همته
بالغز الملك في التهيئة لذلك فبلغ الخبر للمنصور فاذن للعساكر وحشد المنصور الثغور
والمراسي وكان على اهبة وكمال استعداد وبعث ارسالا الى السلطان المذكور
بهدية عظيمة **وكان من ارساله القايد ابو الانجم** احمد بن ودة العمرا
ني **و**الكاتب الشهير احمد بن يحيي الهوزالي وركبا في البحر من ثغر تطاون فبينما
هم على ثبج البحر في اثناء الطريق لقيهم وزير خاقان علوج المذكور وهو قاصد
للمغرب بنية مصادمة المنصور وكان امره في سفينة بيده ... مستعاء قبا
وضمهما فبما فصحا وابا بسماهم ... فقال الهوزالي الخبر وقد اتسع على
الراقع ولو كان لطاهم يحكم غرض في المسالمة فابقي اهلها بابا بوابه كالكلاب
والبادرة الكلمة فلم يزل علوج بالقايد ابن ودة ارده فعد وتردد الهوزالي يبلغ
ارسال الرسالة كفنا منها انه قد غير السر لا يحصر مخاطبة الخاقان وابن ودة
الذي عنده ... لكمال التدبير ومتانة العلوم قبلما وردا عليه ابن رسالا حسن
نزلهم وتلقاهم بالترحيب زده معدد فلما بلغ الهوزالي الى الخاقان الكلم من براسته
ولطابة في مخاطبته ما تعجب منه خاقان واعتذر له عن تاخير المنصور عن الجواب بانه
لا يغوح بوصر على مرسله **و**انه يعير عليه لمخاطبته فقبل خاقان ابن عذره
وتقبل ابن عذر الهدية بقبول حسن **وكتب** مع الهوزالي الى وزيره علوج
بالرجوع عن منازلة المنصور فرجع بها الهوزالي يتخطى فيحا ولم يغب عن
علوج ابن قدر الشمر فقرع لها علوج سن الندم واسفه على ما فرط منه وتفرغ

وقعت خافار رسالة مع المرز الى المنصور يلوم فيه على التراخي في امور الملوك
فلما وقفت عليه ابن رشد الاحمر نزلهم وتلقاهم بالترحيب واكرمهم مكرمين وبعث
معهم الفقيه الامام فاخر الجماعة ابا القاسم بن علي الشاطبي والقايد الانجم
عبد الرحمن بن منصور الشيظمي الحريزي فلما وردوا على خافار قوم بين كل
العرح وصنع الشاطبي كلاما بليغا اعرب فيه عن فضل الدولة وفخر فيه
جوا اهل البيت واكبر المنصور وحض على اتحاد كلمة الاسلام وفر ادا الحلم
على خافار يوم السلام عليه بقوح بزالحى خافار واهتم اسماعه ثم بعد ايام
بعثهم خافار واحسن معهم كل الاحسان ولما تكامل الغرض وصح جسم
الملك من ذلك المرض واهتز رجعت الرسل الى حضرة الرجع
المنصور لمراكش وفي يوم خروجه من فاس خرج اعيان فاس ومشيخة العلم
بها وفيه البخاري بين يديه سردا على عادة الخلفاء وكان ذلك كله في عام تسع
وثمانين وتسعماية

ذكر الخبر عن فتح بلاد توات وتكرارين وما وقع في ذلك

لما استقر المنصور بمراكش من رجعة من فاس وامن من مناظعة الاتراك
كانت همته الى التغلب على بلاد تكرارين وتوات وما اذعان اليهما من القرى
والمداشر اذ كانت امامهما فاذ كانت عنهم ايد الملك منذ زمان ولم يستول عليهم
سلطان فاخذ يبسط المنصور ويجمع جمع الكلمة ويردهم الى امر الله فبعث
اليهما القايدين محمد بن بركة والقايد احمد بن الحداد العمري المعقلي في جيش
عرمرم فبلغوهما على ستين مرحلة من مراكش وكانوا قد تقدموا الى
اليهما بالاعذار والدعاء للطاعة فامتنعوا من الدخول واستولى الشيطان
بنازلهم ووقعت الحرب بينهم على ساق وطالت المعركة اياما ثم كتب الله منهم وهو
عليهم القواتل فبعثوا كامر الزامبا وانهى الفتح للمنصور وفرح بذالك

بنازلهم

غاية وقال في ذلك الشعراء وذلك كله في عام تسع وتسعين وتسعماية

ذكر الخبر عن فتح المنصور لبلاد السودان وكيفية ذلك وسببه

لما استولى المنصور على بلاد توات وتكرارين واعمالها تاقت همته
لبلاد السودان لكون تلك البلاد مجاورة لبلاد السودان فلما اجمع امره على
غزو الدولة السكية المتملكة لبلاد السودان ورجع عمومهم الى الطاعة بادر الى
كتب الى امير المومنين الغتال ان انتفعوا بحكم الله بينه وبينهم وكتب الى سلطانها
سكية يطالبه بخراج المعدن الذي بتغازى ومنه يجلب الملح لسائر بلاد السودان
ويقول ان على كل حمل من الملح مثقالا من الذهب عونا لجيوش الاسلام ولما بلغت
رسالته لسكية اظهر الامتناع من ذلك وابى من متابعته وكان
المنصور لم يكتف بهذا حتى استفتى علماء الامة واشياخ الفتوى بها
فافتوه بما هو المنصور للعلماء رضوان الله عليهم من ان النظر في المعادن
مطلقا انما هو للامام لا لغيره وانه ليس لاحد ان يتصرف في شيء الا
باذن السلطان او نائبه وكانت الرسالة الموجهة لسكية من انشاء
الامام العلامة الاشهر مفتي الحضرة ابي مالك عبد الواحد بن احمد الشريف
السجلماسي الا ان كاتب انشائها ابا فارس عبد العزيز بن محمد الفشتالي كان مرتبطا
في الوقت ولما فرغ من انشائها بعث بها الى الامير فلم يزل كتابه يقول في مكاتبة
سكية ولا كيف يرهقهم هل يتوغل في الحرب او يتربص وكتب ابو مالك
حين تحير في ذلك المنصور بما نصه ايدكم الله ونص
اعلاما لكم ان مكاتبة هذا الرجل الذي هو في مرتبة ممالك الحضرة المولوية
امر تلعثم فيه لساني ووقف على خوض لجته بناني ولا والله عن معاناة
الحجة فر من شيء وبينهما حجاب واغلق في وجهي بابا فلا اقدر ان افهم
من الوقوع في تعريضه او ابراكه وخيرا ان اعلم عندنا وساطة لا

لا يكون سبيل المغرب فيه الا بغز الغربين والعبر محجوب عن ما لك دون مين فتركت ابن كع الله الكفر لمن موضع افعوه وتحاميت عن لمن هو اعنى ابي فارس عبد العزيز الذي فاضت عليه انوار كم واضات عليه سبل هذا المجد افعالكم وان كن فرعت هو اتي الحال تقضي بقوله

يا بارد الغوس ربيا لنيسرني سنه لاتقطع الغوس اعن الغوس ربيعا

ذكر الخبر عن السكية ملوك السودان واوليتهم

قال الامام المنصور في كتابه نصيحة اهل السودان ان السكية اصلهم من صنهاجة وملكوا كثيرا من بلاد السودان واول ملوكهم الحاج محمد سكية بضم السين وسكون الكاف بعدها ياء مفتوحة ثم تاء وكان الحاج المذكور رحل في اواخر المائة التاسعة الى مصر والحجاز بقصد زيارة بيت الله الحرام وزيارة قبره عليه السلام فلقي بمصر الخليفة العباسي فطلب منه ان يأذن له في بلاد السودان وان يكون خليفته هنالك ففوض له الخليفة العباسي النظر في امر ذلك الاقليم وجعله نائبه على من وراءه من المسلمين وكان الحاج البلد وقد بنى رياسته على قواعد الشريعة وجرى على منهاج السنة ولقي بمصر ايضا امام شيخ الاسلام حافظ الحفاظ جلال الدين السيوطي فاخذ عنه فوائد وتعلم عليه الحلال والحرام وسمع منه جملة من احكام الشريعة واحكامها واتبع وصاياه ومواعظه ورجع الى السودان بنص السنة واحيى طريقة العدل وجرى منهاج الخليفة العباسي في قعوده وملبسه وسائر اموره وقال الشيخ في العربية وغيرها عن سيرة العجم فيصلحت احوال وبدت حسن الرشاد هنالك من الحكام العدل وكان الحاج المذكور سهل الحجاب رفيق القلب خافض الجناح شديد التعظيم للائمة الدين محبا للعلماء ذكر انهم غاية الاكرام ويفسح لهم في المجلس ويوسع عليهم في العطاء ولم

يكن جاء اثنا مدة كلها بوسر ولا باس بل كانت رعيته في خفض عيش وامن سرب وجرى عليهم شيئا خبيئا من الغلو وكتبه عليهم وزعم انه ما بعل ذلك حتى استشار الامام السيوطي شيخه المذكور ولم يزل على سيرته الموصوفة الى ان اخترمته المنون فقام بالامر بعده ولده داود فاهتمر ما شاء وتبع طريقة ابيه الى ان لحق بربه ومضى لسبيله فقام بالامر ولده اسحاق وجرى على سيرة ابيه ولم يكن في امره بالزعيم وعليه انقرض ملك السكية وكان تحت طاعتهم من بلاد السودان مسيرة ستة اشهر والملك لله وحده

ذكر الخبر عن مشاورة السلطان المنصور واصحابه في غزو السودان ومملكته وافتتاح بلاد السودان عليه

قال الفشتالي لما رجعنا زمان المنصور من عند اسحاق سكية واعلم بقوا سلكية وافتتاعه واحتجاجه بانه امير ناحية والمنصور امير ناحية وانه لا تجب كما تحتمه عليه تشاور المنصور اصحابه وجمع اعيان دولته وانتقى اهل الراي والمشورة فاجتمعوا وكان يوم اجتماعهم يوما مشهودا فقال لهم المنصور اني عزمت على منازلة امير كاغو وصاحب السودان وبعث الجيوش اليهم لتجتمع كلمة الاسلام وتتبعوا الكلمة ولان بلاد السودان وافرة الخراج كثيرة المال يتقوى بها جيش الاسلام ويشتد ساعد كتيبة المومنين مع ان صاحب امرهم والمتولي لسلطنتهم اليوم معزول عن الامارة شرعا اذ ليس بقرشي ولا اجتمعت فيه شرائط السلطنة العظمى فلما فرغ المنصور من كلامه وابدى ما في نفسه وكان قد عرض في عنبة اسراره سكت الحاضرون ولم يراجعوا بشيء فقال لهم اسكتم استحيوا بالراي او ظهر لكم خلاف ما ظهر لي فاجابوا كلهم بلسان واحد وراي متفق ان ذلك الراي غير الصواب فنحن وانه بمحايد عن الاراء السديدة ولا يخطر بالبال فقد فكيف بالمطلوب قبل الطريق بيننا وبين السودان مهامه وقفر

تقع فيه الغفلة وتجير الغفلة وليس فيها ماء ولا كلأ فلا يأتون الشيء فيها ولا
اعتساف لكم فيها مع كونها مخوفة مملوءة الجوانب بالعدو غرا وأيضا فإن دولة
الأتراك بهذين على غاية اهتمام ودولة الموحدين على عظمها ودولة المرينيين على قوتها
لم تتعلق همة أحد منهم لشيء من ذلك ولا تعرضوا لما هنالك وما ذاك إلا لأنهم
رأوا أمورا صعبة مسالكها وتعذر إدراكها وحسبنا أن نقتفي آثار الدول
فإن المتأخر لا يكون أعقل من الأول فلما أن أتوا بآخر أقوالهم كلامهم
وأبدوا آراءهم قال لهم المنصور أهذا كان غاية ما استجمعتم به
أمركم وما بلغتم به رأيكم فليس فيه حجة ولا ما يعول عليه أما قولكم بيننا
وبينهم صحاري مخوفة ومفاوز مهلكة تخوفها وعطشها فنحن نرى التجار على
ضعفهم وقلة استعدادهم يقطعون تلك الطرق في كل وقت ويجوزونها في أحمال
فيها مشاة وركبانا فرادى وجماعة ولم تنقطع ركاب التجار عنها وأنا أقوى
أهبة منهم والجيش همته ليست للقوافل وأما قولكم إن من كان قبلنا من
الدول الماضية لم تتعلق أنظارهم لذلك فاعلموا أن المرابطين هموا
عنايتهم لغزو الأندلس ومقاتلة الإفرنجة ومن بتلك السواحل من
الأروام والموحدون اقتفوا سبيلهم في ذلك وزادوا الحروب إلى غاية
والمرينيون كانت عن أبي وقائعهم مع بني عبد الواد بتلمسان ونحن اليوم
فقد انسد عنا باب الأندلس باستيلاء العدو الكافر عليه جملة وانقطعت
عنا حروب تلمسان باستيلاء الترك عليها ثم إن أهل تلك الدول لو أرادوا
ما أردنا لصعب عليهم لأن جيوشهم فرسان رامحة ورماة ناشبة ولم يكن
عندهم هذا البارود وعساكر النار المرهبة الصواعق وأهل السودان
ليس عندهم إلا الرماح والسيوف وهي لا تقاوم هذه المدافع ⊙
المستحدثة فقتالهم سهل وحربهم أسهل من كل شيء وأيضا فإن بلاد
السودان أنفع من إفريقية فإن اشتغالنا بها أولى من منازلة الأتراك لأنه

قف

غرائب

تعب

45

تعبا كثيرا ونفعا قليلا فهذا جواب ما عرض لكم ولا يحملنكم تقليد الملوك
الأول وإخلادكم على الاستبعاد الغريب واستضعاف السهل فإنه قد ترك الأول للآخر
شيئا ورب ذريعة للمتأخر لم يفتح بها على المتقدم فلما فرغ المنصور من
خطابه استحسن الحاضرون جوابه واستملحوا إشارته واستجادوا رأيه ⊙
وقالوا أيدك الله العصمة وألهمك للصواب ولم يبق عندنا ما يقال ولعل هذا
من قال عنه الحلوي ملوك الغفول فانعقد الجمع على البعث للسودان
ومناهضة أهله ومتابعة المنصور في رأيه قلت وقع في كلام
المنصور أمران يحتاجان إلى مزيد بيان الأول ما قاله من أن المتقدمين
لم تكن لهم سلطنة على السودان والذي اطلعت عليه لابن خلدون وغيره أنهم
ملكوا غانة واستفتحوا منها إلى تادرات والجزية وغانة دار مملكة
السودان وهي قريبة من منبع النيل الثاني
ما قاله من أن البارود حدث ولم يكن في تلك الدول الماضية ولم نقف
عليه بتاريخ حدوثه وقد ذكر شيخ شيوخنا الإمام الحافظ أبو زيد عبد
الرحمن بن عبد القادر الفاسي رحمه الله في شرحه لمنظومته فيما جرى
به العمل بفاس أن كان حدوث البارود سنة ثمان وستين
وسبعمائة حسبما ذكره بعضهم في تأليف له في الجهاد وأنه استخرجه
حكيم كان يعمل الكيمياء فتفرقع له فأعجبه فاستخرج منه هذا
البارود انتهى والله أعلم

حدوث البارود سنة 768

ذكر بعث المنصور جيوشه للسودان

لما انعقد رأي المنصور مع أهل الشورى من أعيان دولته على البعث
للسودان اختار من حماة جنده وأبطال أنصاره من يعلم نجدته
ويعرف كفايته فعين جيشا عظيما وجيش من الأبطال الرماة وكوما
ومن الخيل ألف عشرين جددا وعقد لواء الجيش للباشا جودر

في زي عظيم وهيئة لم ير مثلها وكان خروجه من مراكش في السادس عشر من ذي
الحجة عام ثمانية وتسعين وتسعمائة وكتب المنصور الى فاتح تنبكت الامام العلامة
ابي حفص عمر بن الشيخ سيدي محمود بن عمر اقيت الصنهاجي يامره بحض الناس على
الطاعة ولزوم الجماعة فلما سمع اسكيا اسحاق بخروج الجيوش حشر اجناده وبعث
في التراب حاشرين وجمع جموعا غزيرة ويقال انه جمع مائة الف مقا
تل واربعة آلاف مقاتل وكان على اهبة واستعداد قال الفشتالي
ولم يقنع بالجيوش التي جمع حتى اضاف اليها اشياخ السحرة واهل النفث في العقد
وارباب العزائم والسيميا لكنما منه نجع في اليه وفيها

- السيف اصدق انباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب
- بيض الصفائح لا سود الصحائف في متونهن جلاء الشك والريب

ولم يزل جودر يشتغل من مراكش مرحلة بعد مرحلة الى ان بلغ عمالة تنبكت واحتل
بعمالتها فلقي هنالك اسحاق في جنوده فلما التقت الفئتان نكص اسحاق على عقبه
وانتثرت جموعه وفل غربه والتحمت الحرب من لدن الضحى الى قرب العصر وهشمتهم
رحى الحرب وهيئتهم كانهم اعجاز نخل خاوية وفر اسحاق بنفسه في قليل من حاشيته
وكان جيش اسحاق انما سلاحهم الحرشان الصغار والرماح والسيوف ولم
تكن عندهم هذه المدافع فلم تكن تغني حرشانهم ورماحهم مع البارود شيئا وذو
نحو مسلمين وخر لهم اذقانهم في الحديد والسيوف عاملة وكان ذلك كله في
السادس عشر من جمادى الاولى عام تسعة وتسعين وتسعمائة ولما
فر اسحاق تبعه جودر وغزاه واستولى على تنبكت وسار حتى اتوا اليها حتى
المرابو والغزى وبعث للمنصور يخبره بالفتح وبهدية عظيمة فيها
عشرة آلاف مثقال ذهبا ومائتان من الرقيق وغير ذلك ولم يزل في
مطالبة اسحاق والسودان فقطع بحر النيل فقطعه جودر يطلب منه الصلح
على شيء يقدمه كل سنة وافق ان الطاعة يؤديها على انه يتركه ببلاد

شيئا ومن حيفهم ولولا الاد بار وقع عليهم
الوبار وحكمت في رقابهم سيوف جودر
وجيوشه حتى كان السودان ينادونه

بجيوش شتى وتبعه اولاد حاضرهم من بني كاغو
وهي كانت دار السلطان اسحاق وارسل جودر
يطلب

ملكه

٤٦

ملكه فاجاب الى ذلك جودر وبعث للمنصور يستشيره في ذلك فاذن من ذلك
المنصور وامتنع كل الامتناع وكتب لجودر يعلمه كيف رسالته بخطابه انت ونحن
في الجواب انيني اليه خير ما اتيتم وكان جودر حين كان عليه الحصار بكاغو
غزا وسبي من كفر الملاء فاقة وشكي اليه الجيش وخامة تلك البلاد
واستيلاء الامراض عليهم رحل منه وكر راجعا الى تنبكت ريثما ياتيه
جواب المنصور عن امر الصلح الذي كان بينه اسحاق وبين المنصور وعليه
حين رجع الفقيه التحق الحوز واوصل الباشا محمود وعزل به جودر عن
امارة الجيش واستغاء تحت امره فلما وافى محمود بنازلة اسحاق والتضييق عليه
في كاغو رجعوا الى كاغو وكان اسحاق من استيلائهم عليها بامر في خلال
ذلك بنقل الاقوات منها واخلائها فلما قفلوا الجيش جاها
وجاءهم كاغو وكتب لا يشبعونه قبحا وكان كاغو الى كوكية وقطع
النيل فقطعوا خلفه ولم يزالوا خلفه الى ان قتلوا اسحاق واحد بعد اخر
وخمسة ملكه فانقرضت الممالك السودانية من سلطنة وكانت عمالة المنصور ما
بين البحر المحيط من افق المغرب الى بلاد كثيرة المتاخمة لبلاد برنو قال ومن
جانب برنو وتسمى مملكة برنو الى بلاد النوبة المتاخمة لصعيد مصر
قال الفشتالي في كلمة المنصور في مالية بلاد النو
بة والبحر المحيط من ناحية المغرب وهذا ملك ضخم وسلطان فخم لم يكن
لمن قبله والله يؤتي ملكه من يشاء ولما فتح الله على يديه
ممالك البلاد السودانية حمل له من التبر ما يعمي الحاسبين وحير الناظر
ين حتى كان المنصور لا يعطي من الرواتب الا النضار الخالص والد
نانير الوافية وكانت ببابه كل يوم اربعة عشر مائة مطرقة لضرب الد
نانير وما هو معد لغير ذلك من صوغ الاقراط والحلي وشبه ذلك
ولم يحصل هذا الغنى للرعية لحظ الذهب من ايامه ولما وافى المنصور

تنوم

وفود البشائر بالفتح سُرّ بذلك سرورا عظيما وأمر بالفرحات في بلاد المغرب
وتزيين الأسواق وغيرها وعشية ثلاثة أيام وأتته الوفود من كل ناحية
يهنئونه على ما منّ الله به من النصر الكبير والفتح المبين وقالت في ذلك الشعراء
وقامت به المحافل واحتفلوا ومما قيل في ذلك ما أنشده أبو فارس الفشتا
لي فقال

• جيش الصباح على الدجا متدفق وبياضه دجا السواد بذلك يمحق •
• وكأنه رايات عسكرك التي طلعت على السودان بيضا تخفق •
• لاحت وأقفهم لبارك كلهم كجنود بيض الزجاج بالسوق •
• نشرت لتطوي منهم لبلاد أمسا الأقصى بسيف جند العقار بحزق •
• إذ سلهم جوانحا وجوارحا في كل مخلبها غراب ينعق •
• ومشت بكل دليل من اليمن تحت مشهود عزمك والسنان الأزرق •
• لهن اللياك في حلى أخلاقها نور النبوة من جبينك يشرق •
• صعقت بمن عود نار صاعقة رجت لصيحتها العراق وجلق •
• سمعا لأسماع الشقي وحزبه فلقد غدا بالسيف وهو مطوق •
• راع النجاة وكيف ذاك وخلفه من جيش جودك كالغضنفر يلحق •
• حيث أو أجرى ببابك سيله غرقا وأوله بكا غرقا محرق •
• لم يشعروا إلا وأسوار الردى ضربت عليهم من فنائك خندق •
• كتب الإله لك على عبدك إنه فتح لسهمك غربوا أو شرقوا •
• خلفت ملوكا ساجلوك على العلا سبقا وشاؤك في العلا لا يلحق •
• أو يشبهوك ولا شبيه يرى لك في الخلائق من البحير المزبق •
• بشر ملوك الأرض أنك فاتح بالمشرفي على الورى ما أغلقوا •
• وبقا هل السند والعقار فعز ما جمعوا وجامع ما فرقوا •
• دامت كبيرا السفر وهي غوارد بالمشتمول لك والمسك تنطق •

• فما ذاع في ذكر علاك من صفي الثنا أذكى العقار وكل خال المحلق •

وكان محمود لما استوفى لذلك من هنالك بعث نصف جيوشه
مع هدية للمنصور فيها من الذخائر ما لا يحصى وهو اثنا عشر مائة
مملوك من الجواري والغلمان وأربعين حملا من التبر وأربعة سروج ذهبا
خالصا وأحمالا كثيرة من الآبنوس وكوز من الغالية وفهودا وأغنا
لية وغير ذلك ولم يزل محمود هنالك خليفة المنصور وفي مقامه هنا
لك قبض على الإمام العلامة الهمام علم الأعلام أبي العباس أحمد بابا سيدي
أحمد بن أحمد بابا وعلى أهل بيته فحملوا مصفدين في الحديد لمراكش ومعهم
حريمهم ونهبت ذخائرهم وكتبهم قال في بذل المناصحة سمعته
يقول أنا أقل عشيرتي كتبا نهبت لي ستة عشر مائة مجلد وكان القبض عليهم
في أواخر المحرم عام اثنين وألف ووصلوا مراكش في رمضان من العام
واستقروا مع عيالهم بها في حكم الثقاف إلى أن انصرمت المحنة فسرحوا يوم الأ
حد الحادي والعشرين من رمضان عام أربعة وألف ففرحت قلوب المؤ
منين بذلك ولما دخل أبو العباس على المنصور بعد التسريح من السجن
وجده يكلم الناس من خلف حجاب وبينه وبينهم كلة مسدولة فقال إن الله
تعالى يقول وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب وأنت قد
تشبهت برب الأرباب وإن كانت لك حاجة في الكلام فانزل إلينا وارفع عنا
الحجاب فنزل المنصور وارتفعت الأستار فقال له أبو العباس أي حاجة
لك بي في نهب متاعي وضياع كتبي وتصفيدي من تنبكتو إلى هنا حتى سقطت
من فوق ظهر الجمل وانفكت ساقي فقال له المنصور أردنا أن تجتمع الكلمة وأنتم
في بلادكم من أعيان بلادكم فإذا أذعنتم أذعن غيركم فقال له أبو العباس هلا
جمعت الكلمة بترك تلمسان فإنهم أقرب إليك منا فقال له المنصور قال
النبي صلى الله عليه وسلم اتركوا الترك ما تركوكم فامتثلنا الحد

الحروب فقال له أبو العباس الحزم في تعجيله قال ابن عباس لا تتركوا الترك ولو تركوكم فسكت المنصور ولم يحر جوابا وانفض المجلس ولما سرح أبو العباس تصدر لنشر العلم وهرع الناس للأخذ عنه ولم يزل بمراكش إلى أن مات المنصور لأنه ما سرحهم من السجن حتى شرط عليهم سكنى مراكش قلت ولما مات المنصور أذن له ولده زيدان في الرجوع لبلده فرجع إليها وكان يتشوق لرؤيتها ويشكو الغربة عند تذكرها ولم ييأس من روح الله في العود إليها ولما خرج من مراكش يقصد بلده شيعه أعيان الطلبة فأخذ بعضهم بيده عند الوداع وقرأ قوله تعالى إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد على ما جرت به العادة من قراءتها عند وداع المسافر ليرجع سالما فانتزع أبو العباس يده بسرعة وقال لا ردني الله إلى هذا العاد ولا رجعني لهذه البلاد ومن شعر أبي العباس متشوقا إلى بلده قوله

أيا قاصدا إن عجت نحو بلدتي ... فزمزم فديتك باسمي وبلغ أحبتي
سلاما على أهلي من غريب وشيق ... إلى وجه الأحباب رهطي وجيرتي
وعرج أقاربيا هناك أعزه ... على السادات أني لفقد قبت بغربتي
أبي زيد منهم شيخ المعارف والهدى ... وصنو أبي عيسى وأقرب أسرتي
وسيدي قاسم البيرسالي فقدهم ... على وهد الموت ركني وعمدتي
ولا تنس عبد الله ذا المجد والندى ... فقدم من حزني فقدوه وعمتي
وشبانهم ساروا وأعز أخيرهم ... إلى ملك الأملاك في وقت غربتي
بنو السباعي منهم وحزنا عليهم ... فيا رب ارحمهم بواسع رحمتي

لطيفة قال ابن القاضي في شرح درة السلوك كان فتح السودان المذكور سنة تسع وتسعين وتسعمائة والبداءة من فوق
من قصيدة

وفي

وفي منتهى هو تاريخه فاعجب لفتح ما له من جنس

ولقد هدى الله تعالى وأرشد صاحبنا أبا الحسن علي بن عبد الرحمن بن عمران السلاسي إلى أخذ تاريخ الفتح المذكور بحسب النيم بعد إسقاط الألفات الوصل وحذف التضعيف من قوله تعالى ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز إلى قوله ولله عاقبة الأمور وهو منزع لطيف جدا ذكر أن الكواشي المفسر نص على أن الآية من باب الإخبار بالمغيبات انتهى

ذكر وقيعة المنصور بعرب الخلط وسبب ذلك

هؤلاء العرب وسفيان وبني مالك أصلهم من جشم القبيلة المشهورة وكانوا في القديم من شيعة بني مرين وهم الذين أقدموهم من المغرب الأوسط وبه كان قرارهم وكانت لهم في الدولة المرينية صولة ومرتبة فلما أدبرت أيام بني مرين واستولى على ملكهم أبو عبد الله محمد الشيخ المهدي انحاشوا إليه وأكثروا الخدمة والنصيحة قلت جاء أبو حسون المريني بالأتراك حسبما شرحناه قبل أوقعوا الهزيمة على المهدي على أبي حسون كما سلف خلعهم من الجندية ووظف عليهم الخراج ومحا اسمهم من ديوان الخدمة وثقل أعباءهم ضررا كثيرا وانحرموا رها بر عشرة ولم يزالوا على ذلك إلى أيام المنصور فرد أقفالهم يوم وادي المخازن وأبلاهم فيه بلاء حسنا فأعادهم ورده للجندية وأبقى نصيبهم الآخر من عمارة الرعية ونقلهم في زعارقة فسكنوا فيه وعاثوا في البلاد وأكثروا الفساد ومدوا أيديهم إلى ما حولهم ينهبونهم وصار يقول ابن حسن وكثرت الشكاية بهم للمنصور فضرب عليهم سبعين ألفا فلم يزيدوا إلا نشوزا فبعث عليهم ليه ملوا

ثم

كما يأتيه منهم لينجلي أمره فلم يشعروا إلا وقد أقبل الغائب موسى بن ... في جماعة فلم
فانتزع الخيل منهم وأثقالهم رجالة ثم حكم فيهم السيوف فمزقوا كل ممزق ومن
ثم تمزقت شوكتهم وكانت للعمام فنائهم

• ذكر العهد وتجديد المنصور البيعة لولده المأمون •

وفي سنة اثنتين وتسعين جدد المنصور البيعة لولده
ولي عهده محمد الشيخ الملقب بالمأمون على إخوته خصوصا لأنهم كانوا
في البيعة الأولى قبل البلوغ فأراد أن يستوثق له من إخوته بعد البلوغ حسما
لمادة النزاع بينهم فارتحل المنصور من مراكش لذلك قاصدا فاسا وبعث
الباشا عزوز بن سعيد الوزكيتي ليأتي بولي عهده من فاس فتوافقا بالقصر
أي بتامسنا فدخل المنصور لأخذ البيعة له بنفسه وحضر الأعيان
وأهل الحل والعقد وأحضر المصحف الكريم الذي هو مصحف عقبة بن نافع
الفهري رضي الله عنه وهو من خط بعض الخلفاء وأحضر الصحيحين للشيخين
وقرئ كتب البيعة فتولى قراءته الفشتالي وكتبه القاضي أبو القاسم
الشاطبي فيعتمد فيما أشكل في بعض الصحيح ولما أخذ البيعة
أخذ أولاده ... فكتبوا خطوطهم عقبها بالموافقة على الـ
ولا النزاع له وذكر بعضهم أن أبا فارس بن المنصور وقف
الحضرة فقال إني حضرت بيعة محمد الشيخ صاحب المغرب وحق أولاد السلـ
ـطان فاستحلفهم له إلا أنا بإذنه رضي الله عنه فأقبل ولا يحتاج
إليه فيما أنا فيه وتبعه وعظم ذلك على إخوته وكتم في وجوههم
الكراهة انتهى ولما فرغ المنصور من تجديد البيعة رأى أن يرشح
كلا من أولاده للإمارة ويقسم بينهم البلاد حتى لا تبقى في نفوسهم إحن
ولا تشكو قلوبهم على الغائب فعقد له في فاس شفيعه المأمون على السو
س وسائره فيما يرى وعقد لأبي الحسن على مكناسة وما والاها وعقد

زيدان

لزيدان على تادلا ثم عكس ذلك فأفاد بنقل زيدان إلى مكناسة ونقل أبا
الحسن إلى تادلا ولم يزل أمرهم على ذلك

• ذكر نزول الناصر بن السلطان الغالب بالله •
• على عمه أبي العباس المنصور وما وقع فيه •

قد كان الناصر في حياة أبيه الغالب خليفة على تادلا ونواحيها
ولما توفي أبوه وقام بالأمر أخوه المتوكل كما استوفينا شرحه قبل
قبض المتوكل على الناصر فاعتقله فلم يزل معتقلا حتى خلا ابنه ولما
انتزع المعتصم الملك من يد المتوكل كما أسلفناه فيما عبر شرحه من أعتق
اعتقاله وأحضره إليه فلم يزل تحته في أرغد عيش فلما
توفي المعتصم يوم وقعة وادي المخازن فر الناصر إلى مليلة وكا
نت بيد الكفرة ثم عبر منها لجزيرة الأندلس فكان عند كلاغية
قشتالة فرأى الروم أن يعقد الكلاغية مليلية ويبدو له الشقاق وتفرق
كلمة أهل الإسلام فخرج الناصر لمليلية ونزل بها الثالث من شعبان عام ثلاث
وتسعين فتساقطت إليه الغوغاء وسفلة الناس فأقبلوا إليه يزفون فكثرت
جموعه وتوافت عساكره فخرج منها قاصدا التازة من خلفها وانتدب
القبائل المتشاركة المجاورة لتازة كالبرانس وغيرهم فبايعوا عليه ونما
لوا على أعدائه ولما دخل تازة كاتب أهلها بالمكس وقال
إن النصارى يعرفون حتى على النصف ولما سمع المنصور بخبره
أحزنه أمره وتخوف منه غاية لأن الناصر أهل المغرب لقيامه وتشو
فت له العيون ومالت القلوب عن المنصور بشره وكبته واعتسافه
للرعية قال في ابتهاج القلوب في ترجمة الولي الصالح علي
ابن منصور البوزيدي أنه كان سائرا يوما مع أصحابه على بغلة فقال
لهم يا فقراء أتشعرون ما تقول بغلتي إنما تصيح بالنصر لمولاي الناصر

وكثر الله الحجر والشجر وانبرى غنيمة الحجر وكان ابن فرحا فان الفتح كان شهر
لقيام مولاي الناصر ثم قتل قريبا ولم يتم له امر انتهى قلت ان المنصور
بعث له جيشا وامر عليهم ابنه ... الناصر واستوثق له امرا فاقر المنصور
ولم يحضر بنفسه لئلا يخرج اليه في تعبية حسنة وهيبة تامة فلما التقى
الجمعان كانت الدائرة على الناصر فهرب منفردا وتبعه فرسان فادركوه بجبال
تلين وعزمه الى بلاد الزبيب فلحق به ولد عمه فلم يزل في مقاتلته الى ان قضى
عليه فقطع راسه وحمل الى فاس وكان ذلك عام خمس والف **ومن خط**
الشيخ ابو علي اليوسي في المحاضرات لما قام على المنصور ابن اخيه
ابو عبد الله الناصر **قال السيد احمد** ابن ابي القاسم الصومعي
ان الناصر بن الغازي تاج له بعث محمد حول الملك فلما بلغ الخبر الى سيدي محمد
ابن الشرقي قال عسكريا اخرج دار ابن الناصر فدخل الناصر تاج له فقتل
الناصر فهزم الناصر وقطع راسه وحمل الى فاس فدخل تاج له قبل ان يقع
انفسه **وقوله** ابن عم الصواب ابن اخيه ولما قتل الناصر فرح
المنصور بذلك وجاءته الوفود للتهنئة وكتب هو بالفتح لسلطان
مكة واسلطان ... **وللشيخ العارف بالله سيدي**
محمد البكري وان قام الثوار الغرابن وقال في ذلك الكاتب البليغ
ابو عبد الله بن عمر الشاوي

هنيئا امير المومنين فقد جرت • لسعدك ابن فران جري السوابق •
اطاعتك ابن الايام والحظ كلنا • على عهد وان تبني رؤوس الشوامق •
وذلك الذهبي الذي سعده تردى • فلم تتبعه نصرة قار ... •
فكان كما قد قيل كن راسه انزل ساجفا • والرجل ليست بسابق •

اشار الى قول بعضهم في الوزير ابن العرس وقد رءاه منكوس الراس مصلوبا
لقد حكم الدهر الجموح لغاية • تقطع اعناق العتاق السوابق •

جرى

جرى بجرى رجلاه كن راسه • انزل ساجفا والرجل ليس بسابق •

ذكر بناء المنصور البديع وسبب ذلك

قال في مناهج الصفا كان السبب الحامل للمنصور على بناء البديع
وانفاقه فيه جلايل الاموال ونفايس الذخاير هو انه ادرك لاهل البيت
ماثرة وشفوفا على غيرهم ولذا البرامكة والعباسيين والموحدين ومن بعدهم فان كلا
من تلك الدول ابقى بناء يخبر به في كتبهم ولم يكن لاهل البيت في هذا المغرب
شيء تتحدث به حكوتهم مع انهم احق الناس بالفخر والشرف الا قليل
فتصدى لبنايه بقصد تشريف اهل البيت بذلك البناء **كما قال**

همم الملوك اذا ارادوا ذكرها • من بعدهم فبالسن البنيان •
ان البناء اذا تعاظم شانه • اضحى يدل على عظيم الشان •

اخذ اهل العلم ومن يتسم بالصلاح فتجمعوا اول ابتداء وقت
الشروع فيه وفي تاسيسه في شوال عام خامس اثنين من خلافته عام
ستة وثمانين واتصل العمل به الى عام اثنين والف ولم يتخلل ذلك فترة وحشر
له الصناع حتى من بلاد الفرنجة فكان يجتمع فيه كل يوم من ارباب الصنا
يع ومهرة الحكماء خلق عظيم حتى كان بنائه سوق عظيم يقصده التجار
ببضايعهم ونفايس اعلاقهم وجلب له الرخام من بلاد الروم فكان يشتري
به منه بالسكر وزنا بوزن كما قيل **وكان المنصور**
قد اتخذ معامل السكر ببلاد حاحة وشوشاوة وغيرهما حسبما ذكره
الفشتالي في المناهل **و**اما حيسه وجيانه وقد ... فانما جمعت
من كل جهة وحملت من كل ناحية حتى انه وجدت بها فقيهاً ... وفلانا
دفع ... للصاع وجيان وهلك من قبلك وكذا عليه من عملة الناس
وكان المنصور مع ذلك يتيسر للاجراء غاية الاحسان ويجزل
صلة العاملين بالبناء ويوسع عليهم في العطاء ويقوم بشوراة ... همم

كثرة تشوف نفوسهم وتشعب افكارهم وهذا البديع دار مربعة
الشكل وفي كل جهة منها قبة رابعة المثل واحتف بها مصانع اخر
من قباب وقصور وقد بار وعجز بذلك بناؤه وكمالات مشاقته قال
شيخنا ان هذا البديع من احسن المباني واعجب المصانع بعض عند شعراء
بواد وشيد بكرم عمار وبخس الزهر والزاهرة وفيه
من الرخام المجزع والمرمر الابيض والاسود وكل رخامة كلها اشتما
بالذهب الذائب وموه بالنضار الصافي وفرشت ارضه بالرخام العجيب
العجيب النحت التقي البشرة وجعل في اضعاف ذلك الزليج المشوع
التلوين حتى كانه خمائل الزهر وبرود موشى واما سقوفه فتجسم فيه
الذهب وكللت الجدران به مع تبريع النقش وابو الرقم بخالص
الجبس فتكاملت فيه المحاسن واجري بين قبابه ماء غزيرا ولا تجمله
فان هذا البديع من المباني المتناهية البهاء والاسرار المباهية لزرو
راء العراق ومن المصانع التي هي جنة الدنيا وفتنة ومنتهى الوصف ومرقى
السرور والغصن

• كل فضل بعد البديع يزم فيه كتاب الجنس وفيه يتشم •
• فنظرت ابو ومادنير وتوا عاليهم وفض انتم •
• او من اكتسابه فزنتاهت فخرا وهي للعلا الزهر تشم •

وفيه من انواع شعار المرفوعة والابيات المنقوشة في الخشب
والزليج والجص ما يسر الناظر ويزري والمتامل ويبهر العقول وعلى كل
قبة ما فيها بيتها وفي بعض القباب مما خرج على لسانها في المغا بلقيها
وتبع ذلك قول الكري باسرار فلم هنا بهما القدم من ذلك الحوض وتخرج
في مجاري تلك البرايع بعض الحوض اذ في ذلك عبرة لمن اعتبر وترويح
للقلوب بكيفية وفعل الزهر من غير فيه ذلك ما نفشر خارج القبة

[Right margin notes:] ويشهد بعض الشعراء [illegible] والاتراع العظيم — التخيل — في الاسرار

٥١

الخمسينية قال في نفح الطيب وانما سميت الخمسينية لان فيها خمسين
ذراعا اعلاها العمل بانشاء الكاتب البليغ ابي فارس القشتالي على لسان تلك القبة
المذكورة

• سموت فخار البدر دوني وانحطا • واصبح قرص الشمس في اذني قرطا •
• وصغت من الاكليل تاجا لمفرقي • ونيطت بي الجوزاء في عنقي سمطا •
• ولاحت بأعلاي الثريا كانما • قنيت بها ريحانة لفها •
• وعربت عن زهر النجوم لانني • جعلت على كيوان رجلي مختطا •
• واجري بيض السماحة والندى • خليجا على نهر المجرة قد غطا •
• عقدت عليه الجسر للفخر فانتمت • اليه وفود المجد تعرو ما افطا •
• تنفض ما بين العروس كانه • وقد زففت حسناء حيث رفعها •
• حواليه من دوح الرياض عرائس • وغيد تجر من حليها مرطا •
• اذا ارسلت لدن الفروع وقتحت • جنى الزهر لاحت في دوائبها وخطا •
• ترنحها مر النسيم اذا سرى • لما ما انتشى او لما تشرب اسفنطا •
• يشق ريلضا جادها الجود والندى • سواء لديها الغيث اسكب او ابطا •
• وجادت بسلسال اللجين حياضها • بحار غدا غوض التبسيط لها شطا •
• تطلع منها وسطها دمية هي • الشمس لا تخشى كسوفا ولا غطا •
• حكت وحباب الماء في جنباتها • سنى البدر حلي في نجوم السما وسطا •
• اذا اعتلت النما الشمس القت شعاعها • على جسمها الفضي تمد لها انما •
• توهمت فيما من عداء اذيبها • نفوسها كان المسك بينهما نفطا •
• اذا انتسعت بيض الدمى فكانما • عذارى نضت عنها الغلائر والريطا •
• فروده ولا كمن ذاهما الحسن • عن بيها واهل بتعيمها النحت والخرطا •
• لمن صعن ازنحا فيها فتكسرت • قوارير اقلاك السماح بها سقطا •
• وبالخلفاء الا بالسعادة واهل • باكنافه زهل العلا والمجد حطا •

[Left margin notes:] انيمه بالكسر جمع الدهر وقلادة الحوله من الحبيعة ﻫ قاموس
الشعرها
[illegible] ويرا [illegible] ارزاء هو زاد المومن وجبر وجيرم [illegible] وطهر [illegible] الخوارير
العيا عراح كما في لماء القصر وبينما وسطا نكلمع بيض الرمال

وكعبة مجد شادها الله وابتنت ... تطوف بمغناها أماني الورى شوقها
ومسرح غزلان الصريم كناسها ... حنايا القباب لا الكثيب ولا النقا
فلله ما كانت لآلي أنجمها ... ووسد فيه الوشي للسرر والدكا
تراءى من المشي البعيد مدبرا ... إذا اعترضته السحب عاد به غلسا
وإن بالكر تنشق ... سرا الهلال أنه عرف عنبر فنشقها
أقرت له الزهراء والحمراء وانثنت ... وأورثه كسرى العروش تعشقها
جنان وإن الجنة فيه تطلبت ... على خير من يغزى بخيل الورى سبقا
أقام بنيس الزهر تحت لوائه ... وترسي سفائن الغلاء حيثما حلها
وفتاح أقطار البلاد بعزمه ... يفلق هامات العدا بالظبا فتقها
تطلع من خير ذا كف الشمس فانثنى ... وأبد أزهر الزمن منه ما شرقها
كتائب نصر أن جرت للملك جرت ... فبلت ما لا فراد نسب فيها عرفها
إذا ما عقد راية علوية ... جعل عمادا للعزة عقدها شمسها
قبل السنا تلك الملة انها ... سنا بكمال الفتح مثل ابدا خلقها
بها ودع أهل الغلوات عنا فيها ... يضحك عن وميض الزهر كيما إشراقها
ترى لأمير المومنين بكعبها ... زماما وتعقد الزحوف والعز والفجر
إذا رجعت الأغلال وسرادق ... فاجعل جنات الأرض منه عنقها

وفي أيضا مما كتب بداخل القبة المذكورة

بجميل بدائع سحر العيونا ... وترقى منظره سحر الجفونا
وقد حسنت ثغورا واشتهارا ... نس يغشى عبير الناظرينا
وأطلع سماء العلى نجوما ... توافي الآن تغور الزهر حينا
وجوه من جمال الدرر العلى ... على أرض الغياهب والرجونا
علو تكد وأبرأ الآن فلله ... سبحانه الزائد الزمن ما البعض سكونا
بقطعتنا من الآن مبلة والخلائق ... آساور الحلل والخلائق والبونا

تكنفني

تكنفني حيال ما يليني ... أقاليم الشمال واليمينا
بغير حليهما الجوزاء أنفسها ... ويكري الفلك فيهما والسفينا
تراءى ثم ما تنفك تحوي ... قلائد في البحر من جوهر دفينا
تروق شهب السماء بمن غرفا ... فحسبهما بها الدر المصونا
وقد فتن الحباب على سماء ... لقد تزدري العقد الثمينا
فجرت وهي الحلل اجتبانا ... بمجلسه أمير المومنينا
مقر المنصور حاز قطر سبق ... وبانى المجد بنيانا مكينا
وليث وغى إذا ازداد تعاظم ... يروع زد بريه هصرا وهينا
إذا أمت كتائبه الأعادي ... ونصر من عبيه جيشا كمينا
يريد عليهم من كل حزب ... ترفهم رحى أو منجنونا
أقام بالمغارب فتحا ... شمسا بعد الشرق واكتسى نورا مبينا
بقيت بن الغصن بدرا تلوح بأفقهم ... عدد السنينا
نحو بكن عزا كعا عنت ... بأرجاء بقلائد كرام كما تبينا
لك البشرى أمير المومنين إذ ... خلعتها بسلام آمنينا

وفي أيضا مما كتب ببرج السعد أسيف

لقد جمع منه نظيم لما ... أظهر منه وهو نظيم
وصيغت نقوش حلاه وفسر ... فلا يبر فرز نظمه تماثيل النحور
وكل إنما والتبر بما أخلى ... لماوشي وجهه ترى بها كل فعوق
وكل أرض فرا دبباجه ... فرزا حسن هز أزهار تشجينا
وإذا افتزع نثره تزدهي ... إنما كاد نور بدر بها مغمور
شاو الغصن ففعل ما عز وحسبه ... سيار فيه خور نور وسرية
فإذا انجلت الحلق في جنباته ... تر وعدوه تجسد مسحور
وكل وموج البحر كثير أمامه ... حركات سحب كل تجسد بدورة

الغير

ببصوص ابير

حيث انقطع معظم الرمل

ضحكت بصفحتها ثغور وضاءة مثل النفوس يحسنها تصوير
بنثير من وضع الثريا ربعلا يسرّى الى الارواح منه سرور
فاليبروا اهاد بيبيح زبرها واسا وبيسموا النجوم صغير
وذهبت من الافها راوض زجاجة واظلها قلب مضمر
راقت فمن حصبائها ومواقع يطفوا عليها اللؤلؤ المنثور
يا حسنه من مصنع بيمانه باهي نجوم الابو وقمير منيره
وكأنما زهر الرياض بجنبه حيث التفت كواكب وبدور
ولربما اشمس تخير وضعه بجر الورى والمنصور
ملك اناف على البدور رتبة وافلها فوق السماء سرير
فهو الخلافة تاج مجد ولدة زمنت بجعلها التمام الكور
وجرى الى اقصى العلا ولربما جيش على جسر الفرات عبور
نجل النبي بن الوصي سليل من حضر الزماء وهو فريد
بجر النوال كنده متموج سبب العلا به كنده معمور
عود تجمع بجلد ووقار ويجيشه يوم النزول تبير
ذات معاليه ودام بجره عوده على جبر العلا مزرور
وتعاهدته من الفتوح بشاير بغرو اعلنه الحساد نكود
فإذا اقتنل سعده يتاح تحية نصر لوائه المنشور
وجهة بد من هيائه مستع ولدار كاسراته نصر فيه شعير
ومما قاله الفتنال البضاوكتب في بعض المباني البديعة
مغاز الحسن تبهر في الحلا الكهنور السحر في حرف الحسان
فشار بده في معاني الحسن الحت تمتا منها الغاز للغواني
بكل ممرد صبح من لجين تكون في استقامته خوط البان
فبعضه الفرود مثلثات موافقة العنا ومن المثاني
ترجمنا سابد والحسن يزري بحسن السابر والحسن وافي
وتعطوا الخيزراق من حسنا ما بسالبه القطيع البرهماني
لجرح لاتتمي بابه كرنما الرصعا وما صنع البراني
يريك ابرد محرو وعقوا لما فحمنا في اوض اليماني
غمرت ما رقا الامعاهيما الجور بركته الهامة وقع البيلهاني
مباني بالخلافة ذات تبها يلوا المهمل السبع المثاني
فصور وقا لمها في او ظر تشبه وما في المحبر المنصور ثاني
وقال الفضا مما كتب على المصرية المطلة على الرياض المرتفعة على القبة الخضراء وكان انشاؤها عام خمسة وتسعين وتسعمائة
باكر لروحي المسرور كئوسها وانظر النديم اهلة وشموسا
واعرج على عرض المنيف سمائها تلقى العياق فيها جلوسا
واذ اطلعت باوجها قمر العلى لا تبرح عين النجوم جليسا
شرف القصور بربعها لما احتفت عنه على بسط الرياض عروسا
واعتنقت بالمنصور احمد ضيغما ورد النجيب من بربع خميسا
وقال في بعض الكتب لما أمر به الامستاذ المرمتقنة المحكمة الصنعة لتنشر بها التواجات وتعقد الغبة الخمسينية وتسمى هذه الاب عنا وعند اهل المغرب بالحمد الحمد ابه ول
متع جفوك في بربع لنا واهد على حسن مجيا الكاس
هذي الرتب والروض من حرعا بعلى فاعتنم معمار البحاس
انولر وضراي يزهو بماء مثله وانجم على صنباس
قبلة روضه نعشاء السواد وانما فا والكفي كنبان الكناس
وفي الجهة الثانية

من كل حسناء كالقضيب اذا انثنى تزري بغصن البانة المياس
ولقد نشرن على السماك ذوائبا ونظمن من زهر الى الكناس
وجررن ذيلا بالمجرة عاشيا بخز الختم الى العبا يس
ما ابصر المشلي في القباب وقد ازدهت بقيني سواه مراتب وكراس

وفي الجهة الثالثة

ملك تقاصرت الملوك لعزه وهامهم بالذل وابن تعاس
غيث المواهب في كل قبيلة ليث الحروب مشعر ابن وكاس
فبروا المحاسن والمفاخر كلها فهب الجمال الخوالنزال والباس
ملك اذا وافى البلاد تارجت منه الوهاد بعاكم الانفاس

وفي الجهة الرابعة

واذا اتطلع بدره من هالة يغشى سناه نواظر الجلاس
ايامه غرر تجلت كلها الجم من الا عياد والاعراس
لا زال بالمجد السني يشيم ويقيم مغناه على اسس اساس
ما ماس بالغصن النسيم وحبت ذرره في الشكاء النواحي المياس

وقال بعض الكتاب ايضا مما نقش بعضادتي باب

يا ناظري بالله قف وتأمل وانظر الى الحسن البديع الكامل
واذا انظرت الى الحقيقة فلتقل السر في الشكل وليس في المنزل

وقال العشتالي مما نقش ببعض الابواب

من وفود الشعر نحوي تنتمي وطلايع البشر لبابي تنتمي
وسمت الى العلياء عرفي مثل ما سمى الحجيج الى سقاية زمزم
حفت بحمى السعود بشائرا حنا على الشروان مثل اللانجم
واوراعي ان تعول قولا قبل فتى ربيع احمى جنة المتنعم

فقال العشتالي لما عرضت عليه هذه الابيات استحسنها

ابن انه ذكره لعله جنة وتغير منها كثيرا وكان الفراغ من بناء البديع
عام اثنين والف ثم قال وحده يقول الوزير الاديب ابو الحسن علي بن محمد
الشيظمي ومما نقش في باب الرخام احد ابواب البديع
الحسن لعله وهذا القصر مغناه ما اطا املح من داته وانماء
بنى البديع ابن زاف بدرا بغير وكادوا سماله فيه منتماه
صرح اقيمت على التقوى قواعده وقد امته على التاريخ مغناه

وقال الوزير المذكور ايضا مما نقش في احد ابواب البديع

ولاح ايضا وعنز الحفظ تكلاه فاريخه من تمام فلاهجرا لله
باب اتى كبراعة استهلال وكانما القصر القصير التال
ولذاك سمي بالبديع وجاء بالاعراب والتجنيس والايغال
واتى التمام وقفلت في قال وجه بيت بلا عمر ولا اشكال
تم علو التقوى ومن المه ابتنى في كل ايع المسعر والاقبال

وقال ايضا مما كتب ببناء قبة الزجاج

فقال ايضا في تمام البديع مهنيا

ارشتت تاريخ الحال البديع وقل ايوان احسن ايوان الشعرانا
يا مليك املكه فمن ملك كطلوع النجم من بعد الحال
تم هذا القصر واستند على حسن حال بروا والمال لك

فقال في نبخ القبة

اخترع المنصور من الصنائع تلاقت اشياء فجاءت غريبة الشكل بديعة الحسن وهي البديع
والسمه والمشمس وفيما يقول المنصور معربا
بستان حسن ابدعت زهر انه ولكم بنيت الفلا عنه بما انتمى
وفوا عضيد بالحسن تنتشي يا حسنه وهو الذي المشتهى

البستان المعروف ببستان الغرب لابن عزازي

انتهى وأخبرني غير واحد أن صاحب كتاب البستان المعروف ببستان المغرب وهو الشيخ
أبو محمد عبد الله بن عزازي الآن نسبه حسبما رأيته في الشرح الثاني منه أن
أول من أنشأ البستان الذي بفاس بحضرة الخليفة عبد المومن بن علي الكومي
الموحدي قال وهو بستان طوله ثلاثة أميال وعرضه قليل
منه فيه كل فاكهة تشتهى وجلب إليه الماء من أغمات واستنبط له عيونا
كثيرة قال ابن اليسع وما خرجت أنا من مراكش في سنة ثلاث
وأربعين وخمسمائة إلا وهذا البستان الذي غرسه يبلغ مبيع زيتونه
ومن الغلة ثلاثين ألف دينار مومنية على رخص الفاكهة بمراكش انتهى ولعل
المنصور جدد معالم البستان بعد اندراسها وأفاض سجال الحياة على ميت
أغراسها وكان المنصور يفتخر بالبديع كثيرا ويتيه بغرره وفي ذلك يقول
أبو فارس الفشتالي

هذا البديع يعز شبه بدائع ... أبدعتهن بجدة غريبا
أضحى الغزالة حسنه حسدا لذا ... أبدى عليها للأصيل شحوبا
شيدت منه مطالعا ومنابعا ... أنجزن وعد العلا المرقوبا
وجريت فيه كل المجد لغاية ... أدركتها وما مسست لغوبا
فانعم بملكك فيه دام مؤبدا ... تجني به ثمر النعيم رطيبا

ولما أكمل المنصور البديع وفرغ من تنميق بردته وتطريز حلته صنع
مهرجانا عظيما دعا إليه الخاصة والعامة وقدم لهم من ضروب الأطعمة
وصنوف الموائد وأفرغ عليهم من العطايا ومنحهم من الجوائز ما لم
يعهد قبل وكان ممن حضر في غمار الناس رجل من البهاليل كانت له شهرة
في الوقت بالصلاح فقال له المنصور على سبيل المباسطة كيف رأيت دارنا هذه يا
فلان فقال له إذا هدمت كانت كدية كبيرة من التراب فوجم لها المنصور
وتطير منها وقد كان ذلك على يد السلطان الأعظم مولانا إسماعيل

في وصلها

ابن

٥٥

ابن الشريف أيده الله فإنه أمر بتدميره عام تسعة عشر ومائة وألف
فهدموا أشرعه بتهديم معالمه وبدلت محاسنه وفرق جموع محاسنه
وعاد حصيدا كأن لم تغن بالأمس حتى صار مرعى للكلاب وحتى على النهي
أن يرد شيئا يفسد من الدنيا إلا وضعه ومن العجيب أنه لم يبق بلد من
المغرب إلا وقد دخله شيء من أنقاض البديع ولقد تذكرت بهذا ما حكاه
بعض المؤرخين أن قرطبة الزاهرة التي بناها المنصور بن أبي عامر وهي
من عجائب الدنيا في إتقان البناء مر عليها في أيام المنصور بعض أهل البطا
لة وهي في نهاية العمران وأوج زهرها بساكنيها فقال يا دار فيك من كل دار
فجعل الله منك في كل دار قال فقضى الله بأن سلط
عليها أهل الغدر فهدمت ونهبت وتفرقت محاسنها حتى نقل بعض
أنقاضها للعدوة انتهى ولما دخلت البديع بعد
من الرحلة ورأيت ما صار إليه قرأت عليه أبياتا أنشدها محيي الدين ابن
العربي في كتاب المسامرات لما دخل الزاهرة ووجدها متهدمة

ديار بأكناف الملاعب تلمع ... وما إن بها من ساكن وهي بلقع
ينوح عليها الطير من كل جانب ... فتصمت أحيانا وحينا ترجع
فخاطبت منها طائرا متغردا ... له شجن في القلب وهو مروع
فقلت له علام تنوح وتشتكي ... فقال على دهر مضى ليس يرجع

وأنشدت ما أنشده ابن اللبانة في محنة الغادر

فقلت يوما للدار قوم تفارقوا ... فأين سكانك الكرام علينا
فقالت هنا أقاموا قليلا ثم ساروا ... ولست أعلم أينا

وأنشدت أيضا قول الشاعر

وقفت بالزهراء مستعبرا ... معتبرا أندب أشتاتا
فقلت يا زهراء ألا فارجعي ... قالت وهل يرجع من ماتا

بعلم اول الركب وابكي بها عيما انما يغني الربع هيفاتا
كانما انا زعمر فرقضى نواحي بين بر افوا تا

لطيفة فاعلم لفظ البديع تجد عدد نقط حروفه بحساب الجمل مائة وسبعة عشر ثم ثنيانه وهذا العدد هو الذي بقي فيه البديع فانه فرغ منه عام اثنين وشرع في هدمه عام تسعة عشر ومائة والف فعمر بنيانه مائة وسبعة عشر سنة على عدد اسمه وذلك من غريب الاتفاق والبقاء لله وحده

ذكر الخبر عن تمييز المنصور في ترتيب جيوشه وتعبية جنوده

قال الفشتالي كان الشان على عهد ابي محمد عبد الله المهدي وولده الغالب وولده المتوكل سيرة العرب في الجيش والحال كان والمشرب والملبس وغير ذلك ولما ولي المعتصم حمل الناس على السمة العجمية وجعل اليمين من ساير شؤونه لما كان اقام بها في بلاد الترك حيث كان بها وكره الناس ذلك وانفروا منه ونفروا مع العوايد فلما جاء الله بالمنصور والى بيتي بين العرب والعجم واصطفى من العجم قوادا ورتبهم بنعمته واشملهم ذوو احسانه فمنهم مصطفى باي ومعناه بلغة الترك قايد الفواد ويختص بخدمته مباحثة وكان يرسم على اسفل الباب العالي **ومنهم** الباشا محمود وهو صاحب خزاين الزاوية ومعه تسع بيوت المال ومنهم القايد المعلوج قايد جيش العلوج وقايد جيش العلوج والباشا جودر رايع الشرداني وهو قايد جيش اهل تدلس وكان له فلابه تدلس جيش عظيم رماة وعمر قايد جيش السوس فيه ولاة احكام العلوج وتليهم طايفة اخرى منهم مختيار وبغوتهم من جيش العجم من الاتراك والعلوج فسمه الى

اقسام منها **البناك** ومن اهل الغلانس المذهبة ذوات الاكراك والعلوج فسمه اية عراف من ريش النعام الملون يبعقم سالحين يقفون امام فيتبعه او معها كلهم **والسلاق** اهل الغلانس الطويلة المسبولة على المناكب وبناك بها منوا على الجباه جعاب من ذهب ويزينون عند الحزام بالجمجمة كعوا الريش لعوثنا الاقصا من ريش النعام الباقي وعلى اصل خلعته ويركز وفيما في الجعاب المنسوكة ويا لغلانس من اعلى الجعاب ويرسلون فيه الى وراء يقفون خلف البياح **وبلبلر ونشر** وهم اللفافة وهو رقاح فصار عليها العط مغشاة بالحرير ومرصعة بمساميم بيض وكتبت عليها اسنة من خلاص وزجاج هايلة تبيتنا من يشتمن كل سنان منها الضلاع مشتغمة ويدفع مقوم على السكاك **والشنشرية** ومن اهل الطعام وضعا وردعا لا غني وقايدهم مختيار من سبني وقعة الخازن **والقبجية** ومن اهل حفظ الابواب وعلقها وفتحها وقايدهم من تولد اعشا ودين **وصايعية** من معه وتحرسه لبابه ويتكون على قسايع السور المحيط بالدار ومن وضيعة هيفة ويخرقة الكرسي والمسمين الذين يجلس عليها ابا به ونقاعد الغذاء الجلوس وكنسهما **والشوواشو** وهم الذين يتولون ضبط الجيوش في المصاف في حرب او سلم وانهاء الكتب والرسايل للجهات بجمع وشر **قال الفشتالي** وهذا ما زاد فاته وبذلك على ساير الدول وانه اخرج في يوم عيد او ملا فاثا او تهنية خرجوا اكثر كبيرا وكل قايد يقف عند سبرا البعاث حيا خيشه تحت الورقة مجموعة بجيش من وسيحيش مذ اهل الخيل وهم الذين يعرفون عندهم **بالكباشات** فاعلا بالحيش حيش وجيش من يرد فيه خلعه **قال الفشتالي** والتفيا

الزجر بدا العار في عساكر النار ان يتقدم اولا جيش السوس ثم يردف بعد خلفه
جيش الشراقة وكل منهما بنفسه على حدته ثم يردفهما العسكران العظيمان
عسكر الموالي العلوج وهو من ناحية اليمين وعسكر اهل الاندلس وهو ليس
جلدتهم ويدخل بينهم قواد اوجيش ان صح يمشون الى المسير لا يتقدم احد منهما
فيهما عند العطا تارة يتقدم اهل الاندلس وتارة يتقدم العلوج وغيرهم من الموالي
يكونون في الميمنة لمزية الولاء وكذلك فيما يخص بهم من الاثر وكذا يدفع ويتقدم
فايدهما المحمود فايد الموالي وجود فايد الاندلس وقد يقع على راس كل
منهم الرايات وتجدد عسكرهم بالكل شان ثم قط يجمع العسكرين
الرحلة العظيمة المولعة بين البنادق والسلاح وبلبل وشر تقسيم الجهو
الثلاثة اقام البلد المنصور صفوفا متساوية فاما البنادق فيلون ركاب
به يجعلون بينهم وشماله ولا يبرح البعض قاعد الميزانية المنصورية
اقاته **ومنهم** صاحب الطبل الذي يوضع على راسه كالعمامة
متحمله حالة ركوبه افريقية رجعة لغايرهم يروي واذا امشي للمسجد
جامع المنصور من جهة فبنوا الاسراف وللمتشمس على وجه عمله
بروزه بنفسه ثم تقسيم عن يمينه وشماله السلاح وتقسيم عن يمينه
الا بلبلر وشر اهل اللفافع **ويكسر** من الجميع صورة تنزوع
الرعب في القلوب وتقسيم التجليب فيما بين سماكي الرحلة مجموعة
مع اصحاب الالوية عسكر النار يقودها صنع يدعون السراحة
وكانوا وكانت نجايب الخلفا يقودها الرجال في الوزعة وهذا الحمل مزية
وجيش اهل مباحية الالوان نظرا بالارض وقايدهم فسيم كتيبة عن يمينه
تسبي احزمها اذا البيض واخرى ذات الشمال اقام المركب مرفع اللولؤ
العظيم الابيض المنعوت باللواء المنصور علامة على شعار الدولة على
راس المنصور وبساقته من خلفه وهنالك الوية كثيرة ذات الوان مختلفة

وامامه

٥٧

وامامه الطبل العظيم الذي يسمع دويه من مسافة بعيدة ومن خلفه الطبول التي
هي معها الغيطات واحدثها غيطة بتول النبع فيما فوق من العجم اشافيه
يتعلمونها فيبعثون فيما يستمعون منها اصواتا وتللمون الا نحن الطبع وقد
فعنه على شيء دون الحرب فانما تستجع الخيل وتقوى جاش الخليفة حكمة
فيلسوفية **وهنالك** من امر اخر وعجايب اهل الصنعة على
مقدار النبع تسمى الهوزنطات مما احدثه ايضا في دولته وزادت به
دولته فخامة وضخامة ويردف خلف هذه الالوية والالة من خلفها امير
المؤمنين موكبه العظيم هذا ترتيب جيش المنصور انتهى باختصار من كتاب
مناهل الصفا **فلت** ذكر بعضهم ان الطبلة التي وضعها تكون
فوق راس المنصور هي من مستحدثات ملوك الدولة السعدية والذي عليه في كتب
التاريخ انها كانت من قديم **فعن** ابن خلكان في ترجمة يعقوب وزن العزيز
ابن نزار انه كان اول من خرج الى ميدانه وعليه الحزم وركب بغلته بغير
الطبلة وكانت عادة قدامه لا يركب الا بها انتهى **و**لعل الملوك السعدين اول من
استعملها بالمغرب والله اعلم **وما ذكره العشتالي** من تواجد
اجناد المنصور وتكاثر جيوشه هو كذلك **و**نقل عن العامة في ذلك
باخبار واهية وزعموا ان المنصور خرج مرة للرملة بظاهر مراكش ولم يعلم
اصحابه بخروجه يحيروا بخروجه تبعوه خفافا وثقالا باقرب زمان عند هنا
لك من الجيش بتجمهر فانبهر الفقيه فقال يا سبحان الله فرخا لنا يعقوب منا حي كتبنا
في هذا العدد يشغله ولا يخفي ما في هذا الكلام من الزيادة **و**الذي ذكره الشيخ
ابو العباس احمد المقري في كتابه المسمى الشهاب الى لقاء الاحباب
ما معناه **قال** ان جزيرة الاندلس استرداها من ايدي الكفار يسهل
واسترجاعها منهم **و**لما اخلى من كتب في ايام المنصور وجعل عنده من
الخيل نحو اربعين ستة وعشرين الفا ولو تحركت همته لغزاها لاستولى عليها في اليسير انتهى

فرع بجملة
استرداد جزيرة الاندلس عادها الله
دار الاسلام آمين

بالمغرب ونقلته من حيث هو وكذلك نقلنا في هذا الكتاب كلما من حيث هو
والله أعلم.

ذكر طرف من شجاعته وثباته ورأيه وحزمه وضبطه

كان المنصور شجاعا عظيم الإقدام لا يكترث بالأشجاع ولا يهتم على اثر بنار
الهيجاء ولا يصيح في كتائب الحرب وفي جزع القتال وقد أنشد وزيره أبو الحسن
علي بن منصور الشيظمي في بعض معاركه مع المتوكل بيتي الكاتب أبي عبد الله
ابن عيسى فيه

هو الغيث إلا أنه البحر في الجود والندى ... وحد الهيجاء هصور
يهون الشهاب عزمه وانبعاثه ... ويعض في الثبات ثبير

فأجابه المنصور ببيت أبي فراس

ونحن أناس لا توسط عندنا ... لنا الصدر دون العالمين أو القبر
تهون علينا في المعالي نفوسنا ... ومن خطب الحسناء لم يغلها المهر

ومن حزمه أنه كان متطلعا لأخبار النواحي وأخبار الأنباء غير متراخ في قراءة ما يرد عليه من رسائل عماله ولا يبطئ
بالجواب ويقول كل شيء يقبل التأخير إلا مجاوبة العمال عن رسائلهم وكان الكتاب
لا يبقى فوق مراكزهم إلا في أوقات مخصوصة. قال الفشتالي
ولقد كنا أجلاء بباب يوما ننتظر الكتاب قبل أن يخرج لنا المنصور وقد
انتزع على الكاتب البليغ أبي عبد الله سيدي محمد بن علي الفشتالي بان ولد له
في الترجيح فلم يملك نفسه أن ذهب لداره فخرج المنصور على إثر ذلك فسأل عنه
فقيل له ذهب لداره فاستشاط لها وبعث وراءه فجاء به من عجلا وقال
شككنا في عقوبته فلما مثل بين يديه قال له ما ذهب بك فذكر له عذره
ولو أنه اشتد به الأمر ولم يجمع فيه دواء إلا كتابة فرق له وقال له
إن أمراء الكتابة فلم يجمع فيما إلا كتب العجائز وإن كعجائز في أوقا

وإن

فأنعمن من بيتها هو ومن حزمه أنه اخترع أشكالا من الخط على غير حروف
المعجم يكتب فيما بينه ومن لا يطلع عليه أحد غيرهما الخط المتعارف وفي
الكتاب مغلقا إذا سقط أو ضاع أو وقع في يد عدوه لم يدر ما فيه ووقع في معنى
ما اشتمل عليه وكان إذا أجمع أمرا من الأمور أو عمالة نادى له خطا من تلك
الخطوط يكتب بها رسائله إلى أمير المؤمنين اليهم ويكتب عنه أهل ذلك ومن عجيبه
أنه تعلم الخط المشرقي وكان يكتب به على علماء المشرق وكتابه كان حسن
يوجد في خط المشارقة وقد وقع له في ذلك أنه بعث بطاقة بخط يده
بالخط المشرقي لكاتبه البليغ أبي عبد الله بن عيسى يستدعي منه كتابا
كتابا فبعثه ابن عيسى بعينه هذا بين البيتين

سقيتم كأس السرور دهاقا خلفكم ... في قهوة
رأيت كما النثر الأحمر في العجم لبخ ... أجادت إليه من المشرق

ذكر هيئته في السفر وحالته فيه وما يناسب ذلك

قال شارح زهرة الشماريخ إن المنصور كان قليل الأسفار وإنما
سافر لقتال مرتين بن عمه وكان مبلغ الخزائن مكبا على شهواته مدة
خلافته انتهى وبه يعلم أنه قد شاع على الألسنة من أنه كان يتكرر
بقاء سنة الشتاء وحتى اكتسى مثلها ليس بصحيح والله أعلم. وكان
المنصور إذا سافر لمستعد غاية الاستعداد واحتشد في الخرجة قال
صاحب النزهة المشكية كان له فيه من عمود مسمر بمسامير وحلق وفي أعلاه
ومفاتيح معطفة على هيئة عجيبة وقد أحرز بذلك كله سرادق
كالسور نسيج كتان كأنه مزيقة وزخرفة بنيان وفي داخله القباب
الملونة حمرا وسودا وخضرا وفيها كأنما أزهار الرياض قد تفتح
عن الأكمام النقش وملئ بأصناف العرش وللسرادق هوكا السور
أبواب كأنها أبواب مشيدة القصور يدخل منها الرجل بالفرس وقعا

يشير فيها إلى القصر الذي فيه القباب والقصر كأنه قرينة تشغل من أشغاله
وهي من أول أبيات الملوكية التي لم يوجد مثلها عند الملوك الماضين انتهى
وهذا الشراد ويسمى بالسياج وفيه يقول الإمام العالم الأكبر مفتي
الحضرة أبو مالك عبد الواحد بن أحمد الشريف والكاتب البارع أبو فارس فقال
في مناهل الصفا في المنصور لزيارة ضريح الصلحاء بأغمات وتأخر وراءه
فليفتي أبو مالك المذكور وأنا في أخريات الناس فقال لي

أبا فارس بان الخليط وودعوا فقلت وولوا وعشر الصبح منه تشعشعوا

فقال وعند حادي العيس وانشقت الضحى وكاد فؤادي للفراق يتقطع

فقلت

وقد خطر الله اشكوا فرقة منهم وقد زج عمرو كاسر الشوق ما نجعوا
ليس شرح السلو وعني بقرهم فقع حيث المنصور انسى اجمع

فقال

فكيف ترون عينيه هالة لقبابه ومركزها قطب الخلافة يلمع

فقلت

فيا ليت به في حالة الضر فتموج ومرا بعده شمس أولاده تطلع

وكان المنصور خرج لزيارة أغمات في شارة حسنة فلما بلغ
أغمات مكث فيه يومين وفي يوم الثالث خرج لزيارة أبي قاسم أبي
عبد الله ابن ميمون وطلع على ضريح الشيخ سيدي عبد الحميد ووقف عند
الجابية الكبرى ونعم فاتيس وعن ما أول عليه في الحاجات على يد
الفاضل الشيخ والفقيه أبي ميمون الحسن علي بن سليمان التملي وكان
معه الفقيه الفاضل أبو مالك عبد الواحد الحميدي استدعوه من فاس بسبب
سر الغزاة معه وكان الحميدي لونه عيا خفيف الروح وفي حضرة السبعة
مرة عن الحميدي أبياتا التي تبارى في معارضتها بعض أدباء الدولة

الشارح

وشعرا ومما

وشعرا ومما قد أنشد القاضي الفقيه الفاضل الكاتب أبا زيد عبد الرحمن بن محمد في
عبد الله الفنار بعث بكبش سمين وعسل للفاضل الحميدي تحفة فكتب له الحميدي
فكتب له الحميدي

أيا كاتب السر يا من برع محاسنه في الورى باهر
هدية أتت الشبعا وصلة فأكرم بها منحة نعام
وكبشا سمينا له كلوة تفوق الكلى نفحة زاهر
فلا زلت تثبت كتب أولى نام رسوما ولا عمر أيه قاهر

فقال الإمام سيدي عبد الواحد الشريف

أيا شيخ الجماعة يا فاضلا ومن في العلا مركز الدائر
شكرت بأبياتكم غادة وأحببت في همة غاير
وذكرته من بعالم نزل فريدا بمغلته ساهر
وحركت فكري بعلم غمرت بصدره مراسمه دائر
فمن أجواب أبياتكم الدابي بدور العلا السافر
سليل الولي فيا خطا ومن حسنه في الورى كالناهر

قال أبو فارس الفشتالي

أبا علوم كنت زاخر وشمس فخار جيها الباهر
لك الفضل عفوا اغر انجمت كتائب نظمكم ثائر
وهذا موارد ابداعها فصلت بها معول فاهر
فقيت تشربها غادة لتنشر امثالك المائر

وقال أبو عبد الله محمد بن علي الفشتالي

فجئت أفكارك حلة بصنعاء أفكارك الخاطر
وأجريت ماء البديع الذي رياض بلاغتك الساحر
وأطلعت فيه المعاني على مواكب انجم أفقك الزاهر

عيون البيان ولاح كأنما الغيث المنهل تكررا
تجر بها ثوب يتيمة من فريدة وعقود بناهته سافر

وقال ابو عبد الله محمد بن علي العوفي المعروف بالنابغة

ايا نجعة الروم يا ناظم وكهف بدا ايامه الناضر
وبدر العلوم التي قد رفعته حجب الجهل انوار الباهر
ومن كرعه في جيل العلا له همة بالزكاء ساحر
اتجلاك او فرقد بابلي ولفظك او نفحة الساحر
تعلل ارواح احنائهم شانها بارواح روضتها الزاهر
امرداوي فرس امورهنا او ارتاح لخلاف العاطر
وكلكم بعد امسارت النواه فيبدو ابا رجلها داير
فلا زلت يا شيخنا ثبتنا بنور في الليلة الساهر

وقال الوزير ابو الحسن علي الشيظمي

ايا عالم العلم يا ناشره وحامل راية الفاخر
وفاتح اقفاله الزاجرة بعلم وحقق ما الغائم
وقائم عهد المعازلي جدد وفينا المثل السائر
وازرت بعقد الحلا بالعمر كذا بشر الروضة الزاهر
وكلت تردد حسن الثنا وتروية عن نفيس الخاطر
وللخلاف الغرة فصحت عن النور بالزور والبهاهر
واثقلت عن اعين البياء من كل فتانة ساحر
تشير بعقد لهيئة الى محاسن اخلافك الباهر
وثبت سر البلاغة في عمارة حلتك الكن شاكر
روى لك بهمته سر المعاز بغير الكرا باهرت حاضر
وتمشكم من بليغ تاهر بذي الزكو نافع الناظر

يجبو

٦

يعجب منها المبتلى غيرة هيابة من فوقها هم
قسم في اقلامه بالكلام كالزهر بالخزنة انما هم
ولولا القضاء بلا فرق لتشبيهنا بالغياب ج
فلله در امره ماجن محاسنه همة وا رج
ومن سيم جامع للزكاء حلو الشمايل والنادر

وقال الكاتب ابو عبد الله محمد بن عمر بن ابي القاسم الشاوي

امحي رسوم العلا الغابرة واسنا ومقلته الساهر
ومطلع شمس المعارف من مغاربها حكمة كاظم
وفي العلوم التي اوجبت له البحر والعز في ابن خزر
وفاتح مسالك للمغرب لاهمه الشيخ كالمسافر
وداف له ابن زرع كلوا وعرضا وسار املا كما ساير
الوابه تبتغي وكيه وامنا لتكون له النعا هم
كعادا افتخاروا اباقال خفر في ايامه الزاهر

وقال ابو علي حسن بن عبد الكريم

اشيخ العلوم التي فرضت براع ابيات السائر
كلعت وكنت كنجم الصباح وشرقت باخلاق العاطر
اذا ما نويت كلاب العلا بكل المعاز لكن صابر
اقتني بابه مسرا ثم تكن رياض المعاز بماز هم
ومن شيع كمن ذكر عنبر الحمير ولحمت بما هند ذاثر
فلو عرفي عمري المنتهى به عجب من بهته با هم
علوت وفقت فضاة الورى فكم ها كذا مركز الزاجر

خصصت من جودا وسماحة
وفضل النايل من الاصقاع البعيد

الزاري

كان المنصور رحمه الله معتدل النفس جواد الطبع لا يبالي بما يجود ويعطي عطاء
من لا يخاف الفقر. قال الفشتالي: وكان الشيخ العلامة ابن علال أبو العباس
أحمد بن علي المنجور يقول: ما عمر فاس ابن المصير إلا في أيام الشرفاء ومن عمر
بنيان الأبنية في أيام المنصور. اهـ. وقال المشفي:
إن المنصور وهب لأديب من الأدباء ما وقع له مع الكاتب البارع أبي عبد
الله محمد بن عمر الشاوي المعروف بالفجيجي، وكان فريد الصحبة للمعتصم واغترب
معه في بلاد الجزائر، فلما أفضت الخلافة للمنصور وسوغه مغارم
مشليون بجزائرها، فكانت له على التحرير إلا أن المنصور استثنى أعشار
الزيت، فكتب له ابن عمر بأبيات ليشملها العطاء بإعطائها له أيضا، وكان ريع
منها أيضا بأربعين ألف أوقية من العين، وهذه الأبيات التي كتب بها إليه:

أجل الأنام الخليفة الملوك مهيبة ... وأكرم من يمشي على فوق منبر
لقد من لي بالأعشار أحسن سيرة ... وخصصت بالنعم العزيز الموزر
أمولاي من خص بجود جلالة ... فغير نوال منك لزيت موفر
فما إن زمان البرد فرجاء فضله ... وفي رغبة فيه بغير تنكر
فمنها اشتغالي بالزجاج وتطيب ... وقد هز عطفا فيه منها تعطر
لئن زيل الطبع اشتاء وجعلها ... ففي الزيت يا مولاي مسك وعنبر

ومن جوده أنه أعطى للشريف الأديب أبي الفضل محمد بن أبي الفضل المعروف
بابن العقاد المكي نحو أربعة آلاف أوقية ذهبا والخلع والكسا التي كان
يخلع عليه أيام إقامته ودون الكتب التي منحه، وكتب له كتبا كذا فلان
قلت إلا تراه يولي العطاء بالعين فيعجز لهذا الحد خافقا كما اشتهى، وكان
ابن العقاد قدم من مكة وأمر وقدم بأثر إقامة الرئيس الخليلي من المقدس
ورجل من أهل المدينة المسمى للشرف. قال في نزهة الحادي: لما اجتمع
هؤلاء الوافدون ببابه قال له الخليلي يوما يا أمير المؤمنين إن المساجد

الثلاثة

٦١

المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال قد شرف أهلها الآن الرحال، هذا المكي
وذا المدني وأنا المقدسي، ثم أنشد:

إن أمير المؤمنين أحمد ... بحر الندى وهله لا يجحد
فطيبة ومكة أهلها ... والمسجد الأقصى بذا يشهد

قال أبو زيد في حواشيه: أقام الرئيس الخليلي ابن الفقيه المعمر
أبي عبد الله محمد بن يوسف البطائحي المقدسي الشافعي إمام مسجد الخليل
وهو الذي رحل إلى البلاد ولقي المشايخ بمكة والمدينة ومصر والشام ثم
انتقل إلى القسطنطينية فسكنها مدة ونبغ بها، وورد على المغرب على المنصور ونزل
مراكش وقال زود أمته وتوفي في بعض فراقة قد عمرنا وزود أمته لمراكش فتبله
بالطاعون سنة تسع وتسعين وتسعمائة. وله شعر فمن قوله:

هو والله عجيب فرد ... وله عز منصور ما أقسم
وخير من آل الخلق الورى ... وفدا إنه الوزر أفرقهم

قوله

أحسن بالصنع في الدنيا ثمانية ... لا لوم في واحد منها إذا صنعا
المستمع بسلطان له منع ... وداخل في حديث اثنين منه وعا
ومتحف بحديث غير سامعه ... وداخل الدار تطفيلا بغير دعا
وطالب الخير من أعدائه وله ... وجالس مجلسا عن قدره ارتفعا
وطالب الرزق من أعدائه وكذا ... ضيف تأمر فيما أغفلا لعا

عـ مجلس

كتاب

وإشارته إلى ابن الأثير لما اقترفه في نشأة الأدب. فأما الثمانية إن أهينوا فلا
يلوموا إلا أنفسهم ما بين من يرح إليهم والمتأمر على صاحب
البيت والداخل بين اثنين في حديث لم يدخلاه فيه والمستمع بالسلطان
والجالس في مجلس ليس له بأهل والمقبل بحديثه على من لا يسمعه وكالب
الرزق من أعدائه والراجي الفضل من اللئام والمتصدر من مجادة أقام

الدين الخليل ايضا قال رقع لشيخنا وفتى المسلمين بالديار المغربية شمس الدين محمد بن ابي اللطف سؤال نظما وهو

ماذا تقولوا يا امام وعصره يا من يغد بالعلم اهل حجى هدى
اشالذي فرضت فضلا واجرا وراح مسلّ علماء امور نشر
هل يبس البشر والكماة الخضر وهل يبس لبسه لستر
افتونا وعجلوا بالجواب مسرّين عمة تحظوا بكل اجر

فاجاب رضي الله عنه بما نصه

من بعد حمد الله تلو شكره على جزيل فضله وبر
مصليا على رسوله الذي ارسله بنهيه وامر
افول ان الخضر اكبر فرا ما شرع هذا الحر ولم يلبسه في عمر
كذا الشيخ على ما في حاشية الشفا فضلا عن نكر
فالوا وما في القرى من لباسهما بذا الحسيب فلم يبر
والبسه سنة ابراهيم لا باس به فالبسه تجمل ستر
حررها ابن ابي اللطف اسمه محمد فعفو يغفر
حامدا الله مصليا على نبيه مستغفرا من وزر

وابن العلاء المذكور هو القائل في مدح المنصور وعا وخاطبه
افر ميمنه رحمه الله

ليت شعري هل ازور نهار الحمى من بعد الى النعيم اذ نعس
وترى عيناي ربات الحمى باهيات بغرود حيس
يرفلوا السعد من دار اللوى كلح البدر فوادي وا...س
هذه من يكتم اخبار روى والعفو منه لا اجفان نوم بالشمس
حين عزل الوصل عن دار الهوى هلت الحمير دمعي كالنفس
بحسام اذ تجود اكرما بلغا كم في سواد الجند

وتراودوا واقلب صبا مع قاما من جرحاتا العيون النعس
كلما جن ظلام الغسق هز في الشوق والتبكي شعبا
واعتما ان من جفاكم فليقم قد تذكرت جيادا والعقبا
وتناهت لو عينه من هوى ثم زاد الوجد في التشبا
فانعموا الحي بجود واحيا يهب نيرا الجود في انفس
سامحة لمن رضاكم شغفا وقدا وى جئته مع نعس
كنت قبل اليوم في لهو وتيه مع احباب بسلع العب
ومع كعب باحرى وجنبيه مشى والشمس واخرى مغرب
فرماني بسهام من شمائل وبريه ضارب البين بقلبي فتعب
لست ارجوا الفنا كم سلما اغنم من حي للاقام ...
احمد المحمود حقا من سما الشريف بن الشريف الكيس

ومن حج لانه كان يبعث للسادات البكريين بمصر كل سنة
اموالا كثيرة وكانت بينه وبين اولاد قطب العارف سيدي محمد بن القطب الكبير
ابي الحسن البكري مكاتبات تشاكه قطع الرياض وتحلي بسمر هاتين الحدق
الحمر **ومن نظم البكري المذكور في بعض رسائله للمنصور**

ولما القيم ولم استطع	اسير نحوكم بالقدم
سعيت اليكم برجل الرجا	وخاطبتكم بلسان القلم

وذكر صاحب الفوائد ان هذين البيتين كتب بهما المنصور
لملك العجم فاجابه ببيتين وهما

يا من تنوا وتفضلتم	وشرفتمونا بنقل القدم
فليس بغار ولا منقص	نجوم السما في بروج الخدم

ذكر جملة من علمه ومجمد من الفنون
وجودة فهمه ولطافة ادراكه

اكرم

نزلتم

اخرا
من انجيب

قال ابن القاضي كان المنصور متفننا في العلوم ومشتغلا بالعلم من شعر
وتاريخ وتفسير ونحو ولغة وبيان ومنطق وتعديل وحديث وحساب وفرائض وهند
سة وحجم ومقابلة وتعديل السيارة وله رواية في الحديث انتهى وقال
الفشتالي برع ابو العباس على علماء اوانه الملوك في الدولتين ابن مناخ
ابي عبد الله محمد بن يوسف الترغي ثم قرأ القرآن على الامام الاستاذ
ابي داود سليمان بن ابراهيم ثم قرأ الرسالة على الفقيه ابي
عمران موسى الرجراجي وقرأها ايضا مع قراءة على النحوي ابي فارس عبد
العزيز بن ابراهيم وقرأ ايضا علم الحساب واخذ ايضا علم العربية على نحوي زما
نه ابي العباس احمد القدومي صاحب الحواشي على المرادي واخذ اصول الدين عن
الامام ابي العباس المنجور وسمع عليه مقدمات السنوسي وحاشيته على الصغرى
وشرحيه الكبير والصغير على مختصر المختصر لابن زكري وسمع عليه ايضا
الخزرجية مرتين ومختصر السعد على التلخيص وسمع عليه ايضا كافية ابن
الحاجب في النحو والشمسية في المنطق وجمع الجوامع لابن السبكي واجازه في
كل ما تضمنته فهرسته حتى ما في اولها واخذ الفقه عن الحميدي والمنجور
واخذ الكتب الخمسة عن ولي الله سيدي رضوان وعن الزاهد الصالح سيدي محمد
ابن علي عن العلقمي عن السيوطي واخذ ايضا عن الامام مفتي المغرب سيدي
شقرون بن هبة الله الوجديجي مجالس من التفسير والفقه والنحو والكلام واخذ
عن الامام العلامة مفتي فاس سيدي يحيى السراج ورزقه الله من ثقوب الفهم
ما لم يكن لغيره حتى انه فهم كتاب اقليدس في الهندسة بغير استاذ لعدمه وهو
في المغرب فكان يفتح كل يوم شكلا مما اشكل له لعدم من يعرفه ولعله ايضا
بغير معرفة بعلم التعديل والهيئة قال الفشتالي نقلت من واقعة
المذكور من ورقة بخطه انتهى ورأيت بخط الشيخ القصار ما نصه
وقلت لما اجاز شيخه صنوا للسلطان ابي العباس المنصور

روى البخاري امير المؤمنين الحسني المنصور نجل الفتح المبين
عن الولي سيدي رضوان وعن سيدي سقين الشهير
عن زكرياء عن ابن حجر عن التنوخي عن الحجار
عن الزبيدي عن ابي الوقت عن الداودي عن السرخسي الفربري
عن الفربري عن البخاري ومسلما لزكرياء الغار
عن زركش عن البياني السند عن العساكري عن المؤيد
عن الفراوي مسند الوجود وعبد غافر عن الجلودي
عن ابن سفيان والاخير عن مسلم ابقاه ربنا بحق المسلم
وقد انشدني رحمه الله انه بعث لعلماء مصر يستجيز منهم رغبة في
اتصال حبل السند واقتفاء من صحب ذلك للعهود الاسلامية ومن اجازة الا
مام البدر القرافي المتقدم ومن بعض فصول اجازته له فوقفت
منه كتاب المنصور اليه ويثني عليه بالفصاحة فقال وقد وقف على المثال
الكريم المتلالي المزري نظامه بعقود اللآل فاذا به السحر الا انه
الحلال ولولا انه عري اعرابي من معجزات احمد صلى الله عليه وسلم لقيل انه
كراما كاتبين في زمن خليفة امير المؤمنين احمد بكتاب كريم على اسلوب
فريد في صله العجب فيه من البلاغة والحكم لم تكن في عصره بما من
خارق في ابن مقلة وهو من معجزاته صلى الله عليه وسلم على علمائه
واما ما شهد به من طلب الاجازة في الفنون والحديث له ولاكي
حمله
زين ابا اوصل الى الجنة على يد عشرة علماء قبله والقى اليه بافره وجهت وقع الا
مر فامتثله تاحتم وكما اعنته غير مسؤول فاجاز مرتضى ا
لعبد جميع ما يجوز لي من العلوم وعنه روايته بشرطه المعتبر عند اهل الا
مر وكذلك جاز اهل العصر اجازة عامة بعام ليكون ابناء الوقت جميعا
على ما يرى فضل موقفنا وتحت كلام ذا الجلال ابي نعام فانه هو المسبب

في تحصيل ذلك الى المنوال وكتب في ذلك رابع عشر ربيع الثاني عام اثنين وتسعين وتسعمائة
بقيد من قرأ في الحسن الضريف سيدي [illegible] الحسن [illegible] ولكن المنصور [illegible] الكتبة
هذا الامام الجليل الله وشهادته له [illegible] وقد كان [illegible] من اهل الفضل
والعلم وقال الشيخ شيخنا ابو سالم في كتابه تحفة الاخلا
باسناد [illegible] الامام ابي العباس احمد [illegible] قال الشيخ [illegible] ان العا
رف [illegible] بن [illegible] تكلم على نقطة باء البسملة في العين مجلسا ومائة
مجلس اثنين وفي سنة اربع وتسعين وتسعمائة قال له ابي
القاضي في بعض الفوائد ومن الشعر [illegible] المنصور [illegible] من علماء
[illegible] الامام العلامة بدر الدين القرافي [illegible] الامام ابي [illegible] وقد جا
زه اجازة عامة [illegible] وتركناها الغرض الاختصار ولكنه ختمها
بابيات نذكرها هنا

اجزت لمن تبعض واستجازا ... وبادر لا فتنا هم وجاز
واثبت في سلوك العلم ما لا ... به من بفضل مولاه يجاز
امام كامل [illegible] البرايا ... امير المومنين حوى مجاز
وذا الجعفر [illegible] باهر ... وفصل للاجازة واستجاز
فبادرت امتثالا [illegible] ... [illegible] من المجاز
وفي [illegible] بما [illegible] ... الامام به مجاز
بفاتحة وسنة خير هدي ... وسلسلة لمن حاز الامتياز
بذا [illegible] العلية الامام لما ابتدأه من فضل مجاز
واذ [illegible] منه [illegible] ... وما [illegible] ومن غير مجاز
[illegible] ... [illegible] مجاز
واشياخ [illegible] ... [illegible] مجاز

وعلى [illegible] العشاء الله كانت له خبرة بعلم العربية

قرأت

٦٤

قرأت في كتاب الفوائد الجمة [illegible] المنصور [illegible] بعلم النجوم
[illegible] واجزه به
صاحب [illegible] الفقيه الامير ابا الحسن علي بن سليمان [illegible] فقال له ابو الحسن
[illegible] الفقيه
ابي زيد عبد الرحمن بن عمر البعقيلي [illegible] المنصور [illegible] في ذلك
ابو الحسن [illegible] ابي بكر بن سليمان [illegible] وكان ابو بكر [illegible] يتعلم على
ابي زيد [illegible] حتى [illegible] الجراد وكتب للمنصور بذلك [illegible]
[illegible] وكان المنصور رحمه
الله جمع الفوائد [illegible] حلوا [illegible] العنوي
كلما [illegible] البخاري [illegible] منه [illegible] واعترا
ضات [illegible] الجواب عنها وكان الفقها
[illegible] في النوازل الصعبة [illegible] احكام
القضاة [illegible] على وجه فسادها وكان مجلسه في العلماء
[illegible] اولا [illegible] ويحكى
انه [illegible] وجماعة من اعيان
العلماء [illegible] القاضي [illegible] والمنجور وغيرهما [illegible]
[illegible] الناس [illegible] عليهما [illegible]
[illegible] القاضي [illegible] عليه [illegible] البقعة التي [illegible]
[illegible] الرجل [illegible] الرجل [illegible] البقعة هو الذي [illegible] عن هذه المسا
[illegible] هذه الابيات

[illegible] العلماء مسائل [illegible] ... [illegible]
[illegible] الحكم في [illegible] ... [illegible]
وهل جاز [illegible] ... اذا [illegible]

[illegible]

ومن [illegible] ابو [illegible] سعيد بن [illegible] رحمه الله كذا
قيل

وما ورد ليس في حبيب واصله ... وما جمع فيه يطاع بحقيق

وما وزنه شمر ولا زال فاتباع ... سواء والتعبير الكلي

وقد يرد لنا من في اعود بريدنا من ابليس ... والتعبير في الكل فاتي

فتوقف التمييز عن الجواب فزوعت القضية للمنصور فاستغربها وقال اهذا رجل من اهل البادية فجمع فاتح فضلات الجواهر وامر المجبور **فاجاب عنها فقال**

فجوابه في الاول اباحة اكلها ... بزعمنا فاقنع بزائد وصرف

كذا ابن حبيب في الحشائش اباحة ... لمحتاجه مثل العقار وما شبه

وقد قيل في الثاني وزاغ بجرو ... اكلها وذا المد في الكلب ليوسف قارتي

ويغتفر يحكي الخلائق منعه ... وانكره التشبيه فافهم وحققن

وربما يحكي الخلائق بغض من لعاب ... والتعبير للتشريق

وميت بجنون جهر خلق حكمه ... بعلم كلام لا تكن بغير متقي

وتخفيفها ان الجنون اذا اعتراه ... يصير كموت بظل الحق يعبق

فالاولة بعد البلوغ كفروه ... وحيث يرى قبل البلوغ فحقق

والاولة اثر الصلاح وفرعه ... وحيث بعصيان الكبير فليتق

وحيث يرى الميت ونار يعتبر ... مختزن حكم الجميع ووفق

ويسر المستبر وحموي تشهر ... وقال امام في الملحقة فارتق

وليس له فعل كفال واصله ... بكسر لباء فالكسر العين ترتقي

فجعله الماء في الغليل بالدوع ... والدوع بمنزل الواو فيما ولعق

واو ثبتت فاقلبه وجمع ... واعمال الفاعل تهرب والعلم شوق

وقد فصح مرقي العود من الغاية ... فاليس من العز عند العرب

فجمع سواء فالزمنه جامر فاسوية ... علم بقياس وحقق

ومستقبه ووزن اخذها قياسه ... سواء بد نقلها العرب فانطق

ذكر جملة من فتاوى البعيبة وقع

من غرر البيات الشعرية

قال العشتالي الف المنصور عدة تاليف كلها حسنة تدل على براعته وحسن معرفته فمنه **من ذلك** كتاب السياسة ونص خطبته **نحمدك** اللهم على ما قلدتنا من رياسة • وعلمتنا من سياسة • وعلمتنا من ملكه • ونحمدك من سلاح • وكفيتنا من اعداء • وهديتنا من اراء • ونصلي على مبلغ انبائك • وخاتم انبيائك • المؤيد باهل ارضك وسمائك • من اكتنفته على خلقك الحجة وبلسانه القاضي ونهجت لهم في اتباعنا المحجة • صلاة تكون لنا كفاء • ولجرحه وقاء **وبعد** فبنا حاجة الى تكميل نفوسنا في قوانا البشرية باستعمالها في حقائق المعلومات والنظرية • والعلوم الحكمية العملية • اولى بنا فيما نحن فيه • واعون على ما نجلبه لنزاع من العلوم الحكمية او نعقبه فلنتصر لا قومنا العقول البشرية • ونجلب بالحيل والرجل في ميادين معارك الحروب علينا **ومن الله سبحانه نستمد** • وعلى عونه جل وعز نعتمد • وهو حسبي ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم انتهى

قال ابو عشتالي وكان اعتماده على جمع اشعار الشعراء واهل البيت وتبع ما انتهى **واما ما جمع من تقاييده المعرفة وكتبه فمنه** ذلك حاشيته على التفسير تكلم فيها مع الزمخشري وغيره جمعها في ابي العقيد ابو الحسن علي بن منصور الشيخي وكان المنصور حريصا على التاليف قائما بالعقائد بالتفسير وامر الفقيه المفتي العلامة ابا عبد الله مسرفي محمد بن عبد الرحمن ان يجمع بين تقييد الامام البسيلي وتقييد السلوي عن شيخهما ابن عرفة في التفسير فجعله الى **وامر الامام المنجور** بشرح البيعة ابن مالك شرحا جمع ما تفرق في الشروح والحواشي بحيث يغني عن سائر ما في غيره فجعله مجلدين بخمسة **و** امره بشرح مختصر ابن الفاصر **قال العشتالي** وما تيسر به فيما وتجبا خزائنه

الشامي

العلمية

على سائر الخزائن الملوكية تآليف الفاضل العلامة أبي العباس أحمد بن أبي جمعة سعيد بن مسعود الماغوسي التي منها شرح لامية العجم إملاء بالمشرق وعليه تعريف غايته ومنها شرح لامية العرب إملاء كله بالمشرق وعزم به بالمغرب وجزم به المنصور وله شرح على دور الشيخ في أخبار السبط تآليف ابن أبي جمعة
وقال في ذوي الجلال واخرج هنالك عمرو لعيني من أهل مصر والحجاز والشام وقسطنطينية وغيرهم وله فيما أظن مشيخة فيها أسماؤهم وما سمع منهم ولم يعثر الجنين في غالب الظن وتسعمائة وهو من أهل العصر وله خطوط ومشاركة في العلوم وهم ثاقب الشمس وكان المنصور عناية تامة باقتناء العلوم والكتب والتنافس في جمعها من كل جهة فاجتمع بخزائنه من غرائب الدواوين ما لم يكن لمن قبله ولا يتهيأ مثله لمن بعده وجل كتبه طالعه كله ووقف عليه بخطه وتنبه على الغامض وشرح الغريب وأما نظمه فالسحر الحلال والري من الماء الزلال تكاملت محاسنه وتكاثرت بدائعه
وها أنا أثبت منه قطعا وأجلو عليك منه لمعا فمن ذلك قوله في وردة مقلوبة من ديوان محبوبة له وهو أول ما قال

وَوَرْدَةٍ شَبَّهْتُهَا لِمَنْ مَرَّ ثُمَّ رَاقَ … وَقَدْ مَيَّزْتُهَا لَنَا قَرَّ الحَدَقِ
كَأَنَّ خَدَّهَا مِنْ فَوْقِ مَا هِيَ فِيهِ تَمِيسُ … خَالٌ عَلَى خَدِّهِ مِنْ عَنْبَرٍ عَبِقِ

وقال أيضا رحمه الله

مِنْ عَنْبَرِ الشِّحْرِ أَوْ مِنْ مِسْكِ دَارِينَ لِي … وَمِنْهُ ضَيْمَاتُ الرَّيَاحِينِ
فَهْيَ هِيَ أَوْ تَشَرَّفَتْ مُقْتَضِبًا مِنْ فِضَّةٍ … نُعْمَاءُ وَمِنْ كِيتِ تَزْيِينِ
تَخْفِي إِلَيْهِ وَلَا تَخْفَى مَحَبَّتُهُ … مِنْ أَجْلِهَا بِسِهَامِ اللَّحْظِ يَرْمِينِي
يَا مَا أُمَيْلِحَهُ كَأَنَّمَا رُضِيتْ … بِهِ لَوَاقِعُ دَاءٍ وَمِنْهُ كَانَ يَكْفِينِي
مُعَذِّبِي فَرِحٌ مِنَ النَّوْمِ بِغَيْرِكُمْ … فَأَشْفِقْ عَلَى مُتَيَّمٍ وَغَيْرِ مَفْتُونِ
وَمَضَى عَلَى وَرْدَةِ الخَدِّ فِيهِ … ثُمَّ يَعُوضُ الوَرْدُ مِنْ خَدٍّ مِنْ نِسْرِينِ

وقز

بعضه او

جمع الأغربيين المذكور مغنيه أدب له تواليف أول الدخل الحمد علته إلى المشرق وأدى فريضة الحج وأخذ

بنسرين

٦٦

وقد وقفت على شرح هذه الأبيات في نحو كراسين اشتمل على ما فيها من المحسنات البديعية والنكت الأدبية واللطائف الأدبية وتفقال إنه لمستبدع الحسن أن يليق رحمه الله قال

رَقِيبٌ كَانَ لَيْسَ مِنْ مِرْآتِهِ … بَأْسٌ يَتَوَلَّى الأَمْرَ مِنْهُ بِرَاءُ
مُقِيمٌ بِوَجْهِ الوَصْلِ حَتَّى كَأَنَّمَا … بِخَالٍ هُوَ الهِلَالُ وَالسَّوَادُ مِرَاءُ

وقال أيضا رحمه الله

أَيَا رَوْضَةً قَدْ نَمَتْ عَلَى بَرْقِ سُمْرٍ … بِهَا وَقَدْ تَبَلَّوَ نَاظِرِي بِسُؤَالِ
أُبِيحُ لِنَفْسِي مِنْ شَرَابِ تَعَلُّقِهَا … إِذَا أَفْنَيْتُ عُمْرًا فِي عِيرِ اللَّيَالِ
عَلَى جَرْوٍ أَغْفَلَتْ عَلَى بَشَعْرِهَا … لِيَلَا يَرَى الشَّمْسَ الرَّقِيبَةُ لِكُمْ فِي
فَبِتُّ أَرَى فِي جَرْوِ بِرْقِيَّةٍ مَعًا … وَتَغَطَّى العِيرُ بِهِ كُلُّهُ

وقال أيضا رحمه الله

وَكَيْفَ لِغَلْبٍ فِي هَوَاهُ مُغَلَّبٍ … وَأَنَّى لَهُ بَيْنَ الضُّلُوعِ مَضَاعُ
فَيَا شَاذِنًا يَا مِنَ الحَشَا أَيُّ فِي الحَشَا … أَمَا الجَلِيلُ أَفِي فِيهِ دَمٌ شَاعُ

وقال أيضا رحمه الله

كَمْ فِي هِمَاهُ وَإِلَّا مَسُوءٌ خَوَادِرِ بِهِ … هُوَ لِي فِي الظِّبَا وَهُوَ يَنْعَنُ
وَعَلِمْتُ إِمْسَاكَهَا الشِّرْكِيَّ تَغْدُو … وَعَلِمَ غَزَالَ النِّعَالِ كَيْفَ يَشْتُمُ

وقال أيضا رحمه الله

تَبَرَّزَ وَزَيَّنَ الشُّرُوقَ تَغَذَّمَهُ النُّورُ … فَمَوْفُورُ النَّعَامِ إِلَّا هَاءُ وَنَمُ
وَهَشَّ لِنَوْحِي فَاعْرَضَتْ مُسْتَبْشِرًا … عَلَى كَبِدٍ حَرَّا وَقَلْبٍ بِقَسَمِ
وَلَوْلَا تَوَاهُ بِالحَشَا لَأَهْتُنَا … وَلَاكِنَّمَا تَعْوَ إِلَيْهِ فَتَكْسِرُ
فَيَا عَجَبًا لِشَاهِدِ الشَّرْعِ كَيْفَ اجْتَمَعَتْ … عَلَى أَنَّهُ كَيْفُ الكِنَاسِ وَيَفْرُغُ

وقال أيضا رحمه الله

فداك المحبوب وولى الزهاد وانثنى يعللني بزهر كواكبه

اولو غراب البين خلى ياحبذا البين من مبى الصباح كواكبه

وقال في جارية من حظايا الاسماء امنة

شاء ونح عليه من بعد من خلاله بسماء وكامنه

احلال ان قلبي خايف وغزالي بعز خوفه [illegible] منه

وقال ردا على من قال في ابن الحديد

لقد اتى باردا ثقيلا   ولم يرث ذاك من بعير

يحنوكما قيل فيه شيء واشهم ما كان في الحديد

وقال هو رحمه الله

لقد اتى صادقا مقبلا   ولم يرث ذالك من بعير

شديد باس مشى بعزم   ومثل الباس في الحديد

وقال ايضا مورّيا

ان يوما لنا كان في تبدى   يتملى من حسنه تكحيلا

فارجعن لمنوهة لله في ان بيني وبين لغيابه ميلا

قال في نجم الطيب وقد تبارى خدام حضرة المنصور

في تخميس هذين البيتين ومن انشم ذالك قول ابن سناء الحافظ ابي العباس احمد الزموري

وقد فيا يرد الخطوة البين يرضى سوى ان يدا بغزا

فما دعا الهوى من جنى الخد وردا   ان يوما لنا كان فيه نبدا

يتملى من حسنه تكحيلا

وتعدى من حسنه في اشتبا وجمع الحلا من جنى واعتيا

ايا سر الهوى من نجالة الثلاثة وقال جمعوا لمنوه ان تلك

لو بيني وبين لغيابه ميلا

وقال ايضا رحمه الله

لاوجيبا

٦٧

بعث الليث من خرج الزهري

ان وكيف علم التشيب بفرق فواح كغنا الخد منه

تاهلا ان بقوا ان حاسر منه حسنا وعلاء وعيد

ووميض لاح لما ابتسمت فازتنا منه در او بر

ولذا اغاشر قليلا تاحلا كيف ان يغنى نحولا من حسد

وقد عارض هذه الابيات الامام الخيلي الفقيه العز فقال رحمه الله

لا وبرع كرمها النيل عسى وجبين هو ضوء الفلق

ومحيا كلف البدر به وخدود نورها نور الشفق

ماغر الخير ان حاسر منه حبرا والنعا تاوهم

ثم خانت وتولت شرح له كيف يشرح خوفا من سرق

وقال في حظيته المشهورة نسيم صاحبة قبة نسيم معيا

ياعلالا الكلوم بين جفني وقع الكانه بين جنبي

ان سميا وميت غادة زهرا لو تناهم ما شئت دام قلبي

وكتب على هذين البيتين بخطه الشريف ما صورته قو لان ستهما تصحيف وغاية همال الشغاط وهو اشتغال

وشاعر

الاشتغال بهما من هذا الاسم وقولي وتينا اشغاد وانما تشغاد اشارة الى بعض اجزاء الكلمة فيوخذ الاسم الكلوما كان يذكر الوجه او الصدر او التاج او الراس ويعنى به الحرف الاول من الكلمة او القلب والجوف والحشا والخصر ويراد به الوسط او الاخر والمنتهى والختام ويعنى به اخر الكلمة بقولي لو تناهم معناه انه لو اخذ لكل كلمة عجز منتهاه فيثبت الجيم من جمالة وقولي ما شئت دام قلبي اشغادا ايضا وارد تنا خ قلب البدء ويسمى ايضا التسمية وهو ان تذكر الاسم وتريد المسمى او تذكر المسمى وتريد الاسم واعلم انهم لم يثبتوا في استخراج الاسم بطريق

اللهم صل على سيدنا محمد وآله

التعمية حصول لما بحركاتها وسكناتها بل الكتبة بحصول الكلمة من مجموع ملاحظة تمييزها
تما الخاصة بها او فعل ذلك في المحسنات وسمي العمل التنزيلي انتهى كلامه على البيتين

وقال في اسم دانة ايضا

من مشغاف فتنته وهو حشفي في رضاه عن المولود ابتر ... لثا
اقلل منه فن تخلل خص وتستر عن حبه ما تجز ... لثا

وكتب عليها ما صورته وقوله اقلل مما ردت الا ان يعلل
التشبيه وتخلل خص منه اشغله واردت بالخص وسط لمعة منه وتخلله ان يحل
السكون الذي على النون وقوله وتستر الى اخره لعله من التشبيه لا التشبيه بتم الا شم
بحركاتها وعددها انتهى **وقال في المباسم المسمى بالمنصورة**
قال ابن الفاضي في الشعر المقصور وهو لباس من الحلل لم يكن
مستعملا قبله وهو اول من اخترعه واضيف اليه فقيل المنصورية فقال

فيما وكان لبسهما من الحلل المسمى بغلب جج

وصفوا اشيا في الحبيب وسمهم قول الحبيب انا انا فيه
قلب لاعجم وقلت مخالف للعادل المودي انا انا فيه

وكتب عليهما بخط الشيخ ما صورته في هذين البيتين عمدة من المحسنات
غير التعمية منها جناس التركيب المسمى بالملفوف وهو ان يكون كل من
الركنين مركبا من كلمتين ومنها المفرق وهو في بيته وبين المركب وفرق بينهما
ومنها الاستخدام **وحكى بالتعقيب علي بن منصور**
الشيخ الوشرحمها برسالة والتعمية في هذين البيتين بالعمل الحسابي وهو
كثير الا ان هذا العمل احسنوا بالعرف او لم اره لغيري ومادة التعمية فيه
انا انا فيه قلب لاعجم بقوله انا انا فيه معناه ان تضرب انا في انا وقوله
في ستة نص في الضرب وتخرج من هذا ما يتناول ستة وعشرون حرفا هيمانى
وجعلوا من وقوله قلب لاعجم بعمل القلب يصير جج فصار المجموع هيمانى

تعريض

وحقلي

اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم

٦٨

وحقلي يجي وفيه التورية وهيمانى وحقلي الخارج من هذا الضرب فيه تمكن بالنوا
شيء هو من المحسنات ايضا اعني قوله وحقلي وتصلح ان تسمى هذه التعمية
بالا فتنا والمان لا فتنا وعندهم ان يعتبر الشاعر قافيتين بيتين متضادين
من فنون الشعر في بيت واحد وهذا وقع التضاد فيه في كلمة واحدة وهي
انا انا فيه يضاد هيمانى وحقلي يجي الذي يخرج بهذا العمل الحسابي فاجمع ذلك
ويمكن استخراج تعمية اخرى للمحاسن المودي انا انا فيه انتهى **قال**
في نفح الطيب والاستخدام الذي اشار اليه هو
قوله انا انا فيه اي في هذا الثوب المسمى بغلب جج كان [illegible] لك عليها الحكا
ية واما المعنى الثاني لقوله انا انا فيه فظاهر [illegible] على هذا الغزل
من بنات افكار المنصور ونستعمله في [illegible] ووجه هذا الغزل
ذلك الدال على مقدم الزهد وتضلعه [illegible] الله عليه

ذكر احتفال المنصور بالمولد
النبوي واعتنائه بالاعياد

قال الفشتالي كان ترتيبه [illegible] احتفاله بالمولد النبوي انه اذا طلعت
طلائع شهر ربيع الاول [illegible] رفاع الى العرفاء ارباب الذكر على رسم
الصوفية من المؤذنين الشعارين في الاسحار فيبتدرون من كل جهة ويحشرون
من سائر جواهر [illegible] الشماعين بتصوير الشموع واتقان صنعتها
فيتبارى في ذلك الحذاق [illegible] من كل من يباري الحمال في نسج اشكالها
واعدقا جابتهم [illegible] من الشموع التي تحير الناظر ولا تزال زهم
رهط التوالي [illegible] ليلة المولد النبوي تهيأ لحملها وزفافها كواعبها
الصاعقون المحجوبين بهم [illegible] دور لعابيس عند الزفاف وترتيبون ويكونون في
ابهى شارة واحسن منظر وتجمع الناس من اكثر البادية كلها لرؤية ذلك
ويتمما بشكر هذا الحظر ويحين الشمس للغروب فيخرجون بما على رؤوسهم

كالعذارى من ولد في حلل الحسن عمرت كثيرا كالنخل بينهما بين الناس لزوجهما وتفترقهما
أبو عثمان وتبتهج والقنز ور ويتبعهما الكمبال والبنوك واصحاب الاعلا
زن والملاهي [illegible] على منصات معدة لها بالديوان الشريف بتعظيم
هنالك فإذا أصبح الفرج وقطى بالناس وفد على
أمر طيته وعليه حلة البياض شعار الدولة ومنه
وأمامه تلك الشموع المختلفة الألوان من بيض كالرخام وصفر حليت
في ملابس في أزهار وخضر سندسية واستخرج من أنواع الحسك والمباخر ما يدهش
الناظر ويلي الجالس [illegible] على النظام [illegible] فإذا استقر بمنبر المجلس
تقدم الواعظ بسرد [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم ومعجزاته وذكر
مولده وارضاعه [illegible] اختصار فإذا فرغ أقدم القوم في
أمر شعار المولديات فإذا [illegible] الحزمون بكلام الششتري
وكلام الصوفية ويتخلل ذلك نوبة [illegible] للبشير فإذا فرغوا من ذلك
كله قام الشعراء فيتقدم قائد الجماعة الشاعر بلبل هنا بن الجمع والـ
عباد فينشد قصيدته مستفتحها بالتغزل والنسيب فإذا انتهى تخلص لمدح النبي صلى
الله عليه وسلم ثم يختم بمدح المنصور والدعاء له ولولي عهده فإذا انقضى
نشيده تقدم الإمام المفتي ابو مالك عبد الواحد الشريف فينشد قصيدته
على ذلك المنوال فإذا فرغ تلاه الوزير أبو الحسن علي بن منصور الشيظمي
ثم تلاه الكاتب أبو فارس الفشتالي ويليه الكاتب محمد بن
علي الفشتالي ويليه الأديب محمد بن علي الهوزالي النابغة ويليه الأديب
النبيه أبو الحسن ابن أحمد المسفيوي فإذا انقضى بساط نظمهم [illegible] نشر خوان
أبي الكعكة والقصاير فيبرا بالأعيان وعلى مراتبهم ثم [illegible] للمساكين فيه
حلو حلة فإذا انقضت أيام المولد الشريف برزت صلة الشعراء على أقدارهم
هكذا كان دأبه في جميع الموالد لا يحصى ما يصرف منه من أنواع الإحسان

وتمر

على

على الناس أشهر من كتاب مناهل الصفا وفي صاحب
النفحة المسكية في السفارة التركية حضرة المولد الشر
يف بعد القفول من بلاد الترك فقال
فاستقر عمر المنصور والناس في جوانب السعيد وامتد ظلهم لفصل الربيع المحتوي
على قباب متقابلة عالية وفرش فيها بفرش الحرير ومدت النمارق وتدلت الاستار
والكلل والحجال المخوصة بالذهب على باب كل قبة وصاية كل سرير [illegible]
[illegible] هيكلان الحرير [illegible] كأزهار الحدائق [illegible]
الجوانب على قواعد واساطين من رخام مجزع محلية الرؤوس بالذهب الز
بيب مع وشحها بالمرمر الأبيض في وسطها بالسواد يتخلل الماء [illegible]
فيدخل الناس على طبقاتهم واخذ كل مرتبته من فقهاء وعلماء وصلحاء وو
وزراء وقواد وكتاب واشياخ واجناد وجلس الكل منهم كأنه في جنة النعيم
[illegible] فتعلو الهيبة والوقار وترمقه الأبصار
بالإكبار والتعظيم ويجلس من عادته الجلوس ويقف على رأس السلطان
الوصفاء والعلوج وعليهم الأقبية والمناطق المشدودة المذهبة مما يدهش
الناظر وركزت أمامهم الشموع الملونة وأذن لعامة الناس فدخلوا من أصناف الفقرا
بل على اجناسهم من الأجناد والطلبة وسكنت بعد حين الجلبة وأقيم بأنوا
ع الطعام في القصاع الغالية والبلنسية المذهبة والأواني التركية
والمشرقية وأتي بالكؤوس والأباريق وصب الماء على أيدي الناس ونصبت
مباخر العنبر والعود وأبرزت مجامر الفضة والذهب وأغصان الريحان
الغض فرش بها من الورد والزهر وانثروا [illegible] وتكلم المنشدون
واختص [illegible] المجلس بالدعاء للسلطان وإذا كان يوم
السابع يكون ترتيب أبدع من الأول [illegible] افتتح منه
وهكذا كانت سيرته في شهر رمضان [illegible]

والجزع المذهب

عمم البخاري وذلك انه اذا دخل رمضان شرع القاضي واعيان الفقهاء كل يوم سبع
من نسخة البخاري وهي عندهم مجزأة على خمس وثلاثين سفرا في كل يوم سبع الى يوم
العيد وتاليه فاذا كان يوم سابع العيد ختم ميعاد البخاري وتهيأ السلطان واحتفل
غاية [illegible] الجلوس في دار السلطان القاضي يتولى السرد بنفسه
فيشرع نحو الوقت من اول السبع [illegible] ويقع الختام [illegible] ويلقي
من كلم له بحثا او تنويها [illegible] الاكرة فاذا انقضى الانشاد
ختم المجلس وذهب القاضي بالسبع [illegible] ابراز وهو الغد يبشر سبعا
واخر السلطان في جميع ذلك [illegible] الحلقة من غير جلوسه
موضع قال الونشريسي وكان بعض امراء الاندلس ختم رمضان
لدى الحافظ [illegible] يوم عاشوراء [illegible]
الضعفاء وكل من [illegible] اعطيت له [illegible] من الكتان وحصة من [illegible]
ومنهم من [illegible] فائدة جنيه اذا خرج [illegible]
سلف فيا هذا [illegible] الفضائل التي [illegible]
[illegible] للغرض فمن ذلك قال القاضي ابو
القاسم [illegible] الشاطبي

ما بال [illegible] ... [illegible]
ايعيش [illegible] ... [illegible] وغراما
ونبح [illegible] ... [illegible]
ما [illegible] ... [illegible] احلاما
[illegible] ... [illegible] سلاما
وان وحرين [illegible] ... [illegible] الغمام سجاما
وتلغي من [illegible] النسيم ... [illegible] وسلاما
يا جيرة [illegible] ... [illegible] لوداما

ومكرر

مجزوا

مجز واني [illegible] ... [illegible] فاقة بالحما اقاما
وخذ واني [illegible] ... [illegible] الاجتماعا
فبكل [illegible] ... [illegible] كلاما
صلت بنا الشوق ثم ... [illegible] غراما
وتسلسلت [illegible] ... عليه صلاة وسلاما
خير الانام محمد [illegible] ... [illegible] سلاما
[illegible] العوالم ... [illegible] ختاما
واجل [illegible] ... [illegible] كلاما
وتفاخرت [illegible] ... في الحساب اقاما
واسري الى السبع العلى ... [illegible] اعظاما
في ليلة [illegible] ... [illegible] واماما
يا خير [illegible] ... [illegible] انجاما
[illegible] ... [illegible] فلاما
صلى عليك الله ما ... [illegible] اقاما
ما [illegible] ... [illegible] اماما
خير الورى [illegible] المنصور ... [illegible] الانام فاقا

[illegible] العباد وسماما
وسما [illegible] مسود بماما
[illegible] وخذوا الانفسكم [illegible]
[illegible] البلاد بعدله [illegible] وكاما
هذا [illegible] البلاد [illegible] الاهراما
يا مشبه [illegible] حزما وفي عزماته اقداما
انت الذي [illegible] البلاد ووصل اساما

الاشبال

فكانما من حولك الاشبال في غابة الوشيج تبوأت واجما
واميتها الماقون ينتهب سما يفاعلنا افاق عز المضاب سناعا
واجل من طلع تتيه الورى بغير الامام وغير فتى اما
والاكرم جمعه انه اغر فتى وكان لكرمه الحتاما
لايعدو النصر فبعث انه يسبق جيوش الدبر والاقداما
خير ما ينعم العبيد من يخصها ويبهج من نسيم الختام ختاما

وقال الامام مفتي الحضرة ابو مالك
عبد الواحد بن احمد الشريف العلاني

ارافقا وشاقتك البروق اللوامع وذكرك خليط ميتته المرابع
مرابع عمهما الدرا امس والسما تراه من الاشواق وفيها المدامع
كان لم تكن من قبل فرما والملا اذا السلك منظوم وشمل جامع
تذكر عيشا الا جازع واللوى وابن اللوى منه وابن الاجازع
سقى بها خط الصبابة جمة وجفن الردى عنا وحاشاكما جع
وقعت بها بالبذل والبدا امسى اناز عما الشكوى بها وتنازع
اسائلها عن جيرة باو حيهم وخلت سواهم بعد الاطلائع
فما فرقوا فخوا العفو عهدو بهم وناح لهم من الحنين لامع

فخير رعود الرسول فهاعر اسرتقا الوحي وافت ينابع
ديار بها خير الحسن بيت والوحي وهبت على الاشراك منها زعازع
عليه صلاة الله يا خير مرسل ويا خير من تثنى عليه الاصابع
فلولاك ما كان الكون ما زال قمرا ما واثث الدين بزجره عام وكان يع
لك ابتهج الرابر والحوقعا النيل الا متواله كل النبيين جاذع
فيا حد منهم والكل تحت لوائكم وليس لهم والله يجمع لهم شافع
يجي المدى العرش اثنا امله من ابيه يجمع الحشا وفي الحاد ع

وجازى

وجازى املاما فرقته النيكم اصول وابا اكرام قوام ع
سميك وابن السبط حقا وفرقه عوارف في اعناقنا وصنائع
فيا للعلا يا قابن الخلائف معرد البطل اشتا وما وغيم جائع
ودام ولي العهد بعد طلاطا وما يحبب الرفيق العلا ويسارع
معواه الا من اللمور من ففا بعيض النعام واحبته ترافع
فبعيد افول النجوم شواهد احاديث من ليس فيها منازع
بكم راس هذا الغرب حرج دبينا وقام به يحوي للعلوم دوامع

قلت ما اشار له في هاذه البيت من انه هو
المجدد للدين في راس القرن العاشر نحوه تقدم في صدر الكتاب عن الشيخ
عن الشيخ الفضل عما والحريف المشار اليه في ذلك هو ما اخرجه

ان الله يبعث على راس كل قرن من يجدد لهذه الامة
امر دينها وحمله الفقها وبعض العلما على انه من السلطان الكبير وقبل من
العلماء وقيل من الاولياء وكفى بشهادة الشيخ الغصار وابن القاسم
سيدي عبد الواحد الشريف دليلا على جلالة المنصور وانه جدير الرحلين
بجمعهما من التغلب وانه جمعه في الجرح بالايجي في الممدوح فعم الوصف
بالعدل والشجاعة متوسع فيما بين اهل الشرع واما مثل هذا قلما يطلقه
الا من علم بصحة مستندة والله اعلم بحقيقة الحال وانظر كتاب ازهار
الرياض في مناقب عياض للشيخ الحافظ ابي العباس احمد بن محمد المقري
فقد شعب العلما في مسئلة المجدد وبسط فيها القول وقال
الوزير الكاتب علي بن منصور الشيظمي

من بعد اهل قبا واهل كرا منوا في يوم ومثله في الحكـراء
وابي الشفا في قريهم وحتم جلاها في الخواتم من مرا وصراء

لا كنه بغير الجزا وما يزهو تلك المعاهد ساكن الجوزاء
بانوا ومعالم الشوق تذكر بعهدهم ذات السنا والزهر والنجباء
ومشى الهم خلف الركاب فكاد أن ترتع العلوة جسومهما بيضاء
يا مسعد الزمان مساعد ونجيب مع خذ البعير بغير نزاء
فكتبهم في كل المآل منابر المجد إلا في المشاهد الغنا
ونجيب أحياء العلا وكم يتمالى الملا بنجيبه فردا
تختال في جو العلا كأنما ستر توشح في ضميم نجلها
وتخال نجم السما سفينة تجري الفلاح بنابر يجري رخاء
ومنازل بها المحصب من منى وأزور بعد معاهد الزوراء
فلعله عنا الرحل ثم مخيما في كل أحق بغيتي ومنا
وأمزع الحزن ملتثما ثرى وكتيبة رحل خاتم الأنبياء
مجلي البرى ماحي الضلالة والردى بالبيض والخطية السمراء
طه عليه أمة فأنسه اسمى الوما وما أجلى الرجا أبي ذكاء
وعلى صحابته الكرام وآله الكرام بهم من ساحة وفناء
وأكرم [illegible] مجده وعلا به [illegible] الرسالة لغزوة [illegible] فناء
حبر الخلافة أحمد المنصور من حاز الكمال ونشر كل علاء
الطاهر المهدي في نبيه المهدي والكوكب الوقاد الطلاء
يا أيها الملك الذي نبتوا من حائط المعمور ورد به الوطاء
دم للملك العشوم وصد بنا كل الزمن في الأكمام والأوعاء
لا برحت فتح بروقه والدهر كالعبد بدون النجار كراء
وستملك الحرم الشريف وينثني للرايات المنصورة من وراء
وترى الجهات وفتوحاته مفتاحة بعطر بنيك السادة النجباء
وترى عينا بالخليفة منهم وزر البرية أبي عزة الأمراء

وتعز

فجن الماء من خير من ارتقى ومع الكمال وقد بلى العليا
[illegible] سيجكي أهله وتفرحني بفاضر وتعز سيرة للرماء

قال الكاتب أبو فارس عبد العزيز بن محمد الفشتالي

هم سلبوني الصبر والصبر من شيمتي وهم حرموا من لذة الغمض أجفاني
وهم أخفروا في مهجتي ذمم الهوى ولم يتهموا من سحر عينيهما الجاني
ليمن بالجزع أو من مغرم البشر كؤوس بشرقهم أضحى سميري وندماني
وإن غادروني بالعرا وهم كغفرا في قلبي ما ظهر أثر الأضعاني
فقي العيس وشار بجهم أية أطوا الجزع سادوا من جيران البان
وملوا ما كروا بالشعب من جانب اللوا فلا عيدا دار من هنا لم دع للتي
وأيرا استغلوا أهل نجد فما منه إنا خوا المطايا أم على كثب نعمان
وهل سال في بطن الشوق تشوقا نفوس ترامت للحمى قبل جثماني
وإذ جزروها بالعشي فبل شنرار منها المجاد إلى شعب بوان
وهل عرسوا في دير عبران أم عدوا بيوم بهم رهبانهم دير نجران
سروا والرجا صبغ الظلام وأشنى بأحراجهم مشتو معان والوا
وأدلج في الأسحار بيض فعل بهم إذ أزمعا بين نواعيم أبدان
لك الله من ركب يرى أمة وزم خطوة فلمو نجوم في معارج كثبان
أرج بالحلي فر تمشي بها الهوى تمشي الحميا في معاطف نشوان
وليم بنا الواجد المغرس بالحمى بها الماء صرا والكلابة سعران
وأعمر هلوا النجر منه تحية تعاوح عن باأشد كل الزهر والبان
لعز فيحيا من شيح بترب نجد [illegible] مع الأسحار شوقا والحان
وقت فيها الشوق في القلب مسكة تصحبت بها في أرض داريز دان
وأذكى بجرا وكيب غرارة نسيم الصبا من نحو كاظمة حيان
أهيل الى تلك المعاهد إنما معاهد أحبابي وروح وريحان

واصبحوا مع الاشواق للوكر اليزيد بوضع افتنان الحسن وسلوان
واصبحوا الى اعلام مكة شايقا اذ الاح جور من تمام وتهلان
اهيل الحمى دينه على الرحم زورة احث بها شوقا الكم عزمي الواني
متى يشتفي جفني الغريق بزورة تروح بها في نوركم عين انسان
وقولي بابي بدر نوا الغالكم تعطها قدمي عنه داخا عقبة ثان
سقى عهدكم بالخيف عهد نهر سوا بجد مع من شؤون هتان
وانعم بقشق العقيق ازاكة باجيابه كل الثنى والحسن يزدان
وقصر ربوعا بين مروة والصفا تحية مشتاق وبها الرحمن هيمان
ربوعا بها قبلوا الملائكة اقبلوا فاتير وحيى بين ذكر وقرآن
واول ارض باكرت عرصاتها وكررت البطحا سحائب ايمان
وغرس فيها للنبوءة مركب هو الدين كامل فروعه حسب وغيلان
واذ وفيها الروح الامين رسالة اهادت بها البشرى مرابع عدنان
هنالك بطن ختمه اشرف الورى وفخر نزار من معد وعدنان
محمد خير العالمين باسرها وسيد اهل الارض من انس ومن جان
ومن بشرت في بعثه قبل كونه نواميس احبار واخبار رهبان
وحكمة هذا الكون لولاه ما سمت سماء ولا خاضت طوالع كيوان
ولا زخرفت من جنة الخلد اربع تسمى بها آدم وحواء وولدان
ولا طلعت شمس الهدى عند جنة تجمع منه نحوها البدر كيوان
ولا لحقت بالمدح فيه شفاعة يزود بها عنهم رهاني ونسوان
له معجزات اخرست كل جاحد وملت عن الحق تابا طارع برهان
له شق قرص البدر شطرين وارتوى بماء همى من كفه كل ظمآن
وانطقت الاصنام نطقا تبرات الى الله فيه من زخارف بهتان
دعا سرحة عجبا فلبت واقبلت تجر ذيول الزهو ما بين افنان

وضاءت قصور الشام من نوره الذي على كل افق نازح الغور او دان
وقد فتح الانوار من غور قدره التي كستنا وجه الغبراء بهجة نيسان
وان كتاب الله اعظم آية بها افحم المرتاب وابتاس الشاني
وعجز على شأو البليغ بيانه فمهما تحدى منه سجع فقس وسحبان
فيا لهوى من طالع الحي انجما تخير نورها اسرار افلح ويمنان
لهم عتقها في الاكاسرة الالى منهم سلبوا تيجانها والسلطان
واخر بالزبير الحنيفي بالنص تراث الملوك الصيد من عهد بوذان
ووقع من سمر القنا السمر فيض الجرعة مجاجة قعبان
واضحت ربوع الكفر والشرك بلقعا بناعي الضرا فيمن هاته يشكان
واضحت السماء تروى نضارة ووجه الهدى باد والمناحة للرائي
ايا خير اهل الارض بيتا ومحتدا واكرم كل الارض عجم وعربان
فمن للغوا في ان تحيط بوصفكم ولو ساجلت سبقا مدائح حسان
اليك بعثنا ما انواجهت فتشفي بجزء من اياديك هتان
لجي الذي البري الحساب جرائمي واثقلت الاوزار كفة ميزان
فانت الذي لولاه ما باب عزنا لما فتحت ابواب عفو وغفران
عليكم صلاة الله ما هبت الصبا وما انثنت على كثبانها املد قضبان
وهل في جنب الجنوب تحية يفوح بنشرها اشرف كل تو تبان
الى العمرين صاحبيك كليهما وتلوهما في الفضل صهرك عثمان
وعلى علي ذي العلم فيها واحمد وال على سبطيه اوبد شمسوا
البيت وصل الله عمت عرفة اذا الزمتم بالتحمل والقربان
وخالجت مني القلب وهو تغلب على هجرة الاشواق في قلبان
فيا ليت شعري هل اقر فلا ابصر البين بداران اقبل كيزان
والكواغرهم ايلا ثم نحوكم واجلا نواحي الحمار في شمام فيعلان

يحيى بحمدها من الخير ازواجها اذا غرد اقداح رهز وغنا
وهل لجيوش عنه حفايا افترقتما غطوله في تلك البقاع واوكار
وما اذا تحسن بنيه عنارها وانى في بنا ليلى جاها همزة العراق اعطار
اذا اقرعز زوا لها الباسم وا لغنا بجود ابنى المنصور احمد عنار
عماد الرض او كنى السما كبير احمضا وازهر على النبع الغصا وقادنا
متوج اقلال الزمان وان شعر اهل السيوف في معا فرقيجا
وفارج اسود اتغلب بالنصر مثلما اذا اضطرب الخطب منه وقد ان
من جراد اذا البلاد زويره قضاء في احيا سمها امنه جعفا
وان اغلقت غيم الغتام جيوشه واز و في مركومه رحمة نيما
حبيبه على ارض العراق من اعقا اسلو عليهم في خشبه ورجعان
كتايب لو علو رضوى تفرعت معاهد الجباد الجدد تعر وبعقبان
عوير الحصاة من كل ازوع معلم وكل كمي بالرد ينى معا
اذا اجتمعت ليل الحرب غممهم كلا العز امة من امة اذا اقدا اجما شنب حرى
من الله لاجعل الغنا غصن الرخا وعم في وجه الثرى وجد بستان
وقضى افقا والبلاد قا صبحت تود الخراج الجزا اقلال سود ا
اما من كبرا يام علي خاره ومنعه نساد والقور والزنوان
دعائم ايام وانكار منوع ذد ومنه فرع مت بور كثيرا
ولهيمة النبي امه شيد ملكه على هضبة العلياء ثابت اركان
وفيهم فسر الذكر الحكيم وهم هبت بعضلهم ايات ذكر وفرقان
فروع ابن عم المصطفى ووصيه
فناهيك من فخر وقربا وقربان
ود وجهه مجد مشعب الروض بالعلى بجود بافواه الرسالة ربا
بجدهم انه على الضيم تشرقت معز على الغرباء عاد وقحطان

اوليك

74

اوليك بجزا ملوك على الورى وقاهر بيت في الولاء بيت سلطان
اذا اقتسم الحرام فضل فخاره بقسمى بالمنصور واظهار فخار
امام لعرفيه جبهة الرهن متبسم وفي عزته في فرع والسما وان تاجان
همم فوق هامات النجوم بهمة تجوع بنا فوق السما وان نسران
واطلع في افق المعالي خلافة عليهما وشاد من علا ومنعان
اذا ما احتبى فوق الاسرة وازدرى على كبرياء الملك فخور سلطان
توسمت لغرار الحجا وهو ناظر وشاهدت كسرى والعزل في صدر ايوان
واومن من حر النساء توقفنا افاملة غمر قا قتر وفي نجلا
ايا فاتح الاسلام شم بار والفنا وبالى لتروض في حدد ري الجحر فيها
فضى الله في عليا ط ان تملك الربا وتفتحها ما بين سوس وسودان
وانك تطوى ارض غير بعد ابع قبرا زض سود ا والى ارض بغداد
وقلما عادلا يرى لى اوه على الجمر ميرا وعلى رام عمران
بكم هشت ارض العراق وبدا العلا وقد بدا البشرى للاكم ان عمان
فلو شاهدت ... البلاد مسو بهم اتا ظ اسنلاب تاج كسرى وخاقان
ولو ... الاخذ في اصبحت عيا للعلى عليا ابنا ء مروان
و... يقتا حكا يعا جرابه العسود ا واوض خرسان
بما الجو ... وعت سما كه على عمند سمرى الهوال ومروان
وهد... ان كارا العوالي جليتها قعاوتهم الجور مدار وهوان
انتهى امير المؤمنين كلامها
نظام مثير ... جابل بستان
تعاكم ... بهجرا او فلا بر عقبان
فلا زلت للدنيا تحوطها جهاتها وللدين تحميه بملك سليمان
وما زلت للنصر العزيز موفورا تغا ذلك الا قطار في زو عمان

قال في نفح الطيب اخبر في ذا الكلمتا انه اراد بقوله وناصر بيتي بيت سلمان قبيلة
سلمان التي منها النبي والدين ابن الخطيب اشارة الى ... والكتابة للخلافة كما كان لسلمان
الدين ... انه كذلك وفيه مع ذلك تورية بسلمان الفارسي رضي الله عنه اذ
منزلة الغصين وعلى كل فهو تمام غريب العصابة ولذلك لم يذكر في الشعر المنصور
مراد مراح المنصورية غير هنا وقد مر ... في نفح الطيب جرا وتبع ما قيل في الى فراح
بعض الى الهول وفي هذا القول كفاية

ذكر الخبر عن سيرة المنصور وشيء من ابنائه نسبا لحسبه

كان المنصور حسن السياسة حازما يقظا فاما مشاورا في قواعد
الامور وقد اتخذ يوم الاربعاء للمشاورة وسماه يوم الديوان تجتمع فيه وجوه
الدولة وثقاتها رؤوس فيه وجوه الراي فيما ينوب من جلايل الامور وعظايم النوا
زل وهنالك يظهر شكايته من لم يجد سبيلا للوصول للامير وكان المنصور على
ما عليه من فخامة الملك وسعة الخراج يؤكد على الرعية امور الكلف يلزمهم
بادايها وزاد الامر على ما كان عليه الحال في عهد ابيه حسبما ... مستوفى
في ترجمة ابيه وكانت الرعية تشتكي منذ بذلك ونالهما ... ومن عماله وكان
غير متوقف في الدماء ولا هياب للوقيعة في ذلك ... وذاك ربما
فتر عرضها في هذا الكتاب من اغضاء عن العورات ... ... وقد لعنا
بما يكون في الامل ملوما ...

وذكر ابو زيد بن ... قواعد

ما قررته عن الشيخ الكبير قال المنصور على رجل بزرعة في ضيعة له فشكاه
للمنصور فقال له كم تساوي ... استغاثة وفيه قال الله
خذها وقال الحالي الموسى ... الخرق ... الاكون
انا فيه سلطان ولا انت قال السلطان فرجع صاحب الضيعة واخذ له
كلامه فاستطرا مسه بيده ساعة ثم قال له الحق ضيعتك وغرم له كل

حكاية تدل على خوف المنصور من الله

المنصور

ما اكل منهما اقتصر بنصه ويحكى ان الفقيه قاضي الجماعة
ابا مالك عبد الواحد الحميدي رحمه الله انه حضر مع فقهاء فاس واعيانها لما اتوا لبيعة العير
مع المنصور كما هي العادة بجرو في الغريب على سلسلة فيها رجال ونساء وفيهم
امرأة اخذوها الهلوقه في كرب الخلاف فرادة الى ... الحضرة فيه وفيهم
ناس ... فيعقد ... بحضر المنصور الفرد لهم ذاك والكل
منه الشكاية فسكت عن جوابه المنصور وحجر على ذاك اياما قليلة ثم انقضا
في غضب المنصور وتلطف له في القول والكلمة التوبة لما احضر منه واحد بارده
فقال له المنصور لو ما رايت ما افتني
اولا ... ومع الصحابة عشرة ايام في افرودعة بان اهل الغرب بجافير فارضنا نعم
معي الحق من السلطان والالتعلقة وكان للفقيه المذكور ادلال على المنصور لا
نه شيخه ... المنصور ويتحمل له لمكان الشيخوخة ولقد ورد عليه يوما مع
الطلبة ... قوامي ... جمعتهم العربي باذباب الحق
سفير ... اهل فاس ... والحق ... على سبيل
العادة ... من الاجبة وجعة اعطاها له المنصور
وبعض ... وقال الان ... في بكذا ... للقاضي
وشيعتهم من ... القاضي ان بلغنا ... لتعقبه الموصى
فان عقبة ... ولو الا الموصى ... العلم العزيز ما رجعنا مغبقين
ورجع الى بشارة الا يزبر فعل ... هذا للمنصور وبلغه عليه من الحلم
وتيسير وحضر ... ان بعض ... يوما يشير بين المنصور وقاضي
الطالب البشير المنصور بقول ... العالي ...

... الجماع يحيية ... سرى

وحضر زمانا ... البشير فقال له المنصور كيف حضرت الزماق
فقال له الطالب والله كما اجعلت ... فاعجب ذلك المنصور وعده من

حشر ابي عمرو او ذكر ان بعض عمال المنصور عدا على امرأة من كدالة فا
خذ لها مالا فعرفت امرأة على المنصور بمراكش تشكو اليه حيف عاملها عليها فلما
شكت عليه لم يشكها ولا كشف كلما شهدها تحرجت له وتعدها وقالت لها انصرفوا
بالكتنا العراق راس الحين صاحبة وامرأة حبيبة وحرتها فكرة مهما تكررت مطاربها
واخبار المنصور في هذا المعنى كثيرة

ذكر ما انشأه المنصور من المباني وما وقع في ايامه من الاحداث والكوائن

قال في المناهل للمنصور مصانع اخترعها ومبان خلفها
منها المعقلا والبزاوي انشاهما فاما احدهما [illegible] المحسنة واما الاخر فبنا لتعم
بناء البستان وهذان المعقلان [illegible] عندنا [illegible] سيتبوو وهما من اللاتي
بحيث لا يعرف قدرهما الا من وقف عليهما و [illegible] صنا الدار لبناهما ابتغ
الغ ايش احدهما يسمى [illegible] هما الا [illegible] وعن
ذلك معاصر السكر [illegible] يوكدته [illegible] وشوشا وه
قال [illegible] العدا [illegible] لفع وكثر استكم
في ايامه بالبلاد المغربية [illegible] بزارة [illegible] الرخام منى
عند النصارى بالسكر وذكر في [illegible] بعد [illegible] في منة سنة
وتشعير وتسعاية بعث الخصة العريمة [illegible] تروية مع كرسي من المرمر
توضع عليه ووزنها معا مائة قنطار [illegible] فصيلتي سنه الجامع
المذكور وقال ابن القاضي [illegible] عن بعير [illegible] عشر بن فنيتهما

وتمام [illegible] الهرى الحـ [illegible] بعد [illegible] فقرنا
خبث المعابح بالمنكر [illegible] بحر ارسا
من جاء يشكو الظما يوما وفيلنا اعماء فافرطهم من صوب الحباق
لا تنكرن وجود الدفع من فرح فالعين من افراحه سلسوا

وارش [illegible] من يدفع جرى من فيض خليلا
من الساطير من ابنا وفاطمة انشاء صنيع من عمر وعلي
وقرجوت قبلتي حكت سما بيمناكة الخليفة ابناء زبيرا
لا زال اللذ بن والزنيا يسوقهما اقامتي عا شعلو وفا اقتنا
انشاء زمن التاريخ واقعه للزين [illegible] العود سوا

فايدة [illegible] من علم لم يعترف [illegible] شيء يشوهها في معرفة
ان هذه الخصة مع كرسيها [illegible] في ذلك غالبا
[illegible] في افلوكة

قال الجواب [illegible]
او سفينة [illegible] الماء من جزم الاه بفلوكة ا و
السفينة حيث [illegible] الخصة [illegible] ثم تخرج الخصة ونملا السفينة
بحجارة او تراب [illegible] حتى تغوص في الماء بعقلها وتقع الرشم فتخرج
تلك الحجارة او التراب ويوزن شيئا فشيئا فيتوصل بذلك الى معرفة الثقيل
وزناها كذا [illegible] جزءا فتباس الخصة حيث تكلم على
من بح الزخلا والزيلا رسة المصباحية وزاقت بها عشها
بحر شيخ [illegible] العلامة بحفوا زين عبد الرحمن بن عبد القادر الفا
سي ما معناه هذا اذا كان ما وضع في السفينة شيئا ثقيلا
كالحجارة او الرصاص مثلا واما ان وضع فيها شيء خفيف كالشعير والصوف
فالبو ما لمقصد والله اعلم انتهى وفي عام تسعة وثمانين
وتسعماية غلا [illegible] بالحوا العام وبلاء البغول و وقع سعال الصائب
الناس عامة في بعض شهور ذلك العام فلا يزال يسعل الى ان تعيض
روحه وقد يسمى ذلك العام عام كحيكة وفي ايام ابي مروان
ظهر الكوكب ذو الذنب الكبير ببرج العقرب وبقي يسيرا ثم ذهب وظهر
بعده كوكب اخر ذو ذنب اصغر من الاول وكان في ايام السلطان

بن عبد الله محمد الغالب في السلطنة [illegible] في أيام ولده محمد بن
عبد الله أعلام هم الذين بناحية [illegible] ثم تبعها في أيام زمن أحمد [illegible]
التي جاء بها ابو [illegible] الذهب جيوش [illegible]
وهي التي جرها محمد بن عبد الله [illegible] وفي [illegible] ذي القعدة
عام سبعة وتسعين وتسعمائة [illegible] اخر النهار [illegible] الميلاد وهلم الى [illegible]
[illegible] ابو العبد
والعفو من المنصور [illegible] بفسيح وفي [illegible]
[illegible] الغاصي

يا أيها المنصور [illegible] الغلاقة	[illegible]
افضالكم سيفا تحف [illegible]	[illegible] مغلوله
وقد [illegible] الشرك المنتور [illegible]	[illegible]
واذبت اكباد الخبيث [illegible]	[illegible] دار العد[illegible]
اكرم به من فالك بل كان الحد الخمر	لتارودنت العراة غليلا
لا زال في انعم العز [illegible]	[illegible] التكميلا

واشار بقوله لتارودنت العراة خليلا الى ما عمله النصارى [illegible] اذ دوا الخروج
من الحيلة [illegible] واقحم فصيتهما واوى بالتارودنت [illegible] تبلغه عنه
دخول المسلمين فيملكون جميع [illegible] واختبر المسلمين [illegible] من الله من
وفي عام واحد وألف
ابو [illegible] الله أمير المؤمنين [illegible] مشهودا
اتي بالفيل من السودان للمنصور يوم دخوله [illegible]
بر زكار من في المدينة لرؤيتهما من رجال ونساء وصبية وشيوخ في رمضان
عام سبعة عملت للعباس ايضا فقال البعض [illegible] بعد قول
منكر العيلة للمغرب منكر العشيرة [illegible] السماء [illegible]
فرحوا يسوسون العيلة فرحوا [illegible] فيما تابع [illegible]
عنا منهم في ذرعة ومراكش وغيرها من بقاع المغرب وتعارضت فيما [illegible]

العلماء

العلماء رضي الله عنهم وفي التحرير وفاء بالتحليل [illegible] والعلم
فيما عند اهل سجلماسة وفي عام ثلاثة وتسعين ثار رجل يقال له
الحاج قرقوش بجبال اغمات والنصر وتسمى بأمير المؤمنين وكان في بدء امره حا
كيا تلبس بالزهد والصلاح فاخذ وقتل وحمل راسه لمراكش وفي ذي الحجة
من عام ستة وتسعين ارتحل المنصور للعباس فبينما هو في الطريق واتته البشرى
بالفتح بنصارى سبتة وان زعيم الفئة احمد النقسيس لقيهم مع جماعة من
العساكر في موضع يخرج النصارى باولادهم وحشمهم في [illegible] وبين
سبتة وكان [illegible] منيته وانشده في ذلك الكاتب ابو عبد
الله محمد بن علي الفشتالي بيتين [illegible]

هذي هنيئة تزف عروسا	نحو فاجيبه في شباب وشيب
ومن تبشير وافتك [illegible]	[illegible] بعيني فرج

وفي جمادى الآخرة من عام تسعة وانعكاس سيل عظيم بفاس ثم
في شعبان من السنة كان سيل اعظم من الاول هدمت به الدور وتهدم سور
الوادي بفاس على وثافه واحكامه وهذا السور هو الذي انشاه السلطان
احمد [illegible] ولما فرغ من بنائه فقال الامام علي بن هرون فيه

لقد سدد الله رأي العماد	وأبطل في السور رأي الجهول
وقربا ماراه من بعاد	[illegible]
فهدا وعكسا لسان زيادة	عقول الملوك ملوك العقول

وقال الشيخ ابو زكرياء يحيى السراج فيه ايضا

الا سدد الله رأي الذي	بتشييده سور اصحبنا
وخلد في عز ملكه	[illegible] امينا
امام الهدى احمد المرتضى	مبير العدا عمدة المسلمينا

وقال الشيخ ابو عبد الله عبد الواحد بن احمد الونشريسي

اياالهالقابس سر الله سره كم براي ابي العباس ها في هما قابس
والحبابه اشجار كم وثمار كم على رغم قوم منكرين من الناس
فراع وداع الشعر يحي مجره وبا زمر الشكر الجميل با جنا س

حكاية وفيها موعظة قال الشيخ **مشايخ شيوخنا الفقيه العالم الصالح ابو عبد الله سيدي** محمد بن سعيد المرغيثي السوسي في بن سته ماتنه **فائدة** عند قوله تعالى ومن يعش الى قرين **فقال الشيخ** كان رجل بمراكش يقال له علي الشماع في دولة السلطان ابي العباس احمد المنصور بن محمد يوما في ايام الله بينه فالتفت الى شي يرى من اغلاما اسود فوق حراشه رافرا ابطح به وكلب متبعا ليقتله فقال له الغلام اقبل على نفسك فانك لا تقدر على شي **فقال الماسح** اقال انا شيطان سلطت عليك فا قول له تسلطت على قال ويحك الم تسمع قول الله جل وعز ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين فقال الله نعم من امة العظيم **ثم قال اعوذ بالله** من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين واستمر يقرا والشيطان يضعف ويذوب حتى غاب فصار الرجل يختم القرآن كل يوم ختمة وصلحت حاله انتهى

ذكر مشاهير كتابه ووزرائه وولات مظالمه وقضاته

اما كتابه فكثير ومن اشهرهم ابو فارس عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم الفشتالي **قال في دوحة الناشر** في حقه وزير القلم الاعلى ابو فارس الفشتالي فقيه اديب ناظم ناثر وهو مؤلف تاريخ الدولة المنصورية تاريخه المذكور في مجلدات اشتمل على تاريخ دولة ساداتنا الشرفاء من اول ما الوقت مشتملا على وقايعها ومغازيها وحوادثها وغير ذالك وعلى محاسن

التعريف بالفشتالي الاديب

ابي العباس المنصور ومولاه احمد الذهبي رحمه الله والف مؤلفا في ترتيب ديوان المتنبي على حروف المعجم وله من النظم الرايق كثير **وكان رحمه الله** واسع الادب بعالي الهمة متين الحرمة فصيح القلم زكي الشيم وكان البلاغة والبراعة وفارس الخطوط والبراعة اخذ عن جماعة كابي العباس المنجور وابي العباس الزموري والحميدي وغيرهم من علماء الوقت **ولد** سنة ست وخمسين وتسعماية **وتوفي** طهر الاثنين علماء ان من تلاليه شرع فيما المذكور رحمه الله **وقال في نفح الطيب** وكان سلطان المغرب المنصور يفوض الى الفشتالي فيفتخر به على ملوك الارض وتبادل به لسان الدين ابن الخطيب انتهى **ومما وقع له** مع المنصور انه كتب له يشكو اليه بعض ما اهمه من اقرب نياه فوقع له المنصور من نظمه بخطه

يا كاتبا اذا كتب	غرس روضا اذا ابنى
ان جوابي للخبر	تشكوا اذا قد اردت حزنى

يعني دزمه مما كان وجدت هاذين البيتين في بعض مسوداتي وكلا ادري من اين نقلتهما وما احسن ما قال ابو علي الحسن المسفيوي المراكشي في بعض مباني ابي فارس المذكور ذكرها في نفح الطيب

اجل المعالي من افراح سرور	[illegible] نسر دون سرور
خلعت على عم [illegible]	في الادلا وثوب حبور
وقناسو الوشي المعوي حلة	[illegible] على نحور الحور
سان القصور وقصورها عن رتبة	بالسنا الممدود والمقصور
في المبتني المراكشي وافقه	ازري على الزوراء والخابور
اعلى مقاعد البارع الاشمر الزعفرها	زسبوا لنظم والمنثور
قالت الفلك ابنا انه افلا قد تقت	عقود الساحر بين مسحور

عبد العزيز اخو الجلالة كاتب سر الخليفة احمد المنصور
لا زال في يمن وامر نافذ وسرور بالنداء مجد

وقد كان في نجع الهبي مراسلة كتب بها اليه مع اخيهما وكانت وفاته رحمه الله سنة اثنين وثلاثين والف حسبما اخبرني صاحبنا في ابن علال والى تاريخ وفاته اشار الاديب الكاتب ابو عبد الله محمد بن احمد المكلاتي في للمعية في الوفيات فقال

بر النثر امست وهي شلة لصاحبه حيث هذا الزمن يغيم معطل

ومنهم ابو عبد الله محمد بن احمد بن عيسى وهو مؤلف كتاب الممدود والمقصور من سنا السلطان المنصور ومن شعره قوله

اذا الزمن اغفل المنة المناهر عمه من اجل العطالة برو م
ولا تامن عداله في الورى فانه وفوعه فيما الزمن الا كغافل سروم

وقوله رحمه الله

اذا افلت من مالك بلغة وكن بالنزر تلتنعيم فتنوع
ولا تامن عداله في الورى بان الوقوع بغدر الحلوع

ومنهم ابو عبد الله محمد بن عمر الشاوي وكان اديبا وهو ابن الغايب في عجم العدول

اذا العدول الذي جاء الزمان بهم عن العدالة والتوقيع فد عدلوا
لعدات سر والبلب [illegible] الله لو شهروا في الكلب ما قبلوا

وله في مدح المنصور

[illegible] من علينا لكم ومعيق
يا الغرب يرفل في [illegible] يزجي منه المشرق
امطر علينا سحائب جودها [illegible] برحمة لا اغرق
فنوالكم عم البسيطة كلها [illegible] في البرية مطلق

وفاة الفشتالي كاتب المنصور سنة 1032

وصي

ومنهم الكاتب البليغ ابو عبد الله محمد بن علي الوجدي كان من مزور الحلبة وممن قطف ازهار الادب وبرع في الانشاد وقد رايت رسالة له يمدح ابو فارس ابن المنصور في رحلته فيها ابدع على علو كعبه في العلوم ومن شعره جوابه لغز الفقيه ابي زيد عبد الرحمن بن ابراهيم المستناوي وهو

احاجيك ما مثل انجبا ليغرب عنهما يرما بهيم
فما اثنا واستكملا واستراما وقد قسم الزمان بزورهيم
وحل زاد بالبعد امتلا وينمشيهم او يوم البدر سقيم
وكنيته رجاء فامر عنه ارض فيما ولنا شاه دون عظيم

وقال ابو عبد الله الوجدي

بدت النفس مولود اتاكم وتلك الشاة فاعلم ترى ام
وذا العز ظاهر وجمهب وحشر سمايه يجلي بوهم
واي ثناء الكراز فرا منتها الافمار كان بريله ببوم
وليل مثل عرض ابي زمن كوكبا على انجم مت فيه نوم
فروت سيرها الاحاجي وعشر ما حلام فهو الحزن بهم

ومن شعره ايضا قوله

وعشية [illegible] حبيب بالبيتها سمحت بنزل غروب
وكذا [illegible] بشر ورفيبه فكانت اللقيا بغير رفيب

ومن خطه [illegible] ما صورته انشده [illegible] ابو عبد الله الوجدي [illegible] في ربيع الثاني عام سنة [illegible] والف

ليس الصبح [illegible] شاوم جنة الخلد نبع
خلته مو خشنه فيه برا هالة المسجد وهما القمر

وانشدني لنفسه ايضا

وصعا ذكا الشمس الجنين في نور علا ما في خدود الشاربين طالع

اذا العين في الكاس فان قد برقا ابرو برا من جانب الغور لامع

توفي رحمه الله سنة ثلاث وثلاثين وانه ذكره في الاعلام ومنهم

الاديب الكاتب البليغ ابو الحسن علي بن احمد الشامي واولاد الشامي

ينتمون للخزرج ولهم مقاصد مع المنصور وكان ابو الحسن فيهما مشاركا

وله نظم رايق ذكر منه المغ في كتاب فتح المتعال في مدح النعال جملة وافية

وتوفي عام اثنين وثلاثين والف ذكره في الاعلام

ومنهم الكاتب الشهير المصقع ابو عبد الله محمد بن علي

الفشتالي وهو صاحب الديوان نظما على روي اللام وله شعر حسن ذكرنا

منه فيما سلف وتقدم بعضه في الكتاب وكان فرد الاعلام من الكتابة الفقيه

الاديب الاوحد ابو عبد الله محمد بن يعقوب الايسي وكان صدرا من ذكاء

في وقته في الكتب وغيرها بحيث كان الكتاب يرجعون اليه في عويص المكاتبات

وبترجعون اليه في المشكلات وحسبك ان احمد بابا السوداني

نقل عنه في كفاية المحتاج ووصفه بالنفقة النافر وقال فيه من الاوبا المغرب

افتن وله اصدق وله اعلم وله اعرب [illegible] منه اهو ولابن يعقوب

فيه هيبة وضع [illegible] ومن شعره قوله [illegible] في مدايح النبي صلى الله عليه وسلم

المجنية

بكتبش الزي [illegible] والنباه [illegible] فاقة صابح

ومجد الخليل [illegible] نافة احوكرا كليب [illegible] غرابح

وصع اموسو لو [illegible] ناكن [illegible] ناصح

تحل جنابك صابح يونس [illegible] البابح

ومن شعره قوله رحمه الله

ايا كان في العيون موارد اسيما وان تخلوا الرواند

اعتز بانوار وجدت مشاعرا اذا اعظم المطلوب قال الشاعر

وبالجملة فكتاب المنصور لا يستوفيهم الحصر وفي هذا القدر الذي ذكرناه

كفاية وكان من وزرائه قد ذكر في شرح دولة السلطان منهم عبد العزيز بن سعيد

المزوار المعروف بولد مومن عند الناس وقال في درة الحجال

في حقه ما نصه عبد العزيز بن سعيد بن منصور بن محمد بن منصور المزوار الوزير

كيشي صاحب مولاي احمد الذهبي رحمهما الله يعرف بالقايد عزوز صاحب

جبل حوزه من قبل امشعودي وكان فارسا اعتنى الناس المومن ينبغي والزلافة

من بلاد الاندلس وكان مع المنصور صاحب روضة العز كما سنذكر ولعبد

العزيز همة بالمعالي وجمع الكتب العلمية ويقال انه كان من الرواية ثمانون

الا مجلد ولد بتاروداني سنة ست وخمسين وتسعماية وبينهم بيت عظيم

يعني انهم ومنهم مولود من الاندلس والناس بن علي بن شعرا

وذكر صاحب الفوائد فارس في المرزوقية

المنصورية شاعر يسمى الوزير وكان مجاذبا

فقدم على القايد ابراهيم السفياني فقوله

لك في كل وقت صب وعن اصطلاح الحرب حومة ماجد

قال في الشرح عن الجهري المعروف بالسمار

كم من سيوف قطعت ... الزمان جاء الكامع بعد ها في الخلد سمار

وقال في القايد مومن بن ملوك العلج

فان كان كل الموسنين كموسى فلا اهملت بالموسنين الحواصل

واما ولاة مظالمه فقال ابن القاضي ايضا

منهم ابو الحسن علي بن سليمان التملي اخو ابن اف الفقيه المعظم الحسن

ابن الحسن بن عثمان وقد وصفه الفقيه سيدي عبد الواحد التلمساني في

اخر الجزء في بعض اسئلته بانه سيد القاضي والفقيه الصالح وتقدم هنا

وعارض ابو العباس ابن القاضي فقال

وقايلة في الارى لحساس اصرنا

وانت غريب في الانام بعين

صفات لنا في المعالي مطلع

اذا تخلى المطلوب قال الساعي

غير

ماوصفه به المنصور في زهمة عمه ابيه المنفرم وكان ولي الخطابة للسلطان ابي محمد عبد الله الغالب كما سلف وهو اوّل من فخر بالحواميم من اهل بيته وفيهم

يقول الفقيه سليمان ابن ابراهيم بن سليمان

بالله ان وكيتمُ مراكشا فردوا وجئتم فبلغوا على تلك البساتيـــن
ان تقدموا اثرا فرهنت به حتى تحيي سكان الحواميـــن

وان افضال فيمن اكثر الفقيه القاضي ابو القاسم بن علي

الشاطبي ولي القضاء مدة كثيرة ولد يقول الفقيه العاقل ابو فارس عبد العزيز
ابن محمد التعلبي ولي القضاء بمراكش وفيه له همة عالية

يواسي الغريب ويدني الغريب ويتقو احكامه الماضيــة
فلا عجبا فيه سوى انه تقلبه امة جار ية
وتحكم فيه فبعر تما مطيع ومولة عاصية
فما نشر فو امر فرضي بان النواجي له دا عية
فيا ليته لم يكن قاضيا ويا ليتها كانت القاضيــة

فاجابه ابو القاسم بقوله

اعبد العزيز الفصيح المعاني تعرضت وجئت للمهلكا ت
اتطمع يا نزل في خطتي وانت جهول بحكم الفلا ت
اما تذكر زمنا ماقضي وانت وعرشك عند الزما ت
فكونوا انقود وكم راجعود باشتد ياشرقاعروا ت
فكن كابي الليم الزبواسي العصات ويبغض العقا ت
ولا تعترض الى خطتي فان لسانا نبشر الحصا ت

توفي الشاطبي عام اثنين والف وولي بعده الفقيه ابو عبد الله محمد بن عبد الله الجزائري المغروف ببوعبدلي وكان من صدور العلماء وفقه جلة العلماء بفاس مجهتهم توفي عام اثنين وعشرين والف وفي تاريخ وفاته يقول الكلائي

ولما

وان ابي عبد الله فلتشهد فيا للمن فضل زكي معـ ـل

وكان فاضيه بفاس ابو مالك عبد الواحد بن احمد الحميدي وكان فقيها عارفا بمختصر خليل ادوا ولي اعلى تدريسه مع المشاركة في غيره من العلوم وكان اول ولايته للقضاء في ايام السلطان الغالب بالله عام سبعين وتسعماية وكان السلطان المنصور نقم مرة عليه شيئا فسجنه مدة فبعث باوراق للشيخ مبيع رضوان يطلب منه ان يشفع له عند السلطان المنصور فكتب له مبيع رضوان بهذين البيتين يحضه على ان يستشفع بالنبي صلى الله عليه وسلم وان لا يستمسك بحبله لانه باب الله الاعظم وقبل القاضي اشارته وتوجه الى ربه بكليته فاتاه الفرج من حينه والبيتان وهما

قال للنوازل الخطوب نبهتموا ابن الزعيم ومن يقول انا لهـا
بالوالعنان لبابه مستشفعا وات البيوت اخي من ابوابها

ولسيد رضوان ايضا في هذا المعنى

وانذا الكريم سألته بنبيه حاشى وكلا ان يخيب سايـلـه
ومن الكريم سوى الجهر رب العالمين ومن الحبيب سوى مراهم كاملا
ومتوالنبي محمد اكرم به ساد الانام اواخرا واوايـلا

وقال ابن القاضي في جدوة الاقتباس حسبما قرانه بخط ابن اخه شعب عليه بالجرم ماتصه عبد الواحد بن احمد الحميدي الفقيه القاضي بمدينة فاس كان حافظا للمذهب مالك الا انه نبذ الشيء بعد المحرية وراء كتمه وكان يحكم بفوا بقة شهوته مع علمه بالفقه الا انه لا ابالي بما فعل فيما حتى اكتسب مقتو ومورا من الاقوال جليلة ان حصل لمنا وقام انقوضــــى

قال فيه صاحبنا ابو زيد عبد الرحمن بن ابراهيم المستزادي

تولى الحميدي واعرابه وايام دولته الغاو ية
وماتت وخفت موازنه وصار الى امه الهاو ية

الترهيب بالحميدي

وكان الحميدي أديبا ومن شعره قوله

من لم يكن للعلم عند فنائه ... أرج فإن بقاءه كفنائه
بالعلم يحيى المرء طول حياته ... فإذا انقضى أحياه حسن ثنائه

وقال في طالب يعرف بعثمان الدوبة ردي وكان كثير الجدال قليل الفقه

وصوت عثمان لدى المجالس ... كصوت بلبال من العتار يشي
ليس له فهم ولا له نظر ... جزاؤه الضرب بأذناب البغل

وقال في طالب يعرف بالحمام وسرقت ثيابه وجاء لمجلس القاضي يشتكي فأنشده

فلو رأيت مشية الحمام ... خرج من قاعة الحمام
بغلالة بيضاء كالنعامة ... يمشي في مشيته أمامه

توفي عام ثلاثة وألف وكانت بينه وبين المنجور منافسة حتى أن المنصور مرة للصلاة فلما أراد المنجور أن يدخل المحراب منعه الحميدي فقال له السلطان دعه فقد قدمه علمه فقال له الحميدي إن قدمه علمه فقد أخره نسبه والله يسامح الجميع وأما قاضيه بمكناس فالقاضي أبو جعفر عمر بن الغافق الصنهاجي وهو قاضي الجماعة بالسودان وما ورى معا

ذكر الخبر عن ولي عهد المنصور أبي عبد الله مولانا المأمون المعروف بالشيخ

كان المأمون كما تقدم ولي العهد وكان خليفة أبيه المنصور على فاس وما والاها كثيرا من حياة أبيه وكان للمنصور اعتناء تام به واهتمام بشأنه حتى قيل إن المنصور كان لا يختم على رقعة من المثال إلا قال اجعل الله فتحها على يد الشيخ ورجاء أن يقوم بالأمر بعده ويسوس الرعية مثله فلم يساعده القدر

ما كل ما يتمنى المرء يدركه ... تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

ووقفت على رسالة كتب بها إليه المنصور

ونصها من عبد الله تعالى المجاهد في سبيله الإمام المنصور بالله أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين أبي عبد الله محمد الشيخ الشريف الحسني أيد الله بعزيز نصره أوامره وكفى عساكره منه إلى ولدنا وولي عهدنا الأمير الأجل الأفضل الأكمل الأعز بابا الشيخ وصل الله كمالكم وحسن من خير المزيد حالكم وأدام لكم سلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد فكتبنا هذا إليكم من حضرة مراكش حاطكم الله ولا جديد إلا ما عودكم مولاكم فإنه الحمد لله الحمد وله المنة هذا وإن الذي أوجبه إسعادكم الله وكلامكم إنه قلعها وأفتيتم في استخدمتم هناك جماعة من أولاد ... كلمة كذا داخل ابن محو وأخي محمد بن ملوك وغير هؤلاء وإنك فرقت بهم ما عطيا بهم نحو خمسة آلاف والى هذا إن مصلحة ... تلك في استخدام هؤلاء القوم حتى تتحمل كلفة ... هذا العرض بل قلنا في ... إليك أن الفساد ... هذا الذي تعرضتم له لا يعني به الغرض ولا يقوم معه بكم شيء ومسئلة هؤلاء ... كلمة أن كنت رأيت استخدامنا وأردت تقليدنا في ذلك واقتفاء سيرتنا فيه فاعلم أن بيننا وبينكم في هذه المسئلة فرقا من وجوه منها أن هذا الكشر ليست كفاس وإن خدمتم هنا البعض منهم عن بلادهم منهم ليست بخدمتهم هناك وأيضا هؤلاء الناس أقاربهم وكنت في بلادهم وهم الخدمة كانوا كلبوا ... وأنا هنا ... وعرفتهم بما أحد لا يجتمع وأنا ببلادهم لا مساعفتهم فلما جاءوا اليوم وطلبونا بالوعد ... الوفاء لهم به وعليه شركنا عليهم هذا الكشر وسكنا ... وعلى هذا الشرط استخدم منا منهم ومع هذه الوجوه كلها ولا عبارات فقد فرقت والله على استفز منهم غاية النزاهة وأنت في ذلك عن حظ الا كان لا والي أن تكون ... منهم وتركتهم من الخدمة وأما أنت فقد صنعت وجهة من هذا كله لأن ... لا أوكد تسابقوا لهم حتى يلزمك

الوفاء به ويكفيك ان تحيلهم عن اذننا ومشورتنا بكفيهم عمدة بالشكر الذي
شكرنا عليهم من الخرقة هنا بمراكش وسكناها وعلى هذا الشكر استخدمنا منهم
من استخدمنا وان هذا القائل الذي ذكرته عليك ان تفصهم من الخدمة ولا تستخدم منهم
حتى فارسا واحدا الا العلم الذين ذكرت فالكم ومن غيرهم من كافة او تجد كلمة
وامر فلذا ان تستخدم لهم فيها وتقول لهم ان السلطان منعني من استخدامكم منها
وقع اعلمنا كتابنا الواصل اليكم عقبة هذا لتتباعد منهم ولا كان الجماعة هذا
كله لا تظن انهم بل تحسن الفعل فيهم وتواليهم بالكلام والبشر والقبول وتبادر
الطمع تسرعكم وانهم والذي شق علينا اعظم من هذا كله واستكرناه ولم نجد منه ا
علينا هو ما وجدناه فدا كلفوا عليه اعني اولاد كلمة على بن يحيى وغيرهم من
اخوالكم ولغافركم والعبيد منهم فدخلوا مع ذلك الرحال بتوطن البيه والله احق
من كبار رجالكم من اهل بلادنا وخواص اهل بساكننا ان اهل بلادنا احبائنا ما لهم
بحث الا في مصالح نفوسهم ومما فيه اغابتهم وفه وينشون على الغوغاء وعورات
المملكة ولذا بكم تتخذونهم بطانة ولاصدقاء وتطلعونهم بامور كم واحوال كم
مع القوم ما زالوا يبلون العدو وبين الصبرة وانما الذي يطلعون فه يحتاج تفطع
وتحرم بان التدلج فداكم تلطفوا عليه حتى انهم شاهدوه ووقفوا عليه بانفسهم
وايضا ولو كانوا اصدقاء ولا يرون بنا الا خيرا فانقوم
عرب لا يتخا يكلمون على ما يطلعون ولا يعهدون ما يحسن خفاؤه ولا ابدا
ؤه ولا يتم الكون فقولا ولا نطقا وبالجملة تعزم فلتنا
هذه المشكلة وتبعد لها الكبد دنا وصادق فلوبنا منها معرفة
وما عندكم علم بان الناس كانوا يتحدثون في اقل الا فمن ان يطلع عليها
الاجانب وان كانوا احب من كل محب واقرب من كل قريب ومثلما عندنا
علم ان اخانا ابا منصور كان عرض له عرض فيه جرا ان اراد ان يطلبه
لاخينا ابي عبد الله وقطه وحضر في المجلس منصور بن الحزوا وفهم ذي بابا

منصور لفطنته يذكر ذالك حتى حيثا ومرنا بازابيه ليلا لكون عبيد يذكر ذالك
بحضرة وعليه شاور الفقير دحمو افرج كان بازابيه فقال له هذا الرجل
بزانه فلا تطلب شيئا فدا فدقع على ان منصور بن الحزوا رهن اكان مع اشلابنا من
اقرب ما اليهم من خواص الخدام امغاربسا لكنا محبة وقرباء لا ذم اشلف معهم
خرقة عظيمة يقفو كان عمرو التاج وبينه وبينهم ارواح وحفظ مع اخينا يحيى
الخ ان جميع ما كان في تلك البلاد اشيلابه عمل الغرب الا وسلام قع ببا عبدر
الفاد ركزالك وشرب معهم الحلوة والجرة ولما امر تلمسان جاء باولاد منها ان ا
جلا لحما جاء منهما ابي عبد الله باولاده ولما جاء منهم خرامنا اهل هلاغ في
البلاد وما والعلى هذه الخرقة والوفاء حتى حصلت له بذعتهم مع اشلا
بنا وفاهيك بمن بلغ الحال فلذوه بان تم بلاحا بعضهم التي
لا تعطي كلتا انهما الا لا قرب الخدام المؤثرين محبتهم وحرمتهم ووفيهم
ومع بلوغهم الى هذا المبلغ كله محبة ومرافقة ومجة وانقطاعا حتى انه
في دخول صالح بن يسر لفاس رحلوا اليها مع ما جيب رحل اليها مع اولاده
مع السلطان وبنا كان يفعل امثل هذه البلاد وحين دخلنا نحن من جهة الشم
رحلوا اليها مع قلب الجبل الى الكثير ولا يعدوا انفسهم من هذه الجانب
ابدا في الحديث ثم ان الناس استعاذوا وان يطلبوا اقل المسايل بمحضره
وقاتلوا افعد رانيهم ولا فضلا عن هؤلاء الذين ما زالوا الى اليوم في بلاد العدو
يباكونه ويراوحونه فاذا بكم تكثرون معهم الى ان تطلعونهم على امور
كم وتتوصلون الى الحرفة باحوالكم مما الكنا بهذه المسألة ولا وجد
نا عليه منه اوهنها اهلة الا مور التي عملها شتا وقلنا كيف يتوطن الرجل
البراني الى امثال هذه ان على بن محمد كان يتكلم يوما معنا واخبرت عليكم
في بحبركم وضبعكم عند الشرق وسخائكم وفتن العلاجة ثم قال ان لنا الخيل
ليست عندكم الا في الحركة الا ولو ولا في التانية الا والقبايل اهل الخيل

استغلوا عن الحركة معه ومع ابنه غاضبتهم وقلت كيف يتوسط الزغل البنا في
امثال هذه حتى اقتتلا وجرى الان الرد عليه وعكس ما عرفنا انهم اعتقدوه
وقلنا اللهم نسبة لم يعطهم منا التخصيص اليكم ولا اعتقاد منهم خلو
البلد من الخيل لانا بمنانعهم ذلك ولهذا اجبته وقلت له ان ولدنا لم يغن
لهم شيئا واعطى لمن يشتغل من ضعفاء الغزاة الخ ومن يأكل اموال
وعدم المخازنية ولو اعطى لتلك القبائل لحصل مما عليه الان واولاد دخلاع
عندهم من الخيل نحو الثلاثة الاف وعند اولاد دليم نحو الف وكذا
وعند الخ بني وعند اولاد عمران وعند عبدة وعند الشياظمة وعند اولاد
دليم واس وعند احمر وعند المناجية اهل امابيس وعند المناجية اهل ب
عمرو بن عبد وجعلت نغرله قبايل سوس وقبايل [illegible] اكثر واحصى لهم حتى
خيلهم بالجبة وقلت له لو احصيتهم لحصل منهم نحو ستة عشر الفا واكثر
فرملاهم قال البلاد وسال عليها سيل عرم لا في الحركة الاولى ولا في الثانية
ولو وجه اليهم الحركبير والرماة لانتهوا ايضا بلا خلاف والى هذا فانا نو
صيكم على المحافظة هذا ولا يبت الناس ومن دفع الجبا لهم عن امورهم والا
كلامه على احوالكم وعدم الغفلة عن امثال هذا **واعلموا**
ان من جملة ما بلغنا ايضا ان الحلاف رجعوا كلهم زمان علي بن مصطفى مع حرية
عمرهم بالفساد والخلاف وكنا انتشبنا معهم بالعودات فاخذ ابهم اليوم بـا
لنزاع وعدوا النار وها هذا لا يجوز عليكم حتى تسمعوا فيه قع او هذه المسا
بالبيت بغاية عنكم حتى تسمعها بالسماع فقط ولا كطويلة عمر حتى
تسالها بل بلغ مسامعنا هذه وباشرت ورايت فيها الذي انساق بعلمكم وما زال
جهم الان [illegible] خروج الغاية من المخارج الان فكان الان ايهم
والان نوكد عليك ان تفحصهم من الخزنة ولا تهملهم في هذه المسئلة
وقد سمعنا ايضا ان قواد الفساد الذين عندكم من اولاد

حسين

٨٤

حسين فرسان جملتهم من تابا الخيبو الى ما والترتيب وكانكم نسيتم ايضا
ما عمل اولاد حسين بالامس ومن بغر من النهب وان هؤلاء من الفساد في البلاد
حتى ينزلوا تلك المنازل والى هذا فساعة وصوله اليك نقبض على قياد الفساد
منهم وخصوصا احمد بن عبد الحق من ولد يحيى بن غانم الذي كان ابوه حاجبا
عند المرين جمعوا اهل الفساد ثم لا تترك القبايل جنادها واحدا وزيروا الفقه
بن قومهم بن علو الف راع ليستوفي لهم الغرض في صولة واحسانهم من كلامنا هذه
به الان بقام الزمان هنالك قاضيه الا ان اشتغال بالفساد في المدينة فتحتاج الى
ان تتولاهم بالقتال كل يوم بالكلا وخروجهم اخذ الحد بعد ذلك ثم وجلبنا
لمصالحهم اولا وحتى الكاتب اللاين بامثالكم ورسايلكم لم يكن عندكم
لا كتبكم تاتي بخط السالم وهو غير عارف بالانشاء وتارة بخط الكريم وهو
جاهل مع انك لما كنت خليفتنا وولي عهدنا بصدد ان يكتب لك كل الحر صاحب
الجزاير ولا صاحب تونس وحتى صاحب الترك وصاحب النصارى وكل من يكتب
لنا من ملوك الان زمن بصدد ان يكتب لك فتحتاج حينئذ الى من يحسن الجواب عنه
كل من يكتب اليك ويكون ايضا ممن يوثق بالمحافظة على اسراركم والى هذا فلا
بد من تعيين قائد المحلة وحاجب وكاتب سر واصحاب مشورتك وصاحب الفا
لكما هو هنا عندنا فاسين علي بن سليمان **واعلم** انما نحتاج ننبهك
عليه مسئلة القياد الذين يريدون ان يحملوا اثقال اولادهم مثلا وعلقت في
اولاد القبايل بركة واخوته الذين استخدمتهم وعملت لهم خمسين اوقية
فنوكد عليك ان لا تستخدم منهم احدا فيما اعطيناه سلا الان لمن يرجع منهما و
لا دو واخوته وكذا الحكم في امثاله من كان قد اعطيناه شيئا وقلناه القيادة
ومن جملة ما نحذرك من استخدامه في الرماية اهل
الجبال من الصفقة اهل الصحة والارهيبا
فلا تستخدموا منهم احدا ولا واعلموا انكم ما ردتم حينئذ ان يعهدوا لكم

خمسماية

وقد بعثوا بعض شيئا واردتم الخرقة بها مع امثال هذه البلاد مثل اهل سوس واهل
درعة واهل مراكش وكلما تستخرجون من هذه وقل عليكم واذا لم يكن من هذه وكان ومن
بعث غيرهم من اهل فاس شكا والحضر واما من عداهم فلا على ان الزمان اهل سعة
هالهم هنا عندنا كثير وكلما تزيد منهم عرفنا نبعث اليك وتعينهم ان تحرر مثل ونحو
كذا عليك ان تكاتبنا بالجواب في هذه الامور كلها فصلا فصلا مع المملوك الحامل
لهذا الكتاب ان شاء الله ولا بد من قدر ومن ان موجبها اليكم والله يجعل يمنه عليكم والسلام
وفي منتصف جمادى الاولى من عام احد عشر والف انتهى

ذكر الخبر عن سفر المنصور لفاس وسبب ذلك

تقدم لنا ان الشيخ بن المنصور كان خليفة ابيه على فاس الا انه
اساء السيرة واقترف انواع القبائح وكان سفيها خبيثا في الهوية مولعا بالعبث بالصبيان
وشرب الخمور سفاكا للدماء غير مكترث بامور الدين من الصلاة ونحوها ولما
كثر فساده وجار للناس عن [illegible] ففاه انفذ اليه ابراهيم السفياني وزير ابيه فعزره
وعذله فلم تنفعه واستمر على قبيح فعله فلما اكثر له من التقريع والتوبيخ
سفك دمه وكان فيه حتفه ايضا وكان مما انكر عليه انه قبض على كاتب ابيه
ابي عبد الله بن عيسى المتقدم الذكر وكلفه عليه مالا وبذل له ذخائره واخذ
منه ماله حتى كان فيما اخذ به ثمانين حسكة مذهبة ومائة تخت من الملف المختلف
الالوان فلما كثرت فضائحه وترددت الشكاية به اليه كتب له ان يكف عن غيه
ويرجع عن خبثه فما زاده التحذير الا اغراء فلما رأى المنصور انه لم يكترث بامره ولا
ازدجر عن خبائثه عزم على التوجه لفاس بنفسه ان يمكر به ويرده لما يكون
عادته فسمع الشيخ بذلك فجمع عساكره وهيا جنوده ودفع المرتب لعسكره
وعقد جيشه فيما قيل اثنان وعشرون الفا كلهم بكساوي الملف والخيل على حسب
شأن والمكاحل وعزم ان بلغه خروج ابيه من مراكش ان يتوجه في عسكره الى تلمسان
ويستجير بالترك الذي فيها فلما بلغ المنصور ما عزم عليه

ان الشيخ من الذهاب لتلمسان وتخلف عن الخروج من مراكش وكتب للشيخ بالكف وفيما
هم به ان لا يفعل وولاه سجلماسة ودرعة وتخلى له عن خراجهما وقال في [illegible]
وقد اكتالب فيه ومراده بذلك ان تنكسر نعرته ويرجع اليه عقله فلم يمتثل الشيخ
امتثالا الا انه خرج يوم سجلماسة في انفصاله عن فاس بشيء يسير حتى رجع لما
وعاد لما كان بصدده فكتب عليه فبعث له المنصور اعيان مراكش وعلماءها فنصحوه
ووعظوه وخوفوه سخط والده وحذروه من العقوق ولم يألوا في النصيحة بوجه
وهو مشغول القلب عن نصائحهم معمور الزهو بخلاف قولهم الا انه اظهر الرجوع
عما كان عازما عليه من الفرار من ابيه وفصح في الكلام عن بعض قبائحه فرجع الاعيان
والعلماء للمنصور لغوليهم وقالوا لعل هذا الصلاح للشيخ وكذب لا صلاح
الغلام ثم لم يلبث المنصور ان بعث لولده زيدان وكان خليفته بتادلا
يأمره ان يرسل ما فيه من العبيد على طريق تافلالت وكان من معه فامره ا
للغرب من ناحية مراكش يبرح وفيه وارسل مولاي مسعود الدودي وعلى كم بوسلد
يفعل مثل ذلك وخرج المنصور من مراكش في اثنى عشر شعبان في
وقيل جمادى الاولى من عام احد عشر والف وجد السير فلم تمض الا ايام قلائل
حتى نزل بالرواح موضع قريب من فاس والشيخ في جميع ذلك في شغل وله بخ
من ابيه ولا بما هو عليه فبعث يوما عيونا ينظرون له من قدم من مراكش
ويكشفون عن الخبر فما راعهم الا الا بالخيل سايلة باعناق الجياد وافواه
الشعاب ينظرون له من قدم من مراكش ويكشفون له عن الخبر فلما
الخبر شرعوا يقولون الا [illegible] عمينا علينا الا قليلا فبعث المنصور
للسابلة فرجعوا للشيخ مسرعين والرعب في اعضائهم ويهيب جند
من عند ابيهم فقصوا عليه ما شهدوه واخبروه بما رأوه فعلم انه محاط
به فلم يكن الا ان [illegible] فركب من حينه وذهب لزاوية الولي الصالح ابي الشتاء
بتلو فشتالة الغرب ثم فشتالة وزغة وكان [illegible] ابو الشتاء فرقوا فيما [illegible]

وفي ... انه ثاب وحقيقة التمرد
والطمأنينة نفسه وانه وافقه منكر
الامر النفي فلم يصبر المنصور
لفعله

منه تنبع ونفير وتشعب في كتاب الرهبات بنزوله الزاوية وبعثه بها انتقدوا اصحاب ذا
خلته من اهل المغرب انا واتباع الشرو وبلغ خبره المنصور فوجه له الباشا جودر
والقايد منصور النبيلي وجعل لهما باغلا ان يبادرا ان يأتيا به ليحكم بينهما
ويجعلهما عبرة فذهبا اليه فاشتغل الرغو في بينهما وان فعل بامحمد بن ابي محلي
ان اقتربا لتنبا اوفا وشملهم الفتنة وغضبوا عليه في حكاية كهويلة فاقر المنصور
به ان يسجن بمكناس فسجن بها ودخل المنصور لدار الملك من فاس الجديد وشكر
الله على ما اولاه من الظفر والنصر من غير اراقة دم وتصدق في ذلك
بأموال عظيمة **ثم ان امر الشيخ الخيزواني**
بعث الاعيان من اهل مراكش الذين قدموا مع المنصور يترضيهم بيشفعوا
لولدهما عند ابيه ويعتذروا عنه بما بدا في خاطره عليه فتشفعوا
للمنصور وقالوا له ان الشيخ صلحت حاله وتاب مما كان وعاد عليه
وانه ندم على ما فرط فقال لهم المنصور اذهبوا لمكناس واخبروا امره
كذا فيها وانظروا امله ورجع عمر الى بلكبيله وتنقل من ايضا ليله فلما اتوه وجدوه
اخبث مما تركوه وتحققوا منه من القبائح ما يقطع عنه ومعه الاحسان
فلما جلسوا معه في محبسه ثم بسطهم ابن عمر اصحاب في ذلك الله وقرفاء الشرو
من اهل غيبة ولم يلمهم الا انسحى ابن عمر تلك العصابة ووراء امهم اهل الامطابة
وكان من الاعيان الذين وجههم المنصور لذلك اولاد اخي
اولاد سيدي ابي عمرو القسطلي واولاد سيدي عبد الله بن ساسي واولاد سيدي
يحيى بن بكار وغيرهم فلما رجعوا للمنصور من مكناس سالهم عن الخبر فنابو
تعظيمهم وقال وجدناه تائبا نادما على ما صدر منه **وتكلم بعض**
اولاد سيدي عبد الله بن ساسي فقال له والله
ما ذا امتنا في حق الله ولا واجبنا ان صير بالخديعة او ولدي لا فاذلك ا ن
توقف على اثنين ولا تحكمه على عيال الله سبحانه فانا وجدناه خبيث الهوى

فيه

٨٦

فيه الشر ولم يزد بتوبه على ما تركه من سلك اخلاقه ووقع فيه كلام لعمر **فقال**
لهم المنصور اتتوسطون في امر هذا الولد ولم يجبه احد الا الباشا عبد العزيز بن سعيد
الوزكيتي فانه قال له الراي ان تقتله فانه لا يصلح امره ولا يرجى صلاحه وقد
رأيت ما صنع فلم يعجب المنصور ذلك وقال كيف اقتل ولدي وبعث بالتضييق
على الشيخ والزيادة عليه وخرج المنصور من حينه في ظهر الزاوية قاصدا
مراكش واستخلف زيدان على فاس **ومن هنا الى كتب المنصور**
رسالة لولده ابي فارس خليفته على مراكش يعلمه بما وقع في ذلك
ونصها الى ولدنا ابي جلالة رضي الله عنكم الامير المعظم
ابن محمد الا سمو الذي يسمو بابي فارس وصل الله كرمه وسنى بمنه امالكم
سلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته **وبعد**
فكتابنا هذا اليكم اسعدكم الله من محلتنا السعيدة بالمستقر وكان قد اذنا
جئنا به لا قرار وحكم به النعال العثار وتجديه من عجايب الدهر الليل والنهار
وصرفه احيكم الذي تأتينا الربعان منها الدهر بقلمه وكلماتنا على ما
منه ابن ان الله بصنعه الجميل كفانا اياه ثم شفانا من الله الحمد ابيا
والشكر وافيا **وليشرح ذلك السعد كم الله** ووفاكم
المسواد الخالي كان انتهى في معالجة امره الذي تجاوزنا في وجوه الخير اليه حد
الاستقصاء وانتينا في محاولة استصلاحه من احوال السياسة المرجوة
النفع بالاقصى الى ما كنا سوغناه من ولاية سجلماسة بخراجها وخراج درعة
وأجنابه التوجه اليها بجملته وجمعه رجاء ان تشكر بالا تتباعد اليها انعقته
وتهذيب نفسه ويتوب اليه قلبه الغائب ويراجعه انسه بالخير اولا التوجه
اليها ونهض من محله عن فاس مورياً شان الغرور عليهما ثم بدا له على الجيش
بكر راجعا لفاس ووجهنا ان يكون قد ذهب عنه النفار والشماس وتاب لنفسه
الشكور واستانس فلذلك في رجوعه فرانظروا على خلاف ما كنا واقبل ا

وانهم قالوا كان الأمر وكان قائله منهم نزولنا بالزاوية ويقال ان اقلاع ليلة الخميس خا
مس عشر شعبان تاريخه اقلاعا ازعجهم من الزعر من بيرا وهاربة التبع الى ان حل
بزاوية بشتة وهيرا فتلاحق بهم من جيش رماته الا بكشارية ومعه فقه سماس
البعض وكل طابع الشرق والمجموع عظيم وعدد من كثرته في بين بنادق هينيد
بتجميع جهود رباشر من غير اعتبار في خمسمائة من باتجية **و** معه القايد مومن
ابن علوط في خمسمائة فارس ثم اردفناه ببعوث اخرى تعاليت اليه وتتالت
عليه تناه الالعين ورماه **بب** زيدان رحمه الله فاحرفت به من كل
الجهات وهلكوا عليه انجاج والشيات **وقوع قعد الى خلاء**
منه الا هحوال التي تحمل فعاجلة نعرته بالتشكيل وما حيش من احواله با
بالتلبيير بارتسال الجرا بعير تجاهه لمواشيه تهنيه وعمود تونسه وتغرب اقا
نيه زهاداه بنوب اليه ثايب امشصار وتحمله خاكم اقلاع عما هو عليه
وافكار وفي نادا الشرو المتلاحقين به من جيشه يغرهم والشرفا واوقد تبوا
له عفوا ونعارا بن ممهم جبيني عساكر الخطعة بالاته من فعا بهم دونه
وذوق ينزل العربعير حزم عظيم تجمعت الشارعين وفتن الاهل الى ان العصم
واكمه الله تعالى فيه الحق على فيه الباطل وقضى بما جرى به القدر المحتوم
الحاكم العادل **وكتبنا الذكم وفو حضار في الغبضة**
كما اسبو به القضاء والقدر واجين بكار الان حيتياله عليه بكناسة وكان
مشيئة الله في ذلك من آخر اخرى العجايب والعم وعم قبلكم اشعر كم
الله تشع واصنع اهله في هذه الزاملية التي جيئت بها الايام وذهبت
والعاجلة التي اعتركت واد لمت وتغيرت واما صنع الله في ذا الى مومض
العاقبة هو قدره وتشكيره بمنوا الجرير بجميل هو كل انسار وشكر **ونعله**
الله تعالى ان يجعلكم في حزب الكفاية وحا
زبا الوقاية حتى لا تساءوا بغريب فا مور ومعه

مغفور

مغفور وفي ليلة الثلاثاء موفي عشرين من جمادى الاولى عام احد عشر والف
ذكر الخبر عن وفاة المنصور وكيفيتها
قال صاحب الممتلية كنا نسمع ان السلطان المنصور اذا خرج
يوما كثر قاصد القرينة فاس فانه لا يرجع من اكثر وقد اعاد هذا الخبر في الناس
قبل نزوله بكار الا من كان له ثم لا ادري من اين للناس بذلك هل انهم الهموا
او قع على تلقوه من ارباب وكانه الا شبه والله اعلم **قال**
ومن هذا قاطعكم بعضهم ايضا الا كبر بعد الوقوع والنزول ان دخول رايات
ابي العباس المنصور في حياته للسودان واستيلائه على سلطانها انما سكنة
في دار امارته كالعرام تبكت باعما لما كان ذالك من امارات قرب خروج الامام
انعاكم الخير **وكذلك الوباء والمنتشر في هذه**
الاعوام وكثرة الهرج والغلاء في سائر البلاد حتى الان وبعضهم من امارات
خروجه فيما نسمع ونحو ذلك افاعل بذلك اولادنه فيما يقوله من لا علم عنده
بحقيقة الامر **ومثل هذه الاساطير** قد يعتقد
الغرير وليس الخبر كالمعاينة عند البصير ونعوذ بالله من افتراء باسكال
بقوله بعض الا خبار بين من الناس وقد ادهشن الان ضلال اختلاف الحلول به
احمد المنصور ولانه فانواهن كبلاهل الاعلام واعابرا لتمام واتميير مردود
وعلم الحقيقة مفقود والباب مسدود والمفتاح غير موجود انتهى
وكان ابتداء مرض المنصور وهلكه في كلمة الزاوية من
فحص ظاهر فاس الجديد يوم الاربعاء الحادي عشر من ربيع النبوي الحية
له عام اثني عشر والف بعد خامس محلته راجعا الى فاس الجديد ولزم
الفراش الى ليلة الاثنين الموالي لتاريخه فتوفي رحمه الله ودفن يوم
الاثنين عند صلاة العصر وكانت وفاته بالوباء **قال**
الشيخ سيدي عبد الله بن يعقوب السملالي في شرحه لجامع شاطبي بهرام

كان في المغرب وباء استطال من عام سبعة إلى عام ستة عشر وألف وعم سهل
المغرب وجبله حتى أفنى أكثر الناس ومات جمع من الأعيان وبه مات السلطان
أحمد المنصور عام اثني عشر وألف كما تقدم وعن هذا ذكره صاحب الفوائد
وغيره **وبه يعلم بطلان ما شاع على الألسنة**
أن المنصور سمه ولده زيدان ... مراقه الشبانية في باكورة أوائل
... وقطع عنه الأطباء إلى أن هلك وأن المنصور لما أحس بذلك
قال استعجلتها يا زيدان لا متعنا الله بها أو كلاما هذا معناه قالوا وسبب
ذلك أنه قتل لزيدان راية وأحرقه بالنار (?) في زمان سبع وعشر من معركة (?) لا أصل
له وهو كذب لأن المنصور ... بالوباء ولم يذكر أحد ممن يوثق به ثم الدليل
إنما شاع على الألسنة وأخذ به من العامة **ولما توفي المنصور**
دفن بعد صلاة العصر يوم الأحد ... ثم نقل إلى مراكش ودفن بها في قبور الأشراف
وقبره مشهور هنالك عليه بناء حافل **ومما نقش في رخامة على قبره**

هذا ضريح من غدت بدار العلا تفتخر ... أحمد منصور اللوى
لكل مجد مبتكر يا رحمة الله اشهدي بكل فخر تستمر
وباكر الروض بما أرضاه منهمر وكيف تراه هو
تذكر كرم العهد واقرأ تاريخ الوفاة مزدوج تعيين ذكر
مفخر صدودا عن مليك مقتدر

ورأيت في بعض التقييدات أن بعضهم رأى المنصور بعد وفاته في النوم فسأله
ما فعل الله بك فأجابه بهذين البيتين

ذكر

٨٨

ذكر الخبر عن تنازع السلطان المنصور على الملك وما وقع بينهم في ذلك

لما توفي المنصور وفرغ من دفنه اجتمع أعيان فاس وكبراؤهم
وأهل الحل والعقد فيها على بيعة ولده زيدان وقالوا إن المنصور خليفة في
حياته ومات في حجره وممن تصدر لذلك قاضي الجماعة بفاس أبو القاسم ابن
أبي النعيم والفقيه القاضي أبو الحسن بن عمران والأستاذ سيدي محمد الشاوي
والشيخ النظار أبو عبد الله محمد ابن قاسم القصار **ويحكى أن
القاضي المذكور قام في الناس خطيبا** وقال أما
بعد السلام عليكم فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مات اجتمع
الناس على أبي بكر رضي الله عنه ونحن مات مولانا أحمد وهذا ولده مولانا
زيدان أولى بالملك من إخوته فبايعه الحاضرون وكانت مبايعته يوم
الأربعاء السادس عشر من ربيع النبوي سنة اثني عشر وألف وكتب أهل
فاس بالمبايعة لأهل مراكش فامتنعوا منها وبايعوا أبا فارس وكثر في ذلك
القال والقيل حتى صارت فتنة من قبل فاس ومعهما انضم الحديث إذا
بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما وكانت بيعة أبي فارس بمراكش في يوم
الجمعة الموالي للتاريخ المذكور وكان زيدان لما توفي أبوه كتم موته وبعث
من يقبض له أخاه الشيخ المسجون بمكناس فمنعهم من ذلك الباشا جودر
وحمل الشيخ موثقا إلى مراكش ودفعه للخليفة أبي فارس وهو شقيقه فلم
يزل مسجونا عنده هلك كذا ذكر بعضهم **وقال** في زهرة الشماريخ
أن زيدان لما اشتغل بدفن والده حمل القائد أحمد بن منصور العلج
بنصب المحلة وخرج قاصدا مراكش فمر على مكناسة وسرح الشيخ
من اعتقاله وذهب به إلى أبي فارس فسجنه فلم يزل مسجونا عنده إلى أن بعث
الباشا جودر لقتال زيدان بفاس فلما بلغ جودر وأخاه الزبيع سرح

أولاد

إشارة

العلامة

ابن

الشيخ من بيعته وقال له ولي صاحبه جدوا السير الليلة كي تصبحوا المحلة جيدون
باب الربيع وكان ابو فارس جهز جيشا لقتال زيدان وامر عليه ولده
عبد الملك مع الباشا جودر وقيل القائد زيدان رجل شجاع عالم بمكايد الحرب
وخبير بعيد ولذلك لا يقدر على قتاله ومع ذلك فلو ثبت اخاه الشيخ كان اوجه
بالامر فان اهل الغرب يميلون له ولا يقاتلونه لانه كان الخليفة عندهم
فالحاصل ان ابا فارس من ضعاف الهمم وتعاطى من رفعه على التصيد والطاعة وجمع
شمل العصاة وبعثه في ستمائة من جيش الجيش فقد الذي كان المنصور جمعهم
ليبعث بهم الى كاغو امرهما لاخذ السودان فلما تحقق الشيخ بمحلته عبد الملك وعلم
الناس عموا اليه واكثروا الفرح وكانت الملاقاة بينه وبين زيدان
في موضع يقال له حجر الذي يقع على الريع فانهزم زيدان وخذله اكثر جيشه
ورجعوا مع الشيخ وفر زيدان منقلبا الى فاس وكان ابو فارس
اوصى اصحابه بالقبض على الشيخ ان وقعت الهزيمة على زيدان فلما وقعت
الهزيمة اتبع الشيخ من تبعه من اصحاب المغرب فلم يقدر احد من اصحاب ابي
فارس له على شيء ثم توجه الشيخ الى فاس
متبعا اثر زيدان فلما بلغ زيدان فاسا اوصى اهلها في الحصار فامتنعوا عليه
وهم وانتقض الشيخ واعلنوا ببيعته وان لا ذمار له فخرج زيدان عنهم بنفسه
واتفق الاتباعه جيش عظيم من اصحاب ابي فارس فلم يقدروا له على شيء
وذهب زيدان الى تلمسان فاقام بها مدة ثم رجع لسجلماسة ثم دخل رجعة
ثم انصرف لسوس ودخل الشيخ فاسا وتلقاه
اهلها لذلك كرها او ساتا واكثروا الفرح بمعرفة من عمله ببيعته واستبشروا
بالملك واقر جيش اهل مراكش يتقلبوا الى بلادهم فذهبوا وكان
الشيخ لما تم له غرضه من الاستيلاء بالخلافة
والاتفاق بالسلطنة دعى بالشيخ نحو البعض ... فاخذ الجماعة

عبد الملك

89

ابي القاسم ابن ابي النعيم وفقيهها ابي عبد الله محمد بن قاسم القصار فلما قدما
على مبايعة زيدان ووقعا بما فيه في اخيه ابي فارس اولا ابان قالا ولا تغترون
في الاولى عليا اولا حد الحرابي وكان ابو فارس والشيخ ولدي امة اسمها الجوهر
ويقال الجوهر وزيدان امه حرة من الشبانات وعزم ان يكتبهما ثم بعث
بهما مع جيش من مراكش الى اخيه ابي فارس لينظر فيهما برايه فاما
الشيخ القصار فتوفي رحمه الله على مقربة من مراكش فدفن بقبة القاضي
عياض وذلك في اوائل سنة اثني عشر والف واما القاضي
ابو القاسم فاجتمع بابي فارس فصفح عنه وقبل عذره ورده مكرما الى فاس
ما كان ذكر بعضهم وقيل ان الذي بعث للشيخ
القصار هو زيدان على وجه الفصل هذا والله اعلم ثم
ان الشيخ اشتغل بالفواد من اصحاب ابيه
فبين بذخائرهم واستصفى اموالهم وعذب من اخفى شيئا من ذلك ودعا
بالتجار فاستسلف منهم واكثر من الظلم وسوء السيرة وخبث السريرة
ما هو شهير به ثم انه جهز جيشا لقتال اخيه ابي فارس بمراكش وكان
عدد الجيش نحو الثمانية الاف وامر عليه ولده عبد الله فسار بجيوشه
... ووجد ابا فارس بمحلته في موضع يقال له الكليم ويقال في مرس الرماد
فوقعت الهزيمة على ابي فارس وقتل نحو الماية من اصحابه ونهبت محلته
وفر هو بنفسه الى مسفيوة ودخل عبد الله بن الشيخ
مراكش فاباح نهبها لجيشه فنهبت ديارها واستبيحت محارمها واشتغل
هو بالفساد ومن يشابه ابيه في الظلم حتى حكي انه زنى بجواري الجد المنصور
واستمتع بحظياته واكل رمضان وشرب الخمر فيه وعكف على اللذات وانفق
جلباب الحياء عن وجهه وكان ذلك كله في العشرين من شعبان سنة
خمسة عشر والف ثم ان القوم ... بمراكش ...

ما يليها فبلغ فحص تلمسان ولم يزل فيهما بها وكان بعث لثغر الجزائر يستمد
منهم ويستعين بهم على اخوته فابطأوا عليه وكان عليه انتقادهم فلما ييس منهم
توجه الى بجاية فدخلها من غير قتال ولا محاربة ثم انتقل منها الى درعة ومنها
الى السوس كما سلف وكتب اليه اهل مراكش بنصح زيدان وتخريب اعمال مراكش مع
زيدان وقتلوا قايد الشيخ عبد الله اعراص وخرج عبد الله بجيوشه فجا
مع بعض اهل مراكش بين اشوار [illegible] فقتل في موضع يعرف بجنان بكار
من اصحاب عبد الله نحو الخمسة الاف وخمسمائة وانهزم زيدان بعد قتال فتخلف
عن عبد الله من جيوشه بعد قتال من وجوه من جيش اهل فاس بمراكش ثم
ان عبد الله ذهب منهزما ولما دخل على ابيه الشيخ وفلول العساكر منهزمة
المجموع [illegible] ذالك واخذ به [illegible] عسكرا اخر وتجهيز جمعا
ثانيا فلم يجد لذالك كافة [illegible] من الاموال وقلة ذخايره واستحيا
ان يتسلف من التجار لانه كان تسلف منهم فلم يرد لهم ما تسلف منهم فلما
ذالك قلب لغرادة كلمة [illegible] وعكس لهم القضية فنهب اموالهم واستلب
ذخايرهم وصار يبيع فيها على التجار فجمع في ذالك اموالا مع [illegible] وبرز فيها
على الجيش وقدم ابنه عبد الله للمسير الى مراكش وكان اهل فاس قد غضبوا
لمن قتل منهم بمراكش [illegible] حتى اربع منهم فخرج مع
عبد الله من غير اخذ مرتب ولا جامكية فخرج عبد الله بجموع عديدة
وجيوش حافلة ولما بلغ خبره زيدان بعث البا
شا مصطفى في جيوش كثيرة فالتقى الجمعان بموضع يقال له تعلقلت
على [illegible] سلا فهزم مصطفى وقتل من جيش مراكش نحو التسعة الاف
وبعث الشيخ جماعة من علوج [illegible] لمنع المعركة حتى احصوا القتلى ثم توجه عبد الله
الى مراكش فخرج له اهلها في سنة [illegible] فالتقى الجمعان ايضا

ان باتيهم ولو وصل فيتوجه اليهم [illegible]
عليهم [illegible] بجيش عبد الله الشيخ
[illegible] اهل مراكش بنصر زيدان

نهاية ما قتل بجيش عبد الله
انا لله وانا اليه راجعون

قف
نهاية ما قتل ايضا
من جيش اهل مراكش

9

الشلقان

بموضع يقال له راس العين [illegible] اهل مراكش وقد دخل عبد الله مراكش وفر زيدان
منها الى المعاقل المنيعة والجبال الشامخة ولما دخل
عبد الله مراكش فعل في المدينة اعظم مما فعله الاولى وصار [illegible]
من اهل مراكش الى جبل جليز واجتمع هنالك منهم عصابة من اهل الخير
والحمية فاجتمع رايهم على ان يدفعوا الخلافة لمحمد بن عبد المومن بن الشيخ
وكان رجلا [illegible] واجتمع اليه اهل مراكش هنالك فخرج
عبد الله بن الشيخ [illegible] بجبل جليز واخذ [illegible] المذكور فلما
التقى الجمعان [illegible] عبد الله وولوا [illegible] الادبار فخرج [illegible] من مراكش
منهزما واستولى محمد بن عبد المومن على المدينة [illegible]
اهل المغرب من جيش عبد الله واعطى لهم الرواتب فلم يعجب ذالك اهل مراكش
ونقموا عليه استبداده عليهم وكانوا [illegible] ونصحوا وكتبوا اسرا
الى زيدان [illegible] على المدينة فخرج محمد بن عبد المومن الى لقائه
فهزم ابن عبد المومن ودخل زيدان مراكش [illegible] البيعة المتخلفة
عن عبد الله بن الشيخ وذكر في شرح زهرة الشماريخ ان هذا
بجبل جليز اسمه ابو حسون من اولاد الشلقان [illegible]
قال وكان بعث مصطفى وخروجه من مراكش في شعبان عام
ستة عشر والف قال وكانت الهزيمة على عبد الله سادس شوال من السنة
فخرج هاربا وترك محلته وانقاله وعدته وجل الجيش واخذ على [illegible]
تامسنا واقتحم اصحابه في [illegible] حتى كان قدر الغنم عندهم [illegible]
اوقية والخبزة من نصف [illegible]
عليه من الخيم والعود ويسيور البنادق وكان [illegible] في الرابع
والعشرين لشوال من السنة ثم [illegible] من السنة
حرك عبد الله قاصدا زيدان فالتقى الجمعان

بوادي بكرا انا جموع عمه عبد الله وفر في رهط قليل وتركوا محلته وبقي زيدان في الناس
وكان ذلك في شوال سنة سبع عشرة **ثم** بعث زيدان مصطفى لفاس
فبلغها ونزل خيمه بظهر الزاوية ووجد أصحاب الشيخ زروا عاكفين في فصل
المصطفى في أصحابه ثم ارتحل مصطفى بينهم في العسكر على الشيخ وأبي فارس
وعبد الله بن الشيخ وكانوا بالغرم الكبير فلما بلغ الشيخ خبره ركب إليه هو
إلى أبيه مع قواده وولاته ووالي الرتبة فقبض مصطفى من وجد بالغرم من أصحابه
جميعا وفر عبد الله وأبو فارس من الغرم فنزلا بموضع يقال له سطح بني وارثين
فبلغ خبرهما زيدان فقدم وخرج إليهما بموضع يقال له أزوران فبلغ الجيش
عنهما إلى زيدان وهرب عبد الله وأبو فارس إلى دار ابن مشعل فلم يزالا بهما
إلى أن رحل زيدان لمراكش بسبب ما بلغه من ثورة بعض الغيلة وهنالك وقع ما
يخرج مصطفى لقتالهما فعثر به فرسه وقتل وأخذت محلته بأسرها ومات
ما لا يحصى من الناس ووقع النهب حتى انتهبت تحف من البيع التي تجلب نحو
سنة ١٠٢٠ ودخل عبد الله فاس مع عمه أبي فارس وكل ذلك كله سابع
ربيع الثاني عام ثمانية عشر وألف

ذكر الخبر عن مقتل أبي فارس بن السلطان أحمد المنصور وبقية أخباره

تقدم أن أمه أم ولد اسمها الجوهر ويقال الخيزران واسمه عبد الله وكنيته
أبو فارس ويلقب من ألقاب السلطانية الواثق بالله وكان عظيم البطن
أكول مصابا بسر الجن ويقال إنه لذلك ابتنى المسجد الجامع بجوار ضريح
الشيخ العارف بالله أبي العباس السبتي وشيد بناءه وشحن الخزانة
التي بقبلة الجامع المذكور بنفائس الدفاتر ومنتخب الكتب كل ذلك رجاء
أن تعود عليه بركة ذلك الولي بالبرء من تلك العلة وكان أبو فارس لما
هزمه زيدان وفر إلى السوس فأقام به عند حاجب أبيه عبد العزيز بن

سعيد

٩١

سعيد **ثم لما بلغ زيدان في طلبه مراكش خرج** الشيخ
فلما فر مع ابنه عبد الله بن الشيخ إلى أن قتل عبد الله مصطفى ودخل فاس
واستولى عليها كما ذكرناه فبلغ ذلك أبا فارس وأمه فؤاد الشرافة على قتل عبد
الله وتولية عمه أبي فارس فبلغ ذلك عبد الله فدخل على عمه أبي فارس ليلا مع
حاجبه فوجده على سجادته وجواريه حوله فأخرجهن وأمر بعمه
فخنق وهو يتخبط في جلده إلى أن مات **وذلك في جمادى الأولى**
سنة ثمان عشرة وألف فأسف الناس عليه لأنه كان بريئا من كثير مما
نقم عليه ويرده عن المناكر **ومما في المستغني أبياتا**
من إنشاء الكاتب عبد القادر بن إبراهيم بن القاسم العيشاني في ... تقع
ذلك على فجاج الواثق بالله مولاي أبي فارس المذكور وهي

أتيه وأزري بكل فجاج ... يزري على حلية اللابس
إذا كنت يوم الوغى مجملا ... بعضب ذكي شعلة القابس
على عاتق الملك المرتضى ... سليل المنصور أبي فارس

وكان أبو فارس خليفة أبيه على مراكش لما ذهب لفاس وقد وقفت
على رسالة كتب بها إليه المنصور من فاس مجيبا له عما كتب به إليه في
شأن الوباء لما كان بمراكش حل بها منه أولا **ونصها**

مَوَارِدَهُمْ

من عبد الله المجاهد في سبيله الإمام الخليفة المنصور بالله أمير المؤمنين
ابن أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين الشريف الحسني أيده الله بعزيز نصره وأوامر
ظهر ونفع بمساكره وأشهر بينه وقضاء رعيه إلى ولدنا الأجل الأفضل
الأكمل الأعز الأبر الأسعد الأمجد الأرضى أبي فارس وصل الله
عنايتكم ووالى بمنه رعايتكم سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته **أما**
بعد فكتبنا هذا إليكم من حضرتنا العلية المرينة البيضاء حاطها
الله عن الخير والعافية ونعم الله تعالى المتوالية لله الحمد وله المنة

وانفذ انصار بغلي مغامنا كتابكم اللام عشية يوم الثلثاء وكتبنا لكم صبيحة
يوم الاربعاء ولولا انه وصل بعد الزوال عند ما كنا نريد كتب الجواب على
ساعته ووصوله في اليوم بنفسه حين صامنا على الحباح وبوصوله اليكم في الحين
والى هذا اسعدكم الله اما اتباع زوربه فمن كل شيء ممنوع وحكم اهل اللام
لكن شيء من علامات الوباء ولوا فل الخليل حتى بشخص واحد ويبقى في الغيبة
وصيعنا مسعود والفايد محمد بن موسى بن ابي بكر وتم في ما يقوم تتفوق بها
من رافقكم مع اصحاب السفينة وتتوكلوا على الله وتخرجوا بسلامة حتى
لا تعملوا العملنا في ابن فتصار على الزميلة والتغلب بما بلا لا تزيدوا الخ ا
خرجتم على الطعام اكثر من يومين ثم اكتبوا المراحل التي ان
تنزلوا بها ولا تدخلوا بها حتى هنا وعافية ان شاء الله وهنا في
يكون لقاء بكم لقاء خير وسعادة ان شاء الله ثم لا تغفلوا عن
استعمال الترياق اسعدكم الله فلزموه واذا استشعرتم منه حرارة وتخو
فتموهما فاستعملوا الوضع من الوزن المعروف منه ولا تهملوا استعماله
واما ولدنا فاحفظه الله لما كان من اهل السفينة
بحيث يمنعه الحال من الحد اوقه على الترياق فما هي الشربة المعروفة
النافعة لزالها فتركنا هنا كثيرة منها عند التونسي فيكم ويستعملها
هو والابناء الصغار المحفوظون بالله حتى اذا احس برد الحمى من
اجلها تعطوه الترياق الحر والمرتب على قدر الحاجة فيعود ايضا والله
تعالى بفضله وحرمة صفوة خلقه خير البشر محمد صلى الله عليه وسلم
يتولى حمايتكم جميعا ويجعلكم من جميل كلاءته ورعايته حصنا منيعا
وان يعافي البلاد والعباد بمنه وفضله و السلعة اسعدكم الله تبادرو
بارسالها الينا وكذلك الفايد مسعود النبيلي تعرفون بارساله الحين
امرناه بالمقام بمن معه من القواد سوس وكريم تخليشت اعلم

اسعدكم الله انه قافلة ارضانا ان امرها يتم وقبل عقلنا الكريم ان اهل دوي
مصر وبسببها ولكن هذا سبب يكون حجة عليهم ان شاء الله وانتم قفا ولون
اسعدكم الله على سلوك الناس على ما هي بينا وعلى العادة وان تجتهدوا ا
في ان تكونوا ان شاء الله سابلة ولو لم يبلغ اعني امنا تخليشت يسكت عنهم
حتى نصل بخير وعافية لتلك البلاد ان شاء الله ومسئلة
ايس الخير كتب لكم من خندق الواحد على الزرع وانتم فاعندهم ما يكفيهم
منه سوى شهر فلقد كنا كتبنا لكم اسعدكم الله على حمل الزرع اليهم على
البحر فان كان قد تيسر ذلك فيكون قد بلغ اليهم وان لم يكن ذلك قد تيسر
فلتامروا ايس معه بالتريع على الزرع ولو بالشراء والرفق عندهم قد
وتشروا عليه في امره و خالسنا الفايد احمد بن محمد الرزي استاذنكم على
الخروج عند الكم المرض من الحربية فلذا اتفقنا حتى فلا عليه من الخروج
ويلتحق بامثال تلكم المحلة تحت القواد رويته في الغيبة ابن ند لس
مع قايدهم ومسئلة مومن بن قنصو ومع هكسيمة الذي كتب
اسعدكم الله ان مومن قد ثبتنا قابر صنات بسبب مرض الم به حتى جاء به
شاوش وان اخاه الكمي المسعود بعث اليه يلتقي معه بنا مطلوحة
وعلى بركات الله والخاتم نصيحة وهذا موجبه والله يصلحهم وعا
بيكم والسلام وفي يوم الاربعاء رابع عشر ربيع المعظم من عام احد
عشر والف عرفنا الله خيره وبركته وبعد ان كتبنا
له هذا بلغنا كتابكم ونحن نجيبكم على ما تحتاجون الجواب عنه والبراءة التي
تحملتم من سوس من عند الحاكم او قولكم خالكم او غيره لا اتم ولم
تدخلوا الا بل تعطي لكاتبكم هو يتولى قراءتها ويعرفكم بمضمنها ولا اجل
ان الكاتب يدخل بمجلسكم وتبلا بس فقا مكم حتى موا الا بعد ها نعيع
وتنسخ حتى تيبس وحينئذ يقراها ويعرفكم بمضمنها اذ ليس فيها تيكم

الى

لا يعجمها

يوجب

امرنا

من سوس والله سبحانه اعلم ما يجب الكتمان عن مثل كتابكم وفد وصلنا كتاب
ولدنا الكاتب احمد بن محمد الصغير وصح عندنا من مجموع كلامه فيما ذكرتم عنه من انقطاع
الوباء بحيث يحذر فيها الخروج من سوس والذي تامرونه به انكم تحذرونه
من الغرور وعليكم بالاكثار وان ذالك لا يرضينا منه ولكنه يروم الخروج من
موضع عيناه له من غير اذن فينا لا سيما مع غيبتنا عن البلاد وانه ان فعل
ذا الشيء لا محالة تشفع من لنه عندنا فانه لا يعود ابدا لما ابى ان يتعاطى
المرض بتلك الناحية ولا عليه في الخروج والتنقل في البلاد يلتحق بجلة
اصحابه الذين يحضرون النواحي وامّا ما ذكرتم عن محمد بن عبد الرحمن
الوجدي فقد وصلنا الهدية التي وجه لكم وتصفحناها ورايناه انه جل ما
يطلبه منا لا يكون مع غيبتنا والذي نامركم به في مسئلته انكم تحاولون في
رده لموضعه فانه بذالك الموضع اليومي اخيه بكثير وكل ما يمكنكم من
اغراضه المسطرة في بطاقته ان تقضوه فاقضوه له وما لا يمكن يجدونه به
عندنا فيما بعد ان شاء الله وامّا اولاد احمد بن
الحسن الذي عيناه بجباية درعة وذكرتم انه غير لائق بها وانكم استمعتم
عن تلك العمالة فلا شك انه كما ذكرتم ولكن انما وقع الاختيار عليه
لامرين الاول الزوق لانه بالعين يخشى ان شاء الله على قلتنا
الثاني ان خراج درعة سهل معلوم ولعله يكره هذه الولا
ية ويحب الجلوس بداره ويفرح من يتكلم فيه عندكم فإن كان من ذكر
لكم مثل مسعود او تادى فاقيموه وقد كنا اعتنا في جميع تكم انه جمع
مع زرع الغاصيم ماية رام وهذا الذي ذكرتم ما نعلم انا كتبنا لكم
عليه فهو انما كتبنا لكم على الزرع تحملونه في البحر بزوفة المحلة التي هنا
لكم يحضرون النواحي فان كان هذا هو فنحن اردناه للمحلة وان كان غيره مع هذا
بعضيته فان زرع الغاصيم انما يلزم اليهود والنصارى من يهود الغاصيم وفيما

ابيض

٩٣

فتشكونا

ايضا انما احتجتم به احمد بن محمد بن موسى بخبر فاسقه من الغنطرة وانكم عتبتموه
على عدم الجبادر و فد اشكل علينا الامر كونكم لم تعرفوا عنا با اسافه
هل هو من الغرم او من هذا الا صلاح الزمام فابعد بعرفنا التكور على بصيرته من
ذالك وفيما مسئلة او لا دكلحة بدرج واعلمهم اما من عندنا بسرا وعيهم هنى لا
يحجبون الينا مشاكير وولد ابراهيم بن العواد الى الان لم
يصل وذلك امانا الا سارى وهلوا امّا الدرقة التي ذكرتم عن الغيلة
العدوة لما عندكم صاحب حبسنا ثيابنا فوجه ليوسف العبدي حتى تكلمه ومن يحضر بها
من عنده وركبها في موضعها ولا تركب التي عندكم بانفسكما لا نفسكم واعلم
ان تركتنا عندا ولا بيد المعلمين اعني معلمين برشا ضعوا السلاقو ابنتنا العزيزة
كلامهم كل انما اننا وكلاهما وجبت من عوامر الدرقة اهمهم عليهم كي
يحزوا ذالك كلامنا ان شاء الله فانا فد امرنا بنسبه دراع تلك السلاقو هذا
والمراد ان يجد السلاقو فد فرغ منهم ان شاء الله وفصل الخيل مع الحمام وحرض
المعلمين على الجبادر بالشغل فيها وحاول ان تسعفوا تلك البلاد الذي يوالي
سور الفصبة من فصل الخيل والغبة التي فيها النجور كاملا ان شاء الله عند
قدومنا عليكم وهو سعار في الرخام وكبوسمه في تلك الجمعة اذا اسعفتم وما
تزال تعم فوقها زايد من الا شغال في الموضع المذكور واوصيكم
اعزكم الله ان تبعثوا اليه فرسا من مصر الصغير ولا تتركونهم يعطونه
الفصيل البلالي لتجمع وتزاد الهم بالذهر لمن يركبه في ذهابه واياته للمسى
دره واوصوا ان لا يركبه غيره ولا ينزل عن كتمه النهار كله واوصيكم
ايضا انه اذا كان المرض بتلك البلاد وخرجتم خروجكم وسلامتكم بجزاك الله
وقوته ان لا تتركوا وراءكم ابنتنا عمتكم والدة ولدنا العزيز بالله عبد الملك
حفظه الله وامر يوسف العبدي ان يخرج لكم من عنده صاحبة بيت التياث الف
الغزل المحتاج من الثريا والجديد الذي كان بقبة المشور وقد هاج على ايديكم

للزاد فاشتغلوا الى الماء فمر ما فضل الزاد واعجبه لعابرسم اهل ادراد وامر وصار التعطيه
تمرا في كل رابع من اليوم الذي ياكلونه فيه وهو افضل ما اكل منه والعبد الضعيف ابو
كل منه وهو صاحب السفينة اعطوه منه اعني مسعود بن مبارك والله سبحانه
يزيد علاكم ويتولى جميعكم انتم واولادكم وقد استودعناكم الله الذي لا تضيع
لديه الودايع وانتم في امان الله وحفظه والله سبحانه خليفتي عليكم انتم في
بيت الزهو وكلتا يديه يمين والسلام والان معاد عليكم ورحمة الله وبركاته
وسلم على ولدنا الان عزالدين زوج بنت عبد الملك وعلى ابنتنا الرضية
ميمونة الملك وغيرها في غاية الان شاء الله والتوحش لهما جمع الله الشمل بكم في خير عاجلا امين
بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى اله الطيبين والسلام

ذكر بقية الخبر عن السلطان الشيخ ابن المنصور وما وقع له من الفتنة

كان من خبر الشيخ ما اقتصصناه لك قبل وانه ذهب للعرايش
ومنها توجه للعدوة مستصرخا بالطاغية دمره الله فاشترط عليه ان يدفع اولاده
وحشمه رهنا ويعينه بالمال والرجال فلم يزل به الى ان
شرط عليه ان يخلي له العرايش من المسلمين ويملكها للنصارى فقبل الشيخ
ذلك والتزمه وخرج حتى نزل بحجر بادس وذلك في ذي الحجة عام ثمانية عشر
والف فاقام بها مدة ثم انتقل الى قصر عبد الكريم فاقام به مدة وراود قواده ووزراءه
ساعدوه ان يتفقوا معه في تمكين النصارى ليفي للطاغية بما وعده من
النصرة فامتنع الناس من اسعافه على ذلك ولم يوافقه على غرضه احد الا
قائد الجيش فانهم ساعدوه على ذلك فبعثه الشيخ لها وامره ان يخليها من
الاسلام ولا يدع بها احدا من المسلمين فذهب لها الجيش وكلف اهلها بذلك
فامتنعوا من الجلاء عنها فقتل منهم جماعة وخرج منها البعض يتعرى على ... وتبع
الوجه الصغار ومنهم من بكى ولما خرج منها المسلمون اقام بها الغابر الجرني

الى ان احتلها النصارى وذلك رابع رمضان تسعة عشر والف وكان
الشيخ لما خرج في حجر بادس ونزل بلاد الريف ذهب علماء فاس واعيانها
كالفقيه القاضي ابي القاسم بن ابي النعيم والشريف الوجيه ابي اسحاق ابراهيم
الصقلي الحسيني وغيرهم مما لا فاقة وقصدوه بالعدوة فلما بلغوه فرح بهم
وامر فبطال النصارى ان يفرحوا بانتقالهم اصحابا واظهر الفرح الى النصارى
الذين استنصر بهم فرحا بما شاهد من كثرة الاعداء واو ان الجبال ونزل
القبطان من السفينة للسلام على امير ... وقبل راسه فقبلها امر من الشيخ له وفا
لو الله اجمعون وجاز من اعلام ما وقع بالشيخ من الاهانة والمحنة وسلم هو
عليهم بنزع قلنسوته كعادة النصارى وانكر الناس على الاولاد بني الصعيان
فيامهم للكلام ومن يوا بعض الذل ... في رهوعهم لعامر تعرض لهم عمرا
الحيا بينه فسلبوهم واخذوا اما معهم وجردوا وامر ملابسهم جميعا ماعدا القاضي ابا
القاسم بن ابي النعيم والشريف الوجيه ابا اسحاق ابراهيم الصقلي الحسيني وغيرهم
مما لا فاقة وتنبيته بالعدوة فلما بلغوه فرح بهم وامر فبطال النصارى حتى
بانه عرف بزي القضاة فاحترموه ووقع في قلوب المسلمين من اهل فاس
من خبر بلاد العرايش امر عظيم واكثروا الى ان انسل اهل فكا رو فلم الشريف
الحسن احمد بن يسر الحسني ودار على مجالس العلم ونادى بالجهاد والخروج
لاغاثة المسلمين بالعرايش فانضاف له اقوام وعزموا على التوجه
لذلك فعصف في عضهم فايد من الغرور بالجديد ووصف وجوههم عنها
فصدوه في حكاية طويلة وكان الشيخ لما خاف
من الفضيحة وانكار العامة والخاصة عليه اعطاء بلاد الاسلام
للكفار احتال على ذلك وكتب سؤالا للعلماء بفاس وغيرها يذكر
لهم فيه انه لما دخل بلاد العدو الكافر واقتحمها كرها باولاده وحشمه منعه
النصارى من الخروج من بلادهم بعد ان دخلها حتى يعطيهم بلد العرايش

على هذه الفتوى

والنهم ما تركوه خرج بعيسه حتى ترك عندهم اولاده وهنا هتى يكتبهم فما ان
عدوه فما يجوز ان يفعل واولاده من ابن يبع باغ عاييا بما لهم ام لا **فاجابوه**
بان فداء المسلمين سيما اولاد امير المومنين سيما اولاد سيد النبيين
مولانا محمد صلى الله عليه وسلم من ابر القرب والكافر باغ عاييا بل من بلاد
الاسلام للعدو فجائز وانا اموا بفتوى على ذالك ووقع هذا الا استفتاء
بعد ان وقع ما وقع **و**ما اجاب من اجاب من العلماء عن ذالك انه هو فاعل
نفسه **و**فدى به جماعة من تلك الفتوى كان من سيدي محمد ابن احمد زين صاحب
الهدى الشيبية على المختصر **و**ابن الامام ابي العباس احمد المقري مؤلف نفح الطيب
فاختفيا مرة استتر الديهما حتى صدرت الفتوى من غيرهما **و**بسبب هذه
الفتوى ايضا صب جماعة من علماء فاس للبوادي وكان الامام سيدي الحسن الزياتي
شارح الجمل والامام الحافظ ابي العباس احمد بن يوسف الفاسي وغيرهما
ثم ان الشيخ نزل بالعجم واجتمعت عليه امة من اهل
الغارة والعساكر في البلاد على عادته ووصل التطوان فاخذها
واخرج منها المقدم احمد النقسيس ولم يزل يجول في بلاد العجم الى ان
قام الاشياخ العجم على قتله لما راوا من اخلال عقيدته ورقة دينه
وقلة عملها ليلاد الاسلام وقتله المقدم ابو الليف غزوا في محلته بموضع
بقرب بعد العرس وبغير مطر وهما مكشوف العورة ايا ما حتى خرج جماعة
من قرابته وحملوه وهو بقبر فيه من قتل من الصحابة كالزبير وبعض اولاده
خارج تطوان التى ان حمل العباس الجديد يرفع الله درجتها بد **وكان**
قتله خامس رجب سنة النبي وعشرين ويقال
ان قتله كان باشارة ابي العباس احمد بن باشا من التازي احمد بن عبد الله المعروف
بابن محلي وانه كتب للمقدم النقسيس والمقدم ابي الليف يحضهما على قتله
وكان الشيخ عفا الله عنه له مشاركة

في العلم

فقتلوه وانتهبوا ماله وكان له مال معتبر ومن جملة ما نهب ... السلطان ... وسبعين ... جا ... عليه النصارى لما قتلوا ولد الشيخ

في العلم وتبرح في مبادي الطلب **اخذ** عن اشياخ الحضر فيهم وله شعر حسن
ومن شعره ما رايته بخط بعض ابن فاضل معزوا اليه لغز في قول ابن مالك في الالفية
ينصب تمييزا وهو

اسايل قراء الخلاصة كلهم عن امر غريب فر يقع اذا اقرا	
عن اسم على الحال بدل النصب ابن وهو تمييز فذا العجب الامر	

ومن كتابه الاحبيب المشار في المنقبة ابو العباس احمد بن محمد ابن الغاضي
اقع دبيس التغلبي وكان من اهل الاجادة والتبريز صناعة الانشاء
قال الشيخ سيدي العربي الفاسي في شرحه لدلائل الخيرات
عند قوله وكان لي جار نساخ ما نصه وقد كان الشيخ الكاتب الرئيس
ابو العباس احمد بن محمد الغرديس شيخ كتاب الانشا بحضرة فاس رحمه الله
استعار منه كتاب الانباء في شرح الاسماء للاقليشي ثم مرض مرض موته
وبعد موته وجدت الكتاب عند راسه ومعه كراريس منسوخة واخرى معدة
للنسخ فقال لي اني اذا وجدت واحدة كتبت منه ما قدرت عليه فاذا غلبني
ما بي امسكت فقلت له ولم تكلف نفسك بذالك فقال لي عصيت الله تعالى
بنحو الاربعين عاما بما لا احصيه فرجوت ان يكون ما اعانيه على هذه
الحالة من نسخ هذا الكتاب خاتمة لعملي بها وكفارة لذالك فكمل الله
فضله وام الكتاب **وتوفي** رحمه الله من مرضه ذا الجمع في
كالربيع عام تسعة عشر الجواب عشرين والف وعلى كل حال فالنسخ
من الحروف المحمة انتهى **ولله يقول الشاعر**

تمتعت يا غرديس والدهر وافر وانت بفاس وافر حبور واجر	
لتسعد راحت خير العشر ما عقابا فوم عند فوم فوابر	
ذكر الخبر عن ولي الله العالم الفقيه احمد	
ابن عبد الله المعروف بابن محلي	

اوعام

فصل في كتاب بعض اهلينا الخريبي في قطع بلغوم العبيدية التي
كانت ولادته في عام ستة وسبعين وتسعمائة بسجلماسة والذي تلقيته من
ابي وكافة عمومتي ان اولاد ابن ابي محلي من ذرية السيد العباس بن عبد
المطلب رضي الله عنه وحكى لي ابي ان بعض فقراء (العباس)
المنصور ذكر له او بيده كتابا في الانساب نص فيه على ذلك وقد
لقيت كما لبائه اتهم بالكذب كما قد ابرئه من الغلط اذكر لي انه كان
بيده كتاب في الانساب فغلط في ان قبيلتنا اولاد ابن ابي محلي منسوبة فيه
الى عبد الله بن جعفر وانهم خرجوا من مكناسة لسجلماسة بقصد
تعليم الناس الدين والعلم وانهم اخوة بناحية تلمسان يقال لهم
مكناسة فسالته الكتاب فقال انه احترق في منزله وقال كذبته ولا كن
زعما قبحا عليه من الغلط في عبد الله بن جعفر في جمع المنصور من العبا
سيين وقد قال لي استاذي وهو ابو العباس سيدي احمد بن ابي القاسم الصو
معي التادلي وقد رايت كما لعله مختص الزولات بن السمعاني عام واحد
وثمانين بالكشف قد ذكر فيه اولاد ابي محلي وجعلهم من مغراوة واما
المتوفقة فان وقد يقال لكن الجميع لا في مغراوة قالوا الملثمين فيهم
قبيلة وفيهم من لمطة وفيهم العرب العاربة ابي الفرعية قال وانا اعرفهم
ابي الاشم المكنى بابي محلي بفتح الميم والحاء وكسر اللام المشددة بغير ميم
بالمحلية ساكنه مع كبر شهرته لا علم لي الا بسبب تكنيته بذلك ولا
بتفاصيل احواله وغير ذلك كله بحث الحديث كما اثبتنا بيد كاتب النسابة
وفقيه الشيخ التادلي رحمه الله قال وفي هذا الفضاء اشتهر نسبنا في بلدنا
بتعرف باولاد الفقيه ولم تزل بقية العلم في دورنا وخصوصا دار ابي من
اخوتي وبنيه فلما نشات في حجر والدي ابن المجموعة في تعليمي وقد رايت
ابي وهو عامري ولها من اولياء الله تعالى اخر شيوخ التربية وهو

سيدي عبد الله بن علي بن طاهر مما قرا علي من لبس وارجوا الله تعالى رضى ثنا
وبلغنا بالعلم والزهد وحسن التعبير وكان خروجي لطلب العلم بفاس
في حدود ستة وثمانين وتسعمائة وانا ابن ميز قراهو او بالغ لا همة
لي الا في العلم ولا شغل الا بالحفظ والفهم فاقمت بفاس كذا الى نحو
ستة او خمسة الى ان جاء النصارى لقراء العرائش كما ذكرنا قبل
فدهش الناس واستشرت من الطلبة اخا صالحا فركبني على الخروج للبا
دية حتى يتجلى ثم اراه فخرجت الى البادية العسل والسمن وهو حم
يحرك بجبلها فيها الرسالة وقد كنت قد حصلت بفاس لا نحو ولا نز
عن موبيده الا ذلوا ثم رجعت لفاس بعد ان زال الدهش بولاية المنصور
وهزيمة النصارى والنحو منعته وفي الفقه عنيت احاوله جميعا وافرقه
ليقظا وقد كنت في الخرجة الاولى في البادية زرت فيه
الشيخ المستجاب عنده الدعاء سيدي ابو تعيب فطلبت الله عنده ان اكون
من اهل سعيد في العلم العلوم باشهاد توبة فتقبلها قيادا ان على حول
الا وانا بها وقف الشيخ سيدي محمد بن مبارك الزعري رحمه الله عن فصول الكوفي
اتخذ احد مولعا بالعلم وكربو الفقه لا يحفظ بال الا الفقه المعتمد حسبنا
في فقه الوقت خلال الضلال وكنت اشد الناس حذرا منهما الى ان كشف
السر وانحسم مرادي تم ما رايت الولي وعنيت وصاحبت شيخي الذي
نوره هو من فضل الله لا يكتنف ولولا مراقبته باذن الله لظللت
وكنت بعد ولو به وهو الذي افتح الله به من بحر سوء المضل وقد
لنفع به عليه بهمته في اصحاب الصالحين ابو عبد الله محمد
ابن مبارك الزعري [illegible] الجزائري السبيل وفي الغرر وعماشه الجبل وهو رضي
الله عنه من قبيلة العرب يقال لهم زعير بصيغة التصغير والا
والنسب اليه على التكبير وقد سمعت من شيخنا

مسن في الفتنة المذكورة إذ صبت تسميته جروه من عز إذ كان يجري على أهل وجرس معاقبو البلاد الأول في زعم زعم من كلمة فشاع بين الناس بلو فرحو والكلام وحو العمري ويكسر الزاي كما أن زعم بفتح أوله وقلنا ظهر بها العبيد بما في غلب على البيئة الفاقة البوم تضعف زعم كعبه **قال الفقيه الشيخ** المذكور وكان اسمه زعر فيما قال ثم غلب لقبه على اسمه وزعم مع ذلك أنه أخو بربوش واشبان تنسب لكل واحد منهم حتى أن قبايل فشتى من عرب سوس بالمغرب فيه فصل انتهى **قال الفقيه في صحبة شيخ** المذكور نحوا من ثمانية عشر عاما وما فارقته بإذنه ما عن أمره أنه هو الذي وجهني لبلد سجلماسة من غير اختيار وقابل في صلاحه فيما ثم ناولني عصا وبرنسه وفعله من غير طلب منه لشيء ومن ذلك وجعل في رأسه قلنسوة كانت فيه قد بقي اليسير عند الوداع فلما استوطنت بلد درعة أدخله زرته منها نحوا من أحد وعشرين مرة **وقد** أخبره منها بعد مغفل من الحجة وولي الله في حياته السعيد وذلك على الشيخ بعد الدعاء بقوله بلا إله الله اكتم ما بلا زقبا وله بأقبال الخلق كما ترى وقد طاح عنه منا صبحة عظيمة وما كانت من عادته وما رأيت منه مثلما منه عبيده انتهى **ولما توفي** أبو الله بقية نحوا من ثلاث سنين على كلامه ثم تغلب المغربين لها بعد المذكور ببلاد الحج على ما اشتهر وله الشكر فيما أفرى **فسمع بقية الشياخة** كل المجذوب وسعي أخرتا بالمشرق وسايل السمهودي وغيرهم ممن يظهر لنا تتبعه **قال** ثم كملت العايد بعد المعقل من الحج فلما أكملت شهر رجب على واحد وانتهى بعد ذلك اجتمعت بأبي العز بن بوجعفر المعروف أبي يحيى العباسي وكذلك البرخشي من بجاري على نحبة ابن حجر ثم رجعت للديار المغربية إلى وادي الساورة ثم تحولت بجميع عيالي للواد المذكور

97

هذا الحكم لوليه رحمه الله من كتابه المذكور وهو من كتاب كبير وقفت عليه في مجلد ومنه انتقيت منه هذه العجالة

ذكر الشخاليه أبو عزيز وطلبة الفقيه الطاهر وغيرهم

قال الشيخ الفقيه أبو العباس أحمد التوانتي رحمه الله في رسالته التي سماها مما معافة التخلي والتحلي من كتبة الشيخ بن محلى وهي رسالة طويلة مسجعة وقفت عليها في جزء مؤلفها كان الفقيه أبو محلى في أول أمره فقيها صوفيا من أهل التصوف فمن حين وقع على بعض أحوال الزبادنية ويرحمه علينا وقد أتباعه **قال** فلما سمعت بذلك بل الدولة يده فأغشم الناس لزيارته أفواجا وقصروه من بلاد وأزواجا وبعدي البلاد حبيبه وكثر أتباعه **قال فلما سمعت بذلك** ثم ملت إليه وجلست عنده قدر ما أني وجدته يشير إلى نفسه بأنه المنتظر المعلوم المبشر به في صحيح الأحاديث من كتبه وزاد ونبذته بالعراء انتهى **وكان رحمه الله** ممن سولت له نفسه أنه يقدر على القيام بوظيفة تغيير المنكر فأصيبت مقاتله من ذلك وهو من بيده **و**قال شيخ شيوخنا أبو علي البوري رحمه الله في المحاضرات أن أبا محلى المذكور عاشر الحجي بن أبي بكر الدلائي وقد فشى المنكر في ذلك الوقت فقال أحمد عبد الله لو قمنا بوظيفة تغيير المنكر فإننا قد قبشت قابى عليه ابن أبي بكر وقال إن شروط تغيير المنكر لم تتم وذهب ابن أبي بكر إلى النهر وغسل ثيابه وأزال شعثه بالحلق وعمر أوقاته بأوراده **و**أما أبو محلى فلم يقض بما الحلة التي خضاب اقضي به إلى اختراع العلاقة عني وفتنا فلما رجع عنه المغرب أتى قا وفيما قال له ابن أبي بكر أما أنا فقد قضيت مآربي وحجعت على صلاتي وأقبلت في سلاقة ومن اتقى فنكرا بالله حسبه وأما أنت فإنك ما الذي وقعت فيه ثم لم يتنبه إلى أن ذهب إلى

ان يذهب الى وادي الساورة من بلاد القبلة ويدعو لنفسه واكثر انه ما
حمله على ذلك الا كثرة المناكر وتعاظم البدع ولم يقتصر على ذلك الى ان
قال انه المهدي المنتظر وانه بصدد الجهاد واستمال قلوب العوام وتبعوه
اهـ **وكان رحمه الله** يكاتب رؤساء القبائل وعلماء البلدان يامر
منهم يامرهم بالمعروف ويحضهم على اتباع السنة ويشيع انه الفا
طمي وان من تبعه فهو الفائز ومن تخلف عنه فبخلافه وربما كان يقول
لاصحابه مخاطبا لهم على نص انتم افضل من اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم لانكم قمتم بنصر الحق في زمن الباطل وهم قاموا به في زمن
الحق ونحو هذا من زخارف كلامه والى ذلك اشار الفقيه ابو زكرياء
يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم في بعض قصائده مخاطبا لابي محلي

وقال

يا ايها المدعي الفلاح ليس لكم بمد فضل اشتهر من سادة العلما
نسبتم دين خلق الخلق وافتنتم آراءكم وغررتم بذلك منقسما
اتحسبون بان الله يترككم سدى وخلقكم فهل تعلمون لما
فاسترتم بالذي في العرض يجمعكم اما علمتم وما الله يحسن علما
بان مغرركم فرعتم سنة من المهيمن يا الله معتصما
ان قيل للناس ان المهدي يوبقكم قالوا الفقيه بلانا قبلنا امرما
لو لم يكن جاز ما ابتدع العلام به ولا اتى الله بالنبي الذي هدما
ومن يقل قال خير الخلق قيل لهم هاصاحب الوقت يكفينا الذي علما
ونحن افضل من اصحاب الرسول لنا الاجر يضاعف في اجهادنا نعما
وزخرفوا زخرفات القال قد تعقلت فهم قلوب عوام رشدها عدما

ذكر الخبر عن دخوله لسجلماسة
وذكر شيء مما اشتهر وما وقع في ذلك

خير

كلوا ابو محلي رحمه الله لما كثرت جموعه وانثال الناس لزيارته يصرخ بوجوب
القيام بتغيير المناكر التي شاعت في الناس ويقول ان اولاد المنصور فرقوا
لكونهم في طلب الملك حتى فنى الناس فيما بينهم وانتهبت الاموال وانتهكت
المحارم فيجب القيام على ايديهم وكسر شوكتهم ولما بلغه فعل الشيخ من اجلاء
المسلمين عن العرائش وبيعها للعدو الكافر استشاط غضبا واظهر انه غضب لدين الله
لا حمية وتعصبا فخرج يؤم سجلماسة وكان خليفة زيدان عليها يسمى الحاج المير
فخرج عامل زيدان لمصادمته وهو في نحو اربعة آلاف وابو محلي في اربعمائة
مقاتل فلما تراءى الجمعان كانت الدائرة على جيش زيدان واشاع الناس ان الرصاص
لا يقع على اصحاب ابي محلي بارد الابيض ثم سكنت هيبته في القلوب وتحدث له ناموس

ولما دخل سجلماسة اظهر العدل وتغيير المنكر

ووردت عليه وفود اهل تلمسان والراشدية يهنئونه وفيهم الفقيه العلامة سيدي
سعيد قدورة الجزائري شارح السلم وهو من تلامذة ابي محلي كما ذكره في الاصليت
ولما بلغت الهزيمة زيدان ووصله الفل جهز جيشا عظيما بعث به وامر عليه
اخاه عبد الله بن المنصور المعروف بالزبدة فسمع به ابو محلي فسار للرجعة
براقبة هنالك عبد الله فوقعت الهزيمة عليه ومات من اصحابه نحو الثلاثة آلاف
فقوي امر ابي محلي واشتدت شوكته وجمع بين سجلماسة ودرعة وكان القايد
يونس الايسي من قواد زيدان ممن نقم عليه وقصد ابا محلي فجاء معه
يطلعه على عورة زيدان ويجعل عليه امره فما زال الى ان توجه به لمراكش فوجه
زيدان جيشا لقتاله فهزم وقد خلا مراكش وفر منها زيدان الى ثغر اسفي وهم بالهروب
والعبور لبر العدوة **ولما دخل ابو محلي قصر الخلافة**
بمراكش وفعل فيه كيف شاء وتزايد له هنالك ولد فسماه زيدانا **ويقال**
انه تزوج ام زيدان وبنى بها ودخلت في راسه نشوة الملك ونسي ما بني عليه امره
من التغيير والتسلط وفي المحاضرات للشيخ ابي علي اليوسي رحمه الله ما

قال مورخه لما دخل ابو محلي مراكش ذهب اليه اخوانه من الفقهاء بقصد زيارته وتهنيته فلما كانوا بين يديه اخذوا يثنون عليه ويعرضون له بما حاز من الملك وفيهم رجل ساكت لا يتكلم فقال له ما لك لا تتكلم والح عليه في الكلام فقال له الرجل انت اليوم سلطان وقل امنتني على ان اقول الحق قلت فقال له انت اليوم امن فقال ان الكرة التي يلعب بها الصبيان يتبعها الجم الغفير واكثر من خلفها وينكسر الناس ويحصل هرج وفتن وشرور ويكثر الصياح والهول فاذا فتشت لم توجد الا شراريط خرق بالية ملفوفة فلما سمع ابو محلي هذا المثال وجمه بكى وقال رمنا ان نجبر الدين فاتلفناه انتهى

• ذكر استصراخ زيدان بيحيى بن عبد الله وقتل ابي محلي وما وقع في ذلك •

ان زيدان لما استفحل ريحه وضعف عن مقاومة ابي محلي كتب للفقيه ابي زكرياء يحيى ابن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحاحي ثم الداودي من مشيخته وكان يحيى بزاوية ابيه من جبل درن وله شهرة عظيمة في الصقع السوسي واتباع فبعث له مستصرخا وقال له ان بيعتي في اعناقكم وانا بين اظهركم يجب عليكم الدفاع عني ومقاتلة من نازعني فلبى ابو زكرياء نداءه واغاثه بجيش من الجيوش من كل فوج وخرج يوم مراكش في ثالث من رمضان عام اثنين وعشرين والف ولما بلغ يحيى ثنتنت موضع على مرحلتين من مراكش كتب له ابو محلي بما نصه بسم الله الرحمن الرحيم من احمد بن عبد الله الى يحيى بن عبد الله بلغني بانك جندت وبنيت • وفي ثنتنت نزلت • اصبح الى الوطا • لينكشف بيني وبينك الغطا • فالذيب ختال • والاسد صوال • والايام لا تستقل • الا بضرب القنا • وقطع الحسام • والسلام • فاجابه بما نصه بسم الله الرحمن الرحيم من يحيى بن عبد الله الى احمد بن عبد الله اما بعد فليست الايام في ولاية العالمين للملك العلام وقرات الكتاب باسم البلادة والاحتراز من سلافة

ابو محلي

ومن انشر اليه من الحي جرار واثقل السيور والبوس من مشتركة الحي كنتشر س • فالتقى الجمعان بين وتين جليز • هنالك يبقى اللهم من الظالم وبعث العزيز والسلام ثم زحف يحيى لمراكش في جنود كالجراد نزل قرب جليز جبل فنهض ابو محلي من مراكش فوقعت المعركة هنالك فكانت اول رصاصة في نحر ابي محلي ومات مكانه وهزم فانهزم جمعه ونهبت محلته وقطع راسه وعلق على سور المدينة فبقي معلقا مع رؤوس جماعة من اصحابه نحوا من اثنتي عشرة سنة وحملت جثته فدفنت بروضة الولي الشهير ابي العباس السبتي تحت المكتب المعلق هنالك وزعم اصحابه انه لم يمت ولكنه تغيب وحدثني من اثق به ان اهل وادي الساورة الى الان فيهم من هو على هذا الاعتقاد وذكر ابو علي في المحاضرات ان ابا محلي حضر يوما في سماع للفقراء فتحرك وجعل يقول انا سلطانها انا سلطانها فتحرك فقير اخر في ناحية المجلس وجعل يقول ثلاث سنين غير ربع ثلاث سنين غير ربع وكان الامر كذلك قال في المحاضرات ونظير هذا ما وقع له ايضا بين يدي استاذه ابن مبارك انه وقع له حال ووجد عليه وارد فتحرك وجعل يقول انا السلطان انا السلطان فقال له الاستاذ يا احمد منك تكون سلطانا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا اهـ وذكر انه كان بالبيت في وجهته الحجازية سمع من يقول يا رب اني قلت وقولك الحق وتلك الايام نداولها بين الناس فاجعل لي يا رب دولة ولم يتمم فنال الدولة ولم يسأل حسن العاقبة فرزق الدولة دون الحال التي هي اعلم بسريرته اهـ قلت وكان ابو محلي رحمه الله فقيها محصلا له قلم بليغ ونفس عال وله تآليف منها الوضاح والقسطاس والاصليت ومنجنيق الصخور في الرد على اهل الفجور وانيته بجد وجواب الجزولي عن رسالة الشيخ ابي عمرو المراكشي وغير ذلك وله شعر وسط وقد وقعت بينه وبين يحيى بن عبد الله مراسلات ومباحثات نظما ونثرا كقوله

انكر

أيحيى الخسيس النذل مالك تدعي فضولا وأشعارا للمجهول آية وايل
كم تدعو الحق في بيت النبوة نسبة وأنت دعي من أخس القبايل
ووجهك وجه القرد في القبح صورة وبأسك بأس الديك بين المزابل
وشرواك تجميع في رأس عجوز من الروم أفعى لغسل الجنادل

وبزعمون أن يحيى كان قد عاش ابن أبي محلي ابتلع القلب بالمدرسة بفاس وللعلامة فيما وقع بينهما من الأمور الشحريات ما أثبته كتابه هذا عن تشجيره وقد زمز فيه ابن أبي محلي ووفاته الشيخ الفقيه الصدر أبو العباس أحمد بن المريد المراكشي رحمه الله فلما قتل الفقيه حيثا ومات كبشا أي قام عام تسعة بعد الألف ومات عام ثلاث وعشرين بعد الألف وقد تقدم ما فيه بعد إفادة التاريخ من حشر المليح وبديع الشر ريق وفي هذه السنة التي قتل فيها ابن أبي محلي توفي سلطان مكة المشرفة مولانا الحسن المعروف بأبي نمي وتولى بنيه وإخوته ووقع بينهم من القتال على الملك مثل ما وقع بين أولاد المنصور في المغرب ولما بلغ خبرهم للسلطان العظيم ملك القسطنطينية العظمى مراد بن السلطان سليمان شاه العثماني التركي وانتهى له ما وقع بين أولاد الشريف بمكة من القتال كتب لهم بعد الحمدلة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم يا عجبا تقع فيكم الفتن وجدكم الحسن فالحسنة في الخمسة حسنة في نفسها ومن بيت النبوة أحسن والسيئة سيئة في نفسها ومن

وبكى كنعيم

منا إياك في المشي معه

قف
كتاب السلطان مراد العثماني لشرفاء مكة لما وقع التقاتل بينهم

من بيت النبوة أشنع قبيحة بالبيت الحرام والركن والمقام أي لم تتهموا أعراضكم وتقعدوا عن حرمكم ثم مكم فيكم سيفا يجردكم والسلام فأجابوه بأنصف قول أما بعد فإن العبيد فعلوا فعل ... تابعوا الحسين فإن عاقبت فبما اقترفوا وإن عفوت فهو أقرب للتقوى والسلام فتركوا الخلافة بين إبراهيم ابن الحسن وأن يحل البلاغون جميعا لهم بسكنونها ولما قتل أبو محلي دخل يحيى مراكش واستقر بدار الخلافة منها والفقيه ابن عصى تسيان وراوان يحيى ملاده وكتب له زيدان وهو يقول له إن كنت إنما جئت لنصرتي وكي يرجع إلي الثائر عني بعد أن بلغت المراد وشفيت الفؤاد وإن كنت إنما جئت للغرض ويجعل الملك الملة من قبلك فأمر الله عنيت به فتحجم يحيى للرجوع لوطنه واضمر العيبة عن الملك وأنه إنما جاء ليبايع على الملك الذي بيعته في عنقه وانقلب لبلاده ورجع زيدان لمراكش وقد قيل إن يحيى رام الملك وأن أهل مراكش من البرابر لم يساعدوه في قضية طويلة والله أعلم

ذكر بقية الخبر عن أحوال يحيى بن عبد الله • ولمع من التعريف وما يناسب ذلك •

هو يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الداودي الحاحي وكان جده سعيد ولحسن وفيه عملنا وحدثنا وهو الذي أحيا الله به السنة بسوس وأقمع بها ابن سلام فيه وقال فيه سيدي أحمد بن موسى السملالي ما ولدت النساء قبله ولا بعده مثله واجمع الناس على جلالته وديانته وكان من أهل العناية قال الفقراء يوما أتعجبون ما يصنع بكم يوم القيامة قالوا لا فقال يمنح الكم عبد الله أبي فضلت لكم بضلة آخذها فأردها على من احتاج إليها من إخوانه حتى لا يبقى إلا من رفضته رحمة الله فيقف لكم عند الصراط حتى تجوزوا وأعز أحدكم وكراماته أكثر من أن تحصى أخذ عن التباع وتوفي

المحالي

شيخكم

على

سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة ولما مات جلس ولده سيدي عبد الله مكان ابيه وجرى على
نهجه وسبيله بل كان بعض الناس يفضله على ابيه وكان رحمه الله عالما عاملا
خاشعا صالحا مجاهدا كان يقول والله ما عقلت على مخالفة لله عز وجل
اذ تكلفتما وقد ادركت حيوانا وقد نملة **قال في بغية المناصحة**
لم ار احدا وقد سمعت اخبار المنتسبين يبتغي مريدا اصحابه وتعليمهم منه حتى
كان يبعث لهم الى الزاوية من يقوم لهم بوظيفة الماء اذا احتاج وقت الصلاة
فيبادر بماء وسهل وتاو الى محل الازواج فيسخن لهم الماء ويتوضؤون
واحدا واحدا ويصلون جماعة وصنع تاليفا في احوال الاخرة يقرأ
على الزيار بالعربية والعجمية وكان يجعل ابنه احمد الى النار وما برز
في النار ليحرق فهل ان منه واحد ويذكر ان شيخه سيدي احمد بن موسى اوذن
او وصاه بذلك وكراماته رحمه الله كثيرة ولعلنا فلم يبلغ غير هذا الكتاب
اخذ عن ابن موسى وسيدي عبد الله الهبطي وهو معتمده في الطريق
وعن القصار ومحمد بن ابراهيم وعن الزقاق والونشريسي وغيرهم وتوفي
عام اثني عشر والف ودفن بزاوية من جبل حوز حيث كانت زاويته
بواقعة السلطان الغالب بالله وقد كان سعى به المنصور لما كثر
اتباعه واشتهر امره وخوفوه منه فبعث له فاتيه منصور بن عبد الرحمن
العلج ليغتفله فانجاه الله منه ولما مات جلس ولده محمد موضعه
ونهج سبيله وكان يحيى وفيما مشاركا رحل العباس واخذ عن اشياخه
كالمنجور وغيره وعن الولي العالم العلامة الشيخ سيدي احمد بن محمد
الشهير بابن التسوساني دفين وهو معتمده اخذ عنه كثيرا من
العلوم واجازه في علوم الحديث اجازة عامة **قال**
صاحب الفوائد الجمة كان يحيى مشاركا في العلوم من حديث
وتصوف وتصريف **حدثني** انه رأى الامام رضي الله

عمه في النوم وعمه واضع ربعة شرقية المعمورة قال فقلت له ما اسمك قال عبد الله بن
عمر او عبد الرحمن بن عمر الرؤيسي الذي سمعتم به فقلت له حضرنا انشغال الفكر فقال
لم احضر وقد كنت صحيح فقلت الدعاء منه ووضعت يدي على وجهي تبركا به
فبعث بعد ان ايقنت من نومي عن امتلائه بوجدته تأخر عن انشغال الفكر قال
وانشدني لنفسه

يا ابا زيد ليس مثلي يسمو ... عن حديث يرويه مثلك عمه
انت عند الدنيا بحقي عبد ... من قديما واهل الرحمن من لدنه

اهـ وكان يحيى شاعرا محسنا وله قصيدة لامية في التمنية على البناء مجنسة وشرحها
في نحو كراسة وسماه الرشفة البينة من رسالة التمنية وله نظم في الشهداء على
نحو الرجز **وحدثني** صاحب الفلاني ابو زيد السجتاني انه وقف
على تاليف كبير مشتمل على ما وقع بين يحيى وابي محلي من المقاتلة في عرض البلاد
وغيرهم قال واسم هذا الكتاب التحلي بما وقع بين يحيى وابي محلي وكانت ليحيى
شهرة عظيمة بالصلاح واتباع كثير وتوجهت لزيارته الهمم ورغبت
له النجاب الا انه وقع له قريب مما وقع لابي محلي فتصدى لامور الملك ودخل
في احوال السلطنة فتكدر مشربه وانكسف بدره ولم يسع ان ذلك من مكايد
ابليس اللعين ومن دسائسه **وقد قال بعض العلماء**
ان الرياسة اذا سكنت قلب انسان لا تخرج عنه حتى يذهب راسه ولذلك قال
صاحب الفوائد في حقه بعد ما تقدم ما صورته قام بجمع الكلمة والنظر في
مصالح الامة واستمر به على ذلك الى ان توفي ولم يتم له ما رامه من
وكان يراسل زيدان ويصحبه ويجعله من اصحابه وكان زيدان يتحمل من ذلك
امرا عظيما وقد وقفت على رسالة ليحيى بعث بها الى زيدان من نحو ما ذكرنا
فاجابه زيدان على نحو ما قلنا ونص الجميع من يحيى بن عبد الله
ابو عبد المنعم كان الله له بجميل العهد ذا يدا وامير اللهم انا نحمدك على كل حال

ونشكر لك يا ولي المؤمنين على دفع اللأواء والمحال ونصلي ونسلم على سيدنا افضل
من شرفت له الرحال ونستوهب يا مولانا جميل الهبة وجزيل فضلك في الحال والترحال
عايذين بوجهك الكريم من أن تحرمنا بسوء أعمالنا يا شديد المحال هذا
وسلام الله الأتم ورضوانه الأعم ورحمته وبركاته على الجماعة العلية الغراء المولوية
كيف أنتم وكيف أحوالكم مع الزمان الذي سافر لسلب الأديان واتسع في اقتفاء
هواء كل من جار وجانب الله ومن فوق الأمر به ومن حسبنا ونعم الوكيل وبعد
فالذي بعث به اليكم في اقتفاء هواء كل من كان في هذه البطاقة أمور ثلاثة
مرتبة على قوله صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة لله ولكتابه ولرسوله
ولخاصة المسلمين وعامتهم الأول بيان الركون لجانبكم والثاني
الحامل على دفع مناويكم والثالث ملازمة نصحكم وتذكيركم
والضجر بما يصدر منكم ومن أعوانكم للرعية أما الأول فله أسباب كثيرة
منها من أعظمها الجناب النبوي في أهل بيته ورضي الله عن أبي بكر الصديق القايل
ارقبوا محمدا في أهل بيته والقايل لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب
الي من أن أصل قرابتي

• يا من لبيت رسول الله حبكم فرض من الله في القرءان انزله •
• يكفيكم من عظيم الفخر انكم من لم يصل عليكم لا صلاة له •

ومنها انكم خاصة المسلمين الذين هم الرعاة بالرعاية لهم وردع
القلوب النافرة اليهم وتجمعهم بغير الإمكان مشافهة ومراسلة ومكاتبة
وقد بدا لنا الجمع في الجميع أصلح الله الغصن في الجميع وأما الثاني
فلما جرى العرف بتغلب ذلك الانسان المتسلط على الرقاب والحريم وان من والى
واخل بنا وبلاتنا البعيدة عن الصواب ما ليس في المذهب وتغرينا من ولاة
السياير الرعية باهلها ومعضولها ومن مع ذلك يد الزعيم المولى بالإيمان
البنا فلا نعبر وان من والى فناشرناه لما تغرنا في فناوية الأبية رضي الله عنهم

حيث توفرت فيه شروط هذا المصر كله بشاهد العيان فكان الأمر كما قدر له
الأمر من قبل ومن بعد وأما الثالث فالكتاب والسنة والإجماع أما الكتاب
فسورة والعصر فاتحة البرهان بكل أوان وعصر وقد قال تعالى
في قضية كليمه رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين وقد استشهد به بعض
العلماء في بر وفاجر لكاتب الأمراء المتغلبين وحسبنا الله ونعم الوكيل وقوله
جل من قايل وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان
وأما السنة فالحديث الأول قوله العادي شر الخلق وقوله من رأى منكم منكرا
فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان
وقد كنا مقتصرين على التغيير باللسان والقلم لكون التغيير بالعمل اليكم حتى جرت
اليه ود للتمول بارتكاب أصعب مرام عليه وقوله من أعان على قتل مسلم ولو
بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله وقد
قال المواق في شرحه على المختصر من أعان على قتل انسان وتوليه غيره
ولم يأمر سبيلا دم مسلم فهو شريك في دمه ان سبيله ثم أتى بالحديث
المتقدم واستعظاما لذلك الأمر الفظيع فانا لله وانا اليه راجعون على ما نحن
عليه ابتلانا الله حتى نامر بالفعل سبعين الرفاء اذ ذاك حيث كتبت لنا مرارا وامتثلت
وارسلت ولكن الحلو من هذا الواقع بأمور واسعة ومن أكثر الغرب ولذلك
كنت المحبة عليكم في تقرير العمل حتى ان القاير محمد الطاهر بصحيح ذكر
انه لسلطان تلمسان في جزء صغير وقال في امرة السلطان اذا اطلعت فيه
نيابة له على بغاوته على العمل فيما ابيت وبينه من تاميرك من امته واقتضاء
كل ما رأيته صالحا لا لافتنة لم أكتب حتى أتى الغلام وكتبت في ان كلما
رأيت فيه الصلاح امضيته وان أمنت كل من امنته ثم بعد استقر لي في ذلك
كتبت في كتابنا انك باق على ما تظاهرنا معك وان الأمور كلها معيار الشرع
فما راعني الا وقد انعقد في ذمته وأما في الذي عرفتنا للناس فيما سوء ومغيرة

ومطلوب بما أوجه وجود عن بلدة أ، وأخبار أخر ترد علينا من جهة السواحل
أن الناس تباع فيما الثغور وقد مر كالله ولم نر من اهتبل بذلك غير فلان فهو أمور
الثغور ولم نر من هل بلغه خبر ذلك أم لا أن تشتغل عما لاقه الشرع أو لم يبلغه
فاعلمنا الله لتغيير قلوبنا فإن كاتبنا بعد ذلك فلا أرى جوابا وفضيت وإنه
مراين قد بجابا بما عرفت ما أمر الله به عليك من زجرهم عن التبرير والبدع
واجتماعهم بالبلد ما منا من قبل النعم بما تغير به في كريم علمك وإن رأيته ينبغي
آخر فإن الله ما في السماوات وإن ذكر وأما الإجماع فلم نر من
العلماء من نسي مخالفة المسلمين وتنبيههم على ما يصلح بهم وبالرعية بل
عن كثير من الدين المحرر أن أول وغيره وأما ما استشنع ذلك من امتناعا
منكم من عدم أن تقع العقول في مكاتباتنا لكم فما كتبناكم فهو عيب الزائل ولو
ولو نصحى ما خطب به الأئمة أنه أول أهل زمانهم اتكالا على مثل العتكم لكتبتم
وعلمكم بما لم نعلمه من ذلك ولم نذكره ويكفيكم في العضيل وسفيان وأمثالهم
منا مالك رضي الله عنهم لعاصيهم من الولاة وفيهم من بكى وانبغ ومن
غشي عليه وتوجع ومن نزع واسترجع الى غير هذا مذكر على اختلاف الأعصار
وتنوع الدول فبذلك افترقنا وبما كان عليه أشياخنا وأسلافنا لكم ولا سلا
بكم كالعبيد يبح والرفاعه الله سيدنا عبد الله المنهي بجركم المزحوم بكم
الله قطعتنا فجع النصح وبعدكم نيا وأحرى بهذا الأمل فضيتنا معكم ومثلكم جزا
والذكرى تنفع المؤمنين على كل الأحوال والحمد لله على كل حال والصلاة
والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه الأ وبتاريخ أواخر ربيع النبوي الشريف كتب
عن إذنه رضي الله عنه عبد ربه محمد بن الحسن بن أبي القاسم لطف الله به بمنه
انتهى والحمد لله

• فالجواب من بعد ما نصه •

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما من عبد

الله

الله تعالى المعترف المغترف زيدان بن احمد بن محمد بن محمد الى السيد أبي زكرياء يحيى
ابن السيد أبي محمد عبد الله بن سعيد أعاننا الله وإياكم على اتباع الحق ونعوذ بالله من
شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد
فقد ورد علينا كتابكم بعضنا خطاء وقفنا على سائر فصوله ثم أنثنا أجبا
وبناكم على ما يقتضيه المقام الخطابي بما غير ذلك وأدى الى المباغضة والمشا
حنة ويحكى عن عثمان رضي الله عنه أنه بعث لعلي كرم الله وجهه
وأحضر عنده وألقى عليه ما كان يجري من أولاد الصحابة الذين أعظم هبوا بأهل
الردة الذي كان رجوعهم للإسلام على يد الصديق وهو في كل ذلك لا يجيبه فقال له
عثمان ما أسكتك فقال له يا أمير المومنين إن تكلمت لا أقول لك إلا ما تكره وإن
سكت فلنسلك عن إنه ما تغيب وقد كنا نتمنى أجد بدا من الجواب إذ إن أفردنا لك
معرفة قبل الجواب وذلك أن الحجاج لما ولاه عبد الملك العراق وكان من سيرته
ما بلغنا استهدار عن تشخيص هنا فتأول ابن الأشعث الخروج عليه وتابعه
على ذلك جماعة من التابعين بعير كسعيد بن جبير وأمثاله من أولاد الصحابة
وكذا قوي عزمهم على ذلك الى استدعوا الحسن البصري رضي الله عنه لذلك فقال
لا أفعل فإني أرى الحجاج عقوبة من الله فتنعوا الى الدعاء أولى قال
بعض فضلاء العجم يوخذ من هذا أن الخروج على السلطان من الكبائر وجواز
انفعام تحت ولاية الظلم والجور وقد علمت ما كان من أمر عبد الرحمن بن الأشعث
وسعيد وأمثاله وقضية أهل الحرة لما أوقع بهم جند يزيد بن معاوية بالحرم
الشريف ولما بلغه الخبر أنشد

• ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل •

وشاع ذلك عنه وذاع وكان ذلك على عهد أكابر الصحابة وأقوى ديم ولا تعرض
أحد منهم لنكير عليه ولا تصدى للقيام ولا خاطبه بلام وأما ما يرجع الى
جواب الكتاب فأما ما حكيت عن الصديق رضي الله عنه في أهل اليمن وأن

ولأحاديث الواردة في أنه يجب احترامهم وتعظيمهم وتبجيلهم لأجل النبي صلى الله عليه
وسلم فإن كان يجب علينا تعظيمهم فإن تعظيمهم يجب على أولي الأمر أولى وأولى عملا بقوله قل
لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى وأجرى سبحانه عادته ما تضرر أحد
لعراق أهل البيت الشريف إلا كبه لوجهه وأما ما ورد من حديث النهي فإن والله
أحب أن تنصحهم سرا وعلانية مع زيادة شكرهم عليه وأن أهل الله منه مودة وأتم
محبة ولا نكرا بفعل ما فرض عليه لأن الله سبحانه يقول لا يكلف الله نفسا إلا
وسعها ولنستزد فإن الكثير للعلماء في صدور تصانيفهم ولهم الجهر في كل الآن
النفوس الشريفة العالية لا تنزل من فعل الخير والجري في اكتساب الأجر ما عز ثمنا
وله وصف اكتساب في عليهما **وأما** ما ذكرتم من أمر مجلس وسيرته وما كان
تسلط عليه أما ما كان من اشتغالكم إليه أما تركه استحمالهم الكثير المرة
بعد المرة وتكررت في ذلك إليكم الرسل حتى أجبتم إليه ولا تحتاج فيه إلا ما
ما في حجة غير كونه خرج عن الجماعة ولقوله صلى الله عليه وسلم من أراد أن
يشق عصاكم فاقتلوه كائنا من كان وإن فلو دخل الملك من بابه وبايعه
أهل الحل والعقد وأخذ له البيعة بوسائط متتابعة جزئية الزحوم التي هي فاقرة على أنه
علماء المغرب والدين المشاهير ولو كان وصل ذلك بمثل هذه الوسائط لا يجب حربه
ولا القيام عليه بما ذكرتم لأن السلطان لا ينعزل بالفسق والجور وأيضا فإن الصحابة
في زمن يزيد بن معاوية لا يحصى عددهم وما تصدى أحد للقيام عليه ولا قال
بعزله وأنه لا يقومون على الضلالة ولو فتش وأبا المناش **وأما مجلس**
بحدونيا مما يجب عليك وعلى غيرك أعانه الله عليه لأنك في بيعتنا وهي لازمة لك
بالطاعة واجبة عليك **واعلم** أيضا أن والدنا أفضل منك بدليل
أن أباك كان خير من أبيك ولكن الرزق القيافة وكان عمنا مولانا عبد الملك رضي الله
عنه وسمح له بعلو ما كان عليه واشتهر بها علانا وكان والدنا في دولته وتبعته
ووقر عليه ولم يتشكك من ذلك ولا تكلم منه ما يخالف السلطنة ولا أنكر

فـ ما تضرر أحد لعراق أهل البيت إلا بقطع

فـ من أراد شق العصا فليقتل

عليها

١٠٤

عليهما ولا عرض بما يسوء قلبه الوقت ولا سمع ذلك منه فإن كان
راضيا بفعله فليكن مثله وإن لم يرض فما وجه سكوته والوفادة عليه
وقد تحققت وعلمت أن ولاية أحمد بن موسى الجزولي كانت تكون
فظيعة واشتهر أمره عند الخاص والعام حتى اشتبه أهل المغرب على
ولايته وقد كان على عهد مولانا عبد الله بن الشيخ رضي الله عنه وكان
المذكور على ما كان عليه واشتهر عنه وما برح الشيخ المذكور
يعرف له ولدولته بالبقاء ويظهر محبته وكان المولى المذكور
بعد أبي بكر ويقتل وكان شرح منه لزاوية المرابط ابن فريس ولد
أزيكي وأمثالهم وكان يقدم للشفاعة ويشفع ولا يتعقب ولا يعتب
ولا يبحث على ما وراء ذلك بل على عقيدة وموثقته وكان المولى
المذكور بعث لابن حسين بسبدان فما بينهما حتى أمره ولا استعظم
أحد ذلك ولا أنكر فيه ولا جعله مسببا لفتح الفتنة وكان في أيام المذ
كور مثل وزيره ابن شقرون وعبد الكريم بن الشيخ بن مؤمن العلج والبطي
والزرهوني وعبد الصادق بن قلوح وغيرهم ممن للحضرة ذكرهم
لبعد عهدهم فقد اتخذوا جيوشا وأخموا واتخذوا الخيل وبسطوا الحرير
وغير ذلك من آلات الفضة والذهب وكان في عصر أحمد بن موسى
المذكور وابن حسين ومحمد الشرقي وابن عمرو القسطلي ومحمد بن إبراهيم
التمزرتي والشطيبي وغير هؤلاء من المشايخ وأهل الدين لا يسع من
ينتمي لهذه الطريقة التعرض عليهم ولا الاكتساب الفضيلة دونهم
فأحسنوا السيرة ولا تعرضوا للسلطنة ولا سمع منهم ما يقدح
في ولايته إلا من ومادة إلا جناح ممن ذكرنا الذين كان الملوك يرون
عليهم ويرجع في تربيته ومثل من ذكر من أولياء كان علاقة
الرقان وواحد وقته شيخ مشايخ إفريقية وبعض أهل المغرب

تشهيد المولى المتوكل

في السبع

عن ابي العباس بن القصيبي الشيخ المتكلم بالصوفية صاحب ابي ياتي البينات فذكر انه من سكان
تونس وكان مولوده تونس وهو افضل الناس على العباد الذين يحبهم واشتهر امرهم حتى
عرفوا به في المشارق والمغارب ولم يبرح الشيخ المذكور من بينهم ولا تصدى لتغيير المنكر
ولا امر بالمعروف وحسن فضل الله اليهم واما ما ذكرتم من ان من اعان على قتل
مسلم ولو بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله فهو
حجة هي عليك لا علينا لانا ما سعينا في قتل احد بعلم الله ولا قتل من قتل الا بامر
القضاة واهل العلم ان كان واعلم انه اذا كان من ايكون وعبرا
في قتل الواحد فما بالك ببرير وفتح باب الفتنة حتى لا يقع القتل على الجماعة والخمسة
والاثنين وينهب الاموال ويكشف الحريم الى غير ذلك اما تعلم ان الايام
ايام فتنة تجلى فهلك من النفوس والاموال بسببها ما لا يحصى عدده ما سبب
ولا يستوفي نهايته كاتب وكان كل ذلك على رقبته لانه هو المتسبب الاول
الفاتح ابواب الفتنة لانه يقتل كل من بينهم الينا حتى قتل بسببه في يوم واحد كان
واحد خمسماية قتيل ولولا تجلى ما قتلوا واعظم في حرمة النفس من هذا الذي قلت
قوله تعالى كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما
قتل الناس جميعا ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا وليس في قول المواق ما يحتج
به على السلطان وانما تكلم في اصحاب الخطط على الترتيب الذي كان على عهده مثل اهل
الشرطة كصاحب الشرطة التي ينفذ احكام القاضي وصاحب شرطة السوق الذي
ينفذ الحكم من قاضي الخطة وغير ذلك من الولاة ولا تجلى لا تعزو لاية حتى
يعزو عزله وما عند المواق وغيره وقفنا عليه وعرفناه وتلقيناه من اشياخنا
عن الاشياخ الجلة وعرفنا ما عند الشافعية والحنفية ودرسناه المرة بعد المرة
ولست ممن يلبس عليه قوله استفز الناس على لم يقيمه الله بعلمه ولاكن ما اخذ
تحتج بقول المواق لغرضك وتجعله حجة ولم تجبنا عما كتبنا اليك فيه في يوسف
اليوسي وقلنا لك قال صلى الله عليه وسلم الحرم لا يعيذ عاصيا ولا فارا بدم وهذا

يحتج

يحتج به على اهل الزوايا واعرضت عن الجواب وليس ذلك من ادب الجدل ولا كان الخير لنا
عن الوجه الذي منعت به يوسف اليوسي من الشرع فانا منعناه عندك واما اهلنا في دارك
الى يوم الوقعة وترتب في ذمته للمسلمين من الاموال والدماء فان كنت ممن يدير
العدل فبلا عدلت فيه فجيبني نعلم انك لا تريح جهته ولا تذهب بذلك النفس
فرهبتها للاجرم حينئذ تكون عندنا قريب ومع هذا لما مسكنا زوجته وكتبت
لنا فيها ما سمحنا لها ساعة وصول خطابك من غير توقف فلو كنت عنادنا
لعنت بما عندنا من عبيدة هو باق الاهل واهل دار على اني ما رددت شيئا
عنه منذ عرفته بعثت الى علي ابراهيم بن يعزى وسرحناه لغرضه على انه
ترتب في ذمته ما ينيف على خمسين الف اوقية وذلك المال انما يعالج بيت مال المسلمين وانما
كان يجب تخليده في الحبس اهل الحضر اخرجناهم منه عن اخرهم وانفرقت كتابات
دكم في ردهم فاثر فابردهم عن اخرهم ابن يعقوب اوزال حاكم البلد
وشبه الخليفة وتركناه على داره وحرمه من غير اذننا ولا مشورتنا وبعثنا
مكانه فانفذت الكتب فيه برده لمكانه فاطلق من الذين سافر كتبك فيه ولا
اسرعنا اليه خفافا واما مسئلة اهل الزهور فلما جاء كتابكم
عن لنا ما فيه وسرحناهم كان عندكم ورد في ذلك الخبر وقضية الحناشة
الناس مشافهتهم بالاجتهاد وقضية العرب اعلم ان العرب
قد ابصروا الارض واستهانوا اسواء هذه البلاد والغرب والذين يليون بهم ما
ابتلي به متقون في عرب افريقية والغرب ولو كلفناهم بمجرد العشر هذه فرقة
الفتنة في الغرب لا ترى ذلك على اقوالهم والناس خرجت على اهوائهم
ولعبوا الفتن طلبا للراحة وانظر كتاب الابانة للغافقي واستعلامهم
فيه عليه في قضية شرعية مسهمة في رسمها الغرب على انه اضعف الناس قلوبا
انهم ما صدر منهم فما بالك بالعرب الذين خرجوا البلاد وتساوى الشيخ والصغير
في ذلك فان كنت تطمع في خلافتهم واستعمال شوكتهم والتعرض للسلطان دونهم

فيه انبعث احزاب العالم وكمال الكتاب هاهنا من عند الرحامنة وما عند من منهم تحركهم
ورأيتنا ادرون فتم رديء مقدمة اما هذا وان كانت اذية فيل ابن الرومي
وهو علي بن العباس رحمه الله تعالى كقول عبد الله بن المعتز

كلما ادرون فنا والشمس فيه كالية فيما تبغي يا غالية

فأجابه بان قال لا يقدر هو ان يقول مثل قولي في وصف الرقاقة

ما انس لا انس خبازا مررت به يدحو الرقاقة وشك اللمح بالبصر
ما بين رؤيتها في كفه كرة وبين رؤيتها قوراء كالقمر
الا بمقدار ما تنداح دائرة في صفحة الماء يرمى فيه بالحجر

وقال كل منا وصف ما في بيته ورب البيت واهل مكة ادرى بشعابها والصيرفي
اعرف بنقد الدينار وقصة الخضر والكليم صلوات الله على نبينا وعليه السلام
فيها كفاية لمن يعتبر في خرقه السفينة وقتله الغلام واقامته الجدار والكليم
ينكر عليه في كل ذلك حتى انباه الله بما لم يعلم على ان علم الخضر في علم موسى
كحلقة ملقاة في فلاة كما قال بعض العلماء وقال بعضهم كل منهم على علم خصه
الله تعالى به ومن هنا جوز ابن العربي الحاتمي في بعض كتبه واحسب انه الـ
في الفصوص ان الولي الذي يتحرك الله ويحفظه بجنته يطلعه على علم لم يطلع
له الانبياء عليهم صلوات الله وسلامه تعالى مشيرا لنفسه كما لعنه الله
على علم لم يطلع عليه آدم فمن دونه واعلم ان السلطنة لها اسرار
لا تدرك منها وسياسة تتكلم ظاهرها ولكن نرجع الى غرضنا ومرادنا اخبرنا
كيف تحب تسلك الناس في الغرب فان كنت تحب تسلك فيهم مسلك مولانا عبد الله
فالزمان تغير الزمان والاسعار قد غلت وبلغت الشرائع النهاية والله
تبارك وتعالى قد بعث انبياءه وانزل كتبه بحسب ما يقتضيه الزمان وهذا تبع به
مرجع الى الشرائع والكتب المنزلة واخذ العلم من افواه الرجال والاخذ به مع ما
لمر العلم ونحن نخلص لكم الكلام على بعض ما ورد الناس في الخراج اما

ما ابتنوا

مر ابن الرومي

درة

فـ
في السؤال له بقصة الخضر والايلي

منها

فـ
على كلام الحاتمي

هذا كلام يحال على قائله

فـ
على ما ورد الناس في الخراج

١٠٦

ما ابتنوا عليه بوضعه في صدر الاسلام والدول العظام فلا نطيل بذكره لشهرته
واما في المغرب خصوصا فان امير المومنين عبد المومن بن علي جعله على
اقطاع الارض بناء على ان المغرب فتح عنوة واليه ذهب بعض العلماء ومنهم
من يقول ان السهل اخذ عنوة والجبل صلحا فاذا تقرر هذا وعلمت ان اصل
هذا العمل قد باد واندثر وافنيت السهل كله ارثا لبيت المال تعين ان
يكون الخراج فيه على ما فرضه صاحب الارض وهو السلطان والجبل تعذر معرفة
ما كان الصلح عليه ولا سبيل الى الوقوف عليه فيرجع للاجتهاد وقد
اجتهد سلفنا الكريم رضوان الله عليهم في فرضه لاول الدولة الشريفة
على حسب ما وافقه السنة ومشايخ اهل العلم والدين في ذلك العصر يجري
الامر على السنن القويم الى ان حدثت حوادث الفتنة لايام ابي محمد
صاحب الجبل وازاله مولانا الامام وصنوه على الرجوع على حوائج
المغرب وسلبه عند الرجوع بالاستراحة واشتدت به الفتنة في الجبل التي
ان هلك مع النصارى في الغزوة الشهيرة وجاء الله من مولانا الامام
المقدس بالجبل النافع للاسلام من كل ما كان هوان بغير رضى الله
الا شيئا وحوفظ بها وفي المغرب غب تلك الفتن قد بغى ابو امر لانتها
مه عن ان عظيمان من النزلة وغيرها والدين الطاغية فاصطلح رحمه الله
الى الا تشكلنا من الاجناد لغاوة الاعداء والدين وحماية ثغور الا
سلام فرعا اقتطاع الاجناد المرتضاع عن العطاء وتقطاع العطاء
المرتضاع عن الخراج وقطاع الخراج الى ان جاء بالرعية والاجناد
بالرعية امر يستنكف رضي الله عنه من ارتكابه ولا يرضاه في سيرة
عدله كقول ايامه فلم يبق له حين الى ان اعاد النظر رحمه الله في
امر الخراج فوجد بين السعر الذي بني عليه في قيمة الزرع والسمن
والكبش الذي تعطي الرعية منذ زمان العرض وبين سعر الوقت اضعافا

تجبيز تجرى رحمة الله العدل بخير الرعية بين دفع كل شيء و بوجهه او
دفع ما ليسا وضيق الوقت فاختاروا الشح مخافة ان يطلع الرفاه و
اكثر فاسعهم اليه رضي الله عنه وعزى الناس الحق فلم يكن احد
من اهل الدين وكل من اهل فن السياسة ليت شعري لو تعلمنا نحن اليوم
الرعية بسعر الوقت كما طلع الرا ضعاف مضاعفة اليوم ما تقولون
وقد انقرتم علينا فاصواخي من ذلك **واما ما**
راجعوا رضي الله عنكم ما عندا لا فاح الما وزني في الاحكام السلطا
نية في ضرب الخراج فقد استوفى الكلام في ذلك **واما** ما تقتضيه
من العجب لتعطيل اجوبتنا عندي نحو نراجع اقلامنا ولا ذكر كتابك
اكرمنا عمل قطع اهل الزقور فانبزنا من اخراج الزكاة بدوا فط
عنده وشرح من كان عنده فتوقف الجواب حتى رجع تحرير مجيئنا اجبنا
كم بما ودلكم وتعجيل الاجوبة وبهو منا فاعلم ان الذي يقتضي
الاجر بعد ذلك امور منها ان يكون ما سمعت ولا بلغني ان يكون الامر
الذي ورد الخطاب فيه منكم بتوجه للبحث فيه والفحص عن اسبابه
فربما اوجب ذلك البطء بحسب الاماكن والبلدان فيكون جوابنا
على اساس وبيان وان كان عندنا ورد فيه خطابكم فالجواب لا ابتاخر
وقد وقع هذا منا غير ما مرة وكون تعطيله منشاه ما امر الله به علينا
من رجوع سريرتنا واجتماعنا بسرينا اذا منا **فاعلم**
ان اهل الغرب لما نالوا علي وخرجت للمشرق والتغيبنا بالترك
والاروام وجالسوه وجالستهم وخاطبوه وخاطبتهم منهم مشافهة
ومنهم مراسلة وكنت ايام مقامي في ارضهم كمقامي على سريري فلك
الا كبيرهم وصغيرهم وردت عليهم ومر وسمع كلا يبتهج فضلي وفيد
كفا رغبته لنعمتي وواسيت الجميع عطاء مرتفعا مع قلة الزاد والرخيم

بسم ... من رجوع الاسرى

وترويعنا

١٠٧

وترويعنا عن مولاتنا اللقايل ولا كابر من العجم والعرب ولا ركب الامر فلا
تجردت بما قدرنا عليه من الاخبية حتى جعلت محلة برماتنا وخيلنا فتراموا على
العجم بالرغبة وبسطوا الكف الضارعة في العفو عنهم والدخول في جملتهم وعرضوا
علي الانقطاع السنية والبلدان الملوكية بلغوا مقال واد بخطاب حتى قال في
الفتيا مراد رايتم الجاهر وما مثله يكون مع العرب هذا فخر نحن فيه باقوالنا
وانفسنا وبما للناس السعين حينا ارحنا واحببنا ولا انفصلت عنهم حتى
كتبت لهم بخطي انه تحمل الفضل وعلمتني ونرجع اليهم الا ان تمكن في الدخول في
الملك والغلبة على البلاد او بعضها وقفلنا من عندهم ولم يتعلق ثوب
عطائي مما يشينه معهم ولا مع العرب ولا كان ولا حجر علي منة ولا نعمة الا
فضل الله سبحانه وكان فضل الله علينا عظيما **فقد دخلت**
سجلماسة على رغم انف امثلهما والتمالو **ومنها** دخلت السوس
وجعلت ولد الله الغارب به ابا محمد عبد الله بن مبارك واسلفت بيني وبين
اخي حتى اجتمعت بالوالدين وبعثت الى المترك باحد باكباشه اسمه محمد
معهم الى السوس راغبين انجاز الوعد وحبست المسيب ليهم قرابيا الا هل
والا تباع فدعتهم الامر عليهم واستعظموا الخروج فاسعفت رغبتهم
في المقام في الغرماء وشيعت الرسول فاقبلا الى فزوه من سجلماسة عمر
الدخول الثاني لنا وحيد مغالبة امثلها عليها وعززته برسول من عندي اليهم
بتحف واموال ورد بها عليهم مع رسولهم ثم ابي الحزن افتحين مراكش على اهل
فاس على كثرة عدد منهم وعدتهم وقلتنا ووهبني الله ثم خرجت للسوس مرة اخرى
واوقعت بولد مولاي احمد الشريف وجموع مراكش وقد تعصبوا عليه لانهم
شيعة جده فبعضته على رغمهم وما زلته بالسهل والجبل حتى مكني الله منه
وحكم بيني وبينه ثم تجهم الفئ لجلي وغلبت على النزاي **وقد قال من**
هو افضل مني مولاي علي كرم الله وجهه لا راي لمن لا يطاع ودخل

منزل البلاد وخرجنا اذا للسوس ريثما تجتمع الكلمة فما بلغنا في المكان الذي كان
اجتماعهم فيه الا وقد تفرقوا وفصل البعض بجبل يقاتلون ورحل بعضهم بعد ان اثخنوا
فيه بالقتل ثم وافيتهم وكان الحرب بيننا سجالا فما سمعتم خلال هذه الاحوال
اني احتجت الى احد فيما فعلت وهذا كله بحيث لا يخفى عليكم اللهم الا ان
تعد الوجاهة التي وقفنا عليك من قبيل الاضطرار والاحتياج فلا ادري
على اني ما قصرت لطلب دنيا لاني كنت امنع ما انت عليه من منافقة الدين
والصلاح والا فما انا على طاعة الله والتمسك بسنة رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا غير ومن كان منا وصحبه كان زاهدا في الدنيا بعض الزهد وفي صلاح
القلب ولا شك انا نزلنا دارك وحللنا مكانك ولما وقع الاجتماع معك
جرت المذاكرة في محل وغيره حتى كتبت الكتاب الذي علمنا عليه وها هو
بخطك بيدك فان نسينا بعض ما فيه فلا بد نعلمنا فاختبرنا به نستدركه وهذا
من اكثر الذي ذكرته فلست فيه كما ذكرته ووقفت على عبد المومن بن ساسي
وعرفته مرة اخرى في مرضه وهل قصرته لطلب دنيا او عرفته لاجلنا ومحمد
ابن يعمر ولما وقفت بالمدرسة التي من بناء مولاي عبد الله ووقفت عليه في دار
وكذا الذي انا نفعله تاكيدا للمحبة وزيادة في المعرفة في الله
ولو علمت ان ذلك يعد وبعد انه نوع من الاحتياج والله ما كنت لا قف
على احد لو انه يملك الدنيا بحذافيرها لان الخير والشر بيد الفاعل المختار ومن
اولى بالافتقار الى النبي **واما** سرير مبالتروع فهو حتى يامر **واما**
من كان بالدار التي ذكرت فانما هم اهل ومترددا اعمامي وهذه الدار
التي ذكرت فانما هي لاهلي فيما غنى تشتغل منها لبعض البلاد الغربية التجر
ية كما قلت لكن ذلك مشابهة ساعة قلت انبغي للانسان بناء بالجبل لو قنيه
وحكيت ذلك عن الدار **واما ما اخبرتم** به الفاظ عند اطلاع
ورود لسوس وقت بلغني كتابكم الذي نصه قد اجتمعت اناس وسيرت البيات

لتعيين

قوله ريثما: قال الاصمعي يقال ما قعدت عنده الا ريثما عقد شسع نعله اي مقدار ذلك والريث الابطاء ... من شرح مقامات الحريري ومن خط شيخ شيوخنا ابن المرابط ... قدر قل

اللهم صل على سيدنا ومولانا محمد وآله

١٠٨

وتعيين الطامع واردنا تدبير كل لان الملوك اهل التدبير والتراد رجوعنا لا وكارنا
من غير وصمة تلحق الجانبين وكلما اهل جمع عشيرته والزمته التراب لابي ما جرى
علينا فيه النسيان ذكروا قالوا لا نخرج عنه **واما يمين المخضر**
وان حلفت فيه للغاير عبد الصادق فلا والله ما حلفت فيه ولا تخلى لاحد الى
لقاء الله اما علمت اني حضرت بيعة صاحبه مع نسمع الله له وحضر اولاد
السلطان واستحلفهم لما بيد اناقاته رضي الله عنه فان قلنا لا يحلف لا يحتاج
اليه فيما نامره به ونفعله وعظم ذلك على اخوته وكثرت بها وجيههم لاجله
انكراهة ولا تكبر الذي قلته لعبد الصادق احلف للمرابط لاز او وجه ابه وما
زلت على ذلك الى ان الذي كنت تقول ذلك الوقت اهلا ان تقع في اهل امر كثير الى
كابر ونحو هذا مثل خصومة عبد القادر ونحوها اما اهل امر اكثر ما تقع هنا
لاحد حتى نرى مناعنا لاجلكم كقول الموالع ونحوه وهذا الميزان والشع
ابعث من رضيت بنا او فيهم مرله تملينا حتى ننصعه منه ومن هذا اي ايضا
كنت سمعت قضية منصور العكاري في العكار نزل اهلنا في خيمته عند وقعة
راس العيون ولما اراد الطلوع للجبل تركوا اكثر مالهم في خيمته مع بعض الحرام
خوفا من غايلة البرابر لما كان وقع منهم لا خلب يدوا وسر ياخذ سهاكها من
ذهب يزيد على ميتين العا اوقية **و** كان ابا م ابو حشو معه وفي جملته حتى
مات القايد دخل جمته بالجاز عشر من البغال والتاء حتى يود به على سعه وكلب
ان يتعلو يتولى الخاص ليتبع وجمع بعض ذلك قص فيه هنا احتجنا بجلي
ووقع ما وقع كلبنا بمتاعنا ومورد بعد انكاره **وها هو عبد**
الكريم الذي اوهتي بنفسه يعلم ان اخوته اخذوا الى سلعة في وسعهم
حلتهم واننا ندرونهم في ير على خسير البغا واخذوا الابل وما غير سكتنا عنهم
ولا كلبنا بها وايضا الغالب انهم ما فعل باخو وكذلك وتكاتبنا وانت
لا علم لك باصل المسئلة واما الان من الفان الله سبحانه قد وسع علينا من

في زامرينة

اللهم صل على سيدنا ومولانا محمد وآله

بفضله وعفونا منها فأيكن الخامسا والسادس من الولد وعرفنا الناس وعرفوناه
وعاملنا منهم وعاملونا ولو اردت خمسماية الف مثقال من اصحاب بلمنة او من كاجب
الا نجيء وكتبت لهم الى ما قالوا في بعثته ولا لاذوا به بعزة وقد كفانا الله والحمد
لله على ذلك **واعلم ان الضعي فيه حمد ولو هذا الى ما اعمد**
خمسة الاف مثقال وسمعت بالمال الذي حمل اليكم ابن عبد الواسع اخبرا ولا بسلعة
الشعر وبعد ان كله تستدل على صفاء السريرة وصلاح النية والله سبحانه
يعلم ذلك **واما الاعتعاض** من عدم الا فقه القول وحسن الخطاب
كما قال تعلى وقولوا للناس حسنا واذ لم تبلغ ولو نصف ما خاطب به الا
يمة رضوا الله عليهم اهل زمانهم اذ كلا العلى علمنا به وحسبنا نعم الفضيل
ابن عياض وسفيان ومالك بن قرة المسئلة حسب في الجواب عنه

صلاح

ملئنا بيان في ارادة الشيخ نند

وكان أبي رحمه الله

وكان يحيى لما رجع لسوس بن أعمه في طلب الملك وجمع الكلمة لما رأى امرابين افتا في
حوائج المغرب وبواديه وذهب لتارودانت فتغلب عليها وملكها ووقعت
بينه وبين أبي الحسن علي حفيد الولي أحمد بن موسى السملالي وقائع ومعارك
ولم يزل قصمها على طلب جمع الكلمة الى أن توفي ليلة الخميس سادس جمادى
الثانية عام خمسة وثلاثين وألف بقصبة تارودانت وحمل إلى الغرب لزاوية
والده فدفن بجنبه وقد وقفت على رسالة كتب بها اليه الفاضل ابن عمه العالم
الفقيه الأجل أبو مهدي عيسى بن عبد الرحمن السكتاني وكان يحيى استشاره
لأنه كان قاضيا بتارودانت أخذ الرأي فيما عزم عليه فلم يوافقه وأبى من مساعدته
عقبة على ذلك فغضب عليه يحيى حتى أمر بقتله غيلة فخرج من المدينة
خائفا يترقب بسلامة الله تعالى وذهب فنزل بمراكش وهذا
نص الرسالة بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه
يقول العبد الفقير الى الحاجة الرحمة مولاه الغني به عمن سواه السائل
منه التوفيق واللطف في كل عقد وما وراءه كاتبه عيسى بن عبد الرحمن عفا
الله عنه وسمح له الحمد لله الذي جعل الهدى بالحق وكفى الأنبياء
وأورثهم بعدهم العلماء من خلفه وبين العلماء والصلاة والسلام على من
أكرم في النصح وقال الدين النصيحة فقيل لمن
قال لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم والرضى عن آله وصحبه
الذين سلكوا سبيله واقتبسوا من المناهج كم بعده وعن التابعين وتابع
التابعين لهم التي وقوع الفصام بين الخليفة وبعد
فإنا لما قفلت والحمد لله بسلامة وعافية الى جبل وجدت أهلي وأولادي
مستوحشين البلدية وإن كانت محل سلفي ومغرز أجدادي بعمران العوالم
وكانوا على كمال عهدنا وكانوا أحق بنا وأهلنا وكنت في غاية الضيق والناس
لما حل بالأولاد فتذكرت قول بعض فقهاء الأندلس في ذاته مثل

العقير

أنّ

ما فاتني واصابني مثل ما اصابني

البشر من الغيم مغامر مثلي بدار الخشى منغمس انجمال

اذا الدار اهل سالمة وسرح واربع بين راعية انجمال

فجلت بكرى وان كان الكل بقدر الله وارادته فبراقب اوذلك وفي القضاء لهف امر انجده كما لا يجعل على في بصيرتهم فاهل بالمغرب من افتراق الكلمة وتلاعب شياكين الانس والجن بذوي العقول منهم فصاروا احزابا وفرقا فنبعث كل كائفة من هواها من كانت تعبد حتى اذا اعرض لعافل وعرض عليه منهم الا فلاع فاذا دى الشياكين فسروا عليه فابد واروه باغوايهم وزينوا له ان ذاك الى يشينه لدى العامة ويوجب له السقوط الا انه الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس **وافتريعيه** عن الهوى وان السقوط من عين الله هو الهافة الكبرى وابرعلى عنه ان العزم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لا بكلام الهمج الرعاع فمن لا يزال الشيطان يلعب في اخذ بزمامه ساكنا على قلبه ولسانه **و**افتريعين عنه مرحبا لما قوى فقلت انا لله وانا اليه راجعون هاذه مصيبة عظيمة نزلت بغربنا فافترق فلا من وقتلت سراوتهم وانتهبت اموالهم وهتكت حرمهم ومزقت اعراضهم وبسرت ادياتهم واختلت وبعدت عن التوفيق ارائهم وكادت ان تهمع بالكلية فيهم اعراقهم **اللهم** يا ذا الطول والامتنان قنا رباجتنا وقيامنا وافتح الحلال واكرام تداركنا بالهدى بالخير في ديننا ودنيانا يا خالق الارض والسماء **فان قلت** فاذكرته من ان خرق جملة من العوائق الى البواعث هو نتيجة افتراق افتراق الكلمة كما فعله من يقتدي به من الصحابة رضي الله عنهم فتبري همه وما دليلك على التلاعب **قلت** ما اخرجه ائمة الصحاح

مراعجز الناس من ضيع انه لا يعود من الشقوط

كتاب العدد ... الحياة الدنيا ان الجحيم هو المأوى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى

من منع الخروج على الائمة وان الواجب في حق من رءاه منهم ما يكره الصبر والاحتساب اذ غالب ما فيه الجور وان تفاحش افل بكثير من غائلة الخروج الذي يترتب عليهما افساد الفتح والاموال والاعراض والاديان وهنا الجمع **وبينا** صبح على الحجاج من الغلظ علماء الصحابة والتابعين من صبح حتى لقوا الله تعالى سالمة الاديان وبالعبادة مغتنم الزلفى وتزكى فيما بالعنين فدم **فالمسرابص** ابو مجلى كان في فطره على الصين يغضب وينتهك به ويعتقد فيه انه فاحب زمانه وبلغ به الحال الى ان سو لت له نفسه او سول له انه يصلح بما هو به ما لم يصلح بغيره من الزمان فافلح واعانه عليه فوم ءاخرون حتى ملا الافريقيا صياحا وذهاوي ويما كلوا كاذبين فما الا بشمر له عمل ولا نعلم تجرا على المسلمين حتى لم يسلموا من لسانه ولا من يده فقتل ونهب وسب واغتاب وهم نفسه بالد لقيقة فاستهوته شياكين الانس والجن والهوى ثم يعتر ذلك كله لم يحصل من سعيه على كائل واقتنه الغفلة عن الكتاب والسنة والرضى عن النفس حتى انفحكم وصارت تلعب به الاراد واذ يحمي عليه بما استنبا حه ما كان ومضى من دمهم وهلكت بعدي بسببه نفوس واموال وغير ذلك ايشك من او قال بالكتاب والسنة ونظر بعين الشريعة ان يفعله او الذي في شيعته من ابتلي به او فلن تغلب اجملة عليه من تجب عليه مخالفته مخالفته من الشيطان والنفس والهوى وربما استحسن فعله ذلك من شيعته من ابتلي به او فلن تغليبا في فعله فان قولين فانما عليك الاثم الا يسيرا والى الان كانوا يستصوبون فعله ويستحسنون قوله مع انه بمعزل عن الكتاب والسنة **قلت** ومن كائفة الفقراء فانه متعصب متحزب ومتحيل متصيد ومتصنع على ما استاثر به البلاد من الغيوب ومرتكب للاثام مصر على العيوب **فلت**

والنفس

ومثل كما يقع الفقراء فيما جهلوا فاتفق من زيادات تظهر عن ابن حاكمة فيما الش
الشعور والهدوس فتزيد فيها والعياذ بالله العين وشرد فيما تخرقه
من الحجر فانت الغلوف واضمحلت الجموع وتعلقت الزفوف فلا منهم من بن
كر ولا مجموع

هذا الزمان الغير كنا نحاذي في قول كعب وفي قول ابن مسعود

قلت ومثل الشيخ ابو زكرياء وهو اليزيتاني الناصح الحريص
كنا نستشفع به ونستشفي وكانت تشد اليه الرحال وياتي من اتيانه
النساء والرجال فواتيه من افقها ومغربنا الوفود ودانت له الرقاب والاسود
وكان يعلم الجهال ويهدي الضلال ويطعم الجائع ويكسي العريان ويعين
ذا الحاجة ويعين الضعفاء وهو سبيل يا لها من سبيل وطريقة ما احسنها
طريقة ما احسنها ثم صارت تلك الجموع وكان امر الله قدرا مقدورا اتحد
سبا وتلاشت شذر مذر ما لنا من نبا **ايها** الشيخ اكرمك الله
بتشير بره او تجري الوجود ملكا اعظم من ذلك الملك بتطلبه او سلطانا
تأبوا زينة او تغاربه فيخا وله ابو خبع عليه هذا الشيخ ومن حضر وري
واين قلت عند نصوص الكتاب والسنة وانت معقول الم يان للذين
آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله كبر مقتا عند الله اكبر من مقتكم انفسكم
وان ابغض الكلام الى الله ان يقول الرجل للرجل اتق الله فيقول
عليك نفسك وهو كثير من حديث خرجه النسائي رفعه وقد ذكر فلعل
او تنفعت الذكرى لقوله جل من قائل فان الذكرى تنفع المومنين
فقلت من التعجب ليت شعري ايقال امية ام قيل ان
فالشيخ من شيا كبيرا ان فسروا الجوهر هذه ما اريد به وجه الله **قلت**
الله الموعد ايانا وانكم وان الفرقان الضراكز بالحديث وستلقون ربكم فيسالكم
عن اعمالكم ان ظهر هذا او نحسب قلب الشيخ اكرمه الله فقلت والشياطين

نعشى

وذكر

يجري من ابن آدم مجرى الدم **قلت** ادل دليل على انه قصرت همته
النصيحة هو انه استصحب عامل قاع ابي محلي فنصحته وقلت له ان منزل لا تستقيم
معه الديانة وكانه ما قبل فانفصلت عنه وهو يقول استخير الله فكاتبته
بان ذلك يعقل ثم نزل وكان عامل باب الغزو من تارودانت خلوت به فقلت له
اذ ذاك ان الناس يقولون كذا وكذا وعرفته انه ذاك بما عرفته من ابناء الزمان
فجمعتنا في رفقة الى مراكش واختبار حرزها وتبرا من كل ما يقال وما زلت على المنع
الى ان جاءت كرا ويبر من قبل ابي محلي فقلتها فوجدتها مشتملة على
كفريات في جزويات فجعل شرح الله صدره للباحة فما يعم وان قلت
ذا الذي يغشى امره واقول في نفسي ما كان يقوله ابن قاع سحنون في قضية ابن
ابي الجواد ما ازاله الشرع قتله ولو قلت او غششت لغششت في قضية ذا الذي الا
جل وزينت لك فتاله او لاه ذا الذي مقتضى التعصب للامير واذا التم
التعصب اذ ذاك فكيفما استشهد له ان وتبعوا في نصحت الكم قبلتم وان لا فكما قال
الله تعالى حكاية عن نبي من انبيائه وقد كرر التجمو والناصحين
التشهد الله الذي بامره تقوم السماوات والارض
اما قلت لك بعد جوي العام ان ول من مراكش بل العام الذي قبله لان
الغزو لا يحسن وصرحت ولوحت باشق العصا لا يحل غير مرة وما كان
الغزو الدال على ذلك الى ان زدت البغل وخرجت من الحربية لا اتفق كما قال

فوالله ما فارقتهما عمر قبل لهما وابن بشطن جاء فيهما العار

ورضيت بالبادية بعد جعا فيما قرار امر العشر وعملا بقوله صلى الله
عليه وسلم يوشك ان يكون خير مال الرجل غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع
القطر يفر بدينه من الفتن ثم بعد فعل هذا كله ونصحتهم اولى
وخافوا فاطمحوا وعدوا اعلى من القبائح كما يمتنع للامير مع انه يوم جاء
لداركم قلت لهم هذا اميركم ونحن ان نشك انه من المعتبرين في مغربنا وان يعتقد

لاهل لازقة لنا وكذا الحاجة هينا لمراكش وبقيا في محل فاراد اهل مراكش
فاتينا وافتحنا البلاد لاجل الامير وقلت لهم انه الامير وقيمة الناس عنده بلسان
الحال وبلسان المقال ونصح وعجز وسمع ابتداء بقدر الامكان ومنها من ان
متابع وانت فرقة واذا كان من افاد وجهة لك على الامير وقد على الدامور بن
بن زيان لك فقاتله بعد عشا اذ هو مسلم وابن مسلم ليس **قال قلت**
موافقته مشروطة بشروط ولم يرى في الجزا جما **قلت** مع انه
لم يروا انستبيح قتاله لاجل ذالك والرسول عليه الصلاة والسلام يقول اذا
التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار الحديث فبالله ابنا الشيخ
ما تقول في هذا الحديث وانظاره وما تقول فيمن انتهب او عسى ان فيمن نهب من
اموال الناس او اخذ بغير حق وانفق في سبيل الله غزوا والرسول عليه السلام
يقول لا يحل مال امرئ مسلم الا عن طيب نفس او ما تستحيي من ربك يوم تسأل
عن النقير والقطمير ولست ممن خفي عليه ذالك كله فتعذر عند المخلوقين
او ما علمت ان كثيرا من العوام يعتقد جواز ذالك اذا ارتكبته فتكون قد
سننتها وضل بسبب ذالك كثير من الناس او ما خشيت دعوة المظلوم
التي ليس بينها وبين الله حجاب او ما كنت تعيب كل من ارتكب مثل ذالك من الولاة
وتناسف عليه لا تعيب اخا الحلوم الحديث . لا تنه عن خلق وتاتي مثله .
اما انتبهت لما وقع باهل درعة من النهب والسلب واسترقاق الاحرار وسفك
الحرم ان دماءكم واموالكم عليكم حرام الحديث **وقد اتانا السؤال**
من قبل الشيخ عن قبيح سكناته ذالكم ولم يستطع احد الجواب من نحو بنور العلماء في
تقول لهم في وزن نظر الجماعة الى الحال في اهل درعة مع ان جلهم حملة القرآن
وعامتهم بله واكثر اهل الجنة البله ايبلغوا في حق الصلحاء ان يسلط عليهم
من لا يرحمهم ولا تنزع الرحمة الا من قلب شقي انما يرحم الله من عباده الرحماء
ومن لا يرحم لا يرحم ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء انسيت انه

بعض

١١٣

يغتص للجماعة من الفقهاء وان العلم الخير لاية كم انه كلم الناس بعضهم لبعض ابي
علم ان حسناتك تقع بما عليك من التبعات اوانه لا تباعة لاحد عليك ولو
كنت برئا لا احتمل ان يقال في شانك ما قاله عليه السلام لعمر وما يدريك ان يكون
الله اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم او كما قال **والظلم**
ظلمات يوم القيامة او ما تستطيع ان تقتحم ظلمة الظلم الا والا فانت مسئول
عن الغير الاهل **و**حتى تاروادانت بلغنا انه لم يبق في شيء من التربيع بل بلغ بهم
الحال والجور الى التغريب فاتقوا الله ابنا الشيخ ولا تكن كمن اخذ قيل له اتق
الله اخذته العزة بالاثم **هذا** بعض ما يتعلق بحقوق الناس
على العموم ويتعلق بحق كافتهم على الخصوص انك اخذت عليه اذ الدين الطاعة
للامير وغير ما هو من شيم المومنين حسن العشرة والتنزه من الغدر وشق العصا
بغوان بذل وسعه في نصحك ونصح الامير وحاول بكليته على جمع الكلمة وتعب
في ذالك واقتحم في ذالك عقبات لا يقطعها الا باذل ولا سبيل اليها لمن
يكون في دينه وعمله مثل من هو فاضل

اذا اغتاب ملاح الجريرة السفينة فارقتها بالريح مهزلة جلبة الضفادع
لعمر ابيك ما نسب المعلى الى كرم وفي الدنيا كريم
ولكن البلاد اذا اقشعرت وصوح نبتها رعي الهشيم

ولاكن ليس من شرط النصيحة كمال الناصح كما انه ليس من شرط تغيير
المنكر عدم ارتكاب الغير ما غير لان هذه طاعة وهذه اخرى والتوفيق
بيد الله سبحانه نعم تلقى مع ذالك وجزم في بدائك مع بذل النصح ولله
من اهل الله الجميع واهل ذا ان بينهم اخرت عليه بالزجر في فعولة المعيشي
والرجوع اليهم رعاية لما يجب وينزلون منزلة فيهم **و**هل هذا الجفا الا حكم
العدو والشيطان اعتزلت ما تستبيح به ذالك مع اني والحمد لله ابرما كنت لا اسعى
الا في مصلحتهم بقدر الاستطاعة او في نصيحة حين لا ادري بينهما او اغاثة

امل

فلمون حين تجب اغاثته لمن بسطت اليد بدلا اذية ولا كرا لبارئ سبحانه يغفر ولا
يغير المنكر البين ابتداء باعلاء في النورية من جمع جمعه فليسمعنا • ولا تتبع زينا
تزيين الخابية • البينة فاين من وجد ما يسوغ له ارتكاب مثل هذا فعلا او قولا او اشاعة
او تلويحا او تصريحا وأي جريمة تنوا زنها أي جريمة او كبيرة من الآثام اكبر منها
والى الله المرجع وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون هذا
والسعاية المحذورة بسوء الغير حد قاطع سبحانه ابن تجدون ما يوجب اباحتهما
ايرغبا عنكم انها من الكبائر وايرغبا عنكم قوله عليه السلام ان الرجل
ليتكلم بالكلمة يهوي بها في جهنم سبعين خريفا هذا من اخلاق المو
منين والصالحين وانت من بيت الصلاح ما كان جدك يرضى مثل هذا وما كان ابوك
امرأ سوء وهذا والله اعلم نتيجة فساد السر • لا تعجب ممن ينقض حاله
ولا يرك على الله تعالى والى هذا ينتهي حق الصحبة اعني بذل النصح الا
انه يستر على صحبة ساعة ونحن ما هنا لا واعترفنا لا وتحنا لا ولا عظنا لا
انظ ما اخاه لكنا او نقول ما وصفنا ما يا للرجال البر الجماعة او ابن المولى ان
الحسن بن علي اذ تخلى لابن عمه معاوية مع انه ما شمر علوا وابن احد ريحانة
النبي عليه السلام ومعاوية اقوى جمعهما عندما دعى من الاقارب مع انه اقام
وابن امام واصلح الله به وهو سيد بين فئتين عظيمتين من المسلمين بعدما كان
يلقب بامير المومنين قال له الصحابه اذ سلم يا عار المومنين قال لم يكن بذا ليس
ولم يبال فقال النار اشد من العار انما الله وايا كم شر انفسنا وجعلنا
وايا كم من الذين يسمعون القول فيتبعون احسنه انتهى

فـ النار اشد من العار

• ذكر بقية اخبار عبد الله بن الشيخ •
• المنصور وما وقع له مع التوار بفاس •

كان عبد الله حياة ابيه الشيخ تحت امره يتصغر له ولا يقطع امرا دونه ولما
قتل الشيخ بفاس وما انضاف لها على ومن وبشاريج وكان غالب جنده من الشراقة

فـ حكاية قبيحة

114

منهم لانه وانصاري وبنى كان يستعصم منها اعنها منهم اجنة الناس ود يا ريهم وكان
الرجل يأتي بستانه فيجد اغراس مخيمته في وسطه فيقول لهم اعطها فيدا الشر
السلطان ومدو اليهم في حرابة الناس وقيدوا الا شوان وجاهروا بالفسا
د والخمر واسكنهم في الحرفات عليهم الدار وافتحموا على الناس دارهم حتى
ان امرأة كانت تطبخ خليعا ولها ربيع عمر مقابها فتحم عليهما الدار
احد الشراقة فضربت المرأة واغلقت عليها مشرقة هيا فلم يغرونيا على
شيء فراودها على النزول فابت فقال لها ان لم تنزلي رميت الولد في الهي
الحنيم فلما ذهب على الامتناع فرمى به فما اصبرا الا وان رأته فطاحت
والقت بنفسها عليه فانزفت عنقها وماتت فعاظ الناس ذلك الحال ثم قام
على الشراقة رجل يقال له سليمان بن محمد الشريف الزرهوني فيلقب
بابلا فزع واعصوصب عليه كثير من العامة وقاموا في نصرته فقتل الشرا
قة والتلمسانيين بفاس حيث وجدوا وحكم السيف في رقابهم واخرجهم من
فاس فمن لاجي المدينة من اذايتهم وكمن منها من قبائحهم فاستحسن الناس امره
واذعنوا له وكان ابتداء الشراقة واشتداد شوكتهم من عام سنة عشر
والف وكان قيام سليمان عليهم في ربيع النبوي سنة عشرين وكان
عبد الله في نفر لا سليمان وقتل بهم غابا فلما
بلغه الخبر فرح ورام الصلح بين اهل فاس وبين الشراقة وراودهم على ذلك
فقالوا لا بد وامر سليمان الناس بشراء العدو والتهيئ لملاقات
الشراقة ولا نستعد لهم وخرجوا لمقاتلة الشراقة خارج باب الجيسة
فهزموا الشراقة وتمسكوا حال المدينة وامن الناس الا فالح بعضهم من زمان السلطان
الغالب بالله وفي يوم الاربعاء رابع عشر جمادى الثانية عام عشرين والف كا
نت وقعة المترب موضع خارج باب الفتوح وسببها ان اهل فاس
استعانوا بعبد الملك الغمري وعبيلة واستصرخوهم على الشراقة فجرهوا

أمر

في أسلد

في يوم شديد الريح فكمن لهم الشرافة بنواحي وبغاروا عليهم بغتة فانهزم الناس
وقتل من اهل فاس نحو العشرين وغلقت الابواب واضطربت المدينة وماج الناس
بسبب ذلك الطمع وخرج اهل فاس مرة لمقاتلة عبد الله بن الشيخ فمزقوه
واسروه وبقي في ايديهم بعضهم الى قتله واكلوه وذهبوا لحلقه حتى
دخل فاس الجديد ولما قتل ابوه الشيخ وبلغته وفاته عزم ان يتوجه
للاخذ بثاره واوقع الحسم لذلك ووافقه سليمان والفقيه المربوع
واصحابهما فامتنعت العامة من الذهاب لذلك لان الشيخ لم تبق له مودة
في نفوس المسلمين من حيث باع العرايش للنصارى فاجتمعت العامة
من الذهاب لذلك بجامع القرويين وقالوا لا نقبل سليمان ولا المربوع وحل
من اجل ذلك هرج الوحش والحزن وساء اخرين فوقع بسبب ذلك شر
عظيم ووقع الغلاء حتى بيع القمح باوقيتين وربع للمد وكثرت الافران حتى
ان صاحب البستان احصى من الحر موتان من عيد الاضحى من عام اثنين وعشرين
الى ربيع النبوي اربعة الاف وستماية وخربت اكثر المدينة وخلت الدار
وتم بيتو بلماله الا الوحوش وكثرت التنهب في القوافل وفي المحرم
فاتح ستة وعشرين قبض سليمان اربعة من كبار الشرافة ثم قتلهم بوجهة
اللمطيين وخاف الناس على المدينة وتوقعوا الشر وسكن الرعب في
القلوب حتى وقعت بسبب ذلك الهزيمة في كل مسجد له خطبة بفاس كان
الامام يخطب بجامع القرويين والناس في صحن المسجد فوقع قطر غزير فابتدر من في
صحن المسجد الدخول تحت السقف فظن الناس ان سليمان غدر بالشرافة فانهزم
الناس وهربوا من المسجد لا يلوي احد على احد فبلغ الخبر جامع الاندلس فكان
كذلك وبلغ الخبر للطالعة وكذا الاكان وفي يوم السبت
خامس عشر سنة ستة وعشرين قتل سليمان غدرا في جنازة خرج لها
قتله المربوع وقتل اباه وابناء عمه وستة من اصحابه ودفن مع والده في

مسجر

٢١٥

مسجد الجرف ولما مات سليمان بقية المدينة في يد المربوع اللمطي وتالف عليه اللمطيون
وتقووا به ثم فر اخوان سليمان من زرهون وراموا الغدر بالمربوع فراموا الغدر
بالمربوع بعضهم لبعض ووقع بينهم وبينه قتال فمات فيه نحو مائة واحد وثلاثين
رجلا وسلم المربوع ثم ان المربوع واصحابه اتوا برجل كان
يتعبد بزرهون يقال له عبد الرحمن الحناش في جمادى الاولى سنة سبع وعشرين
وراموا ان يملكوه واجتمعوا عليه فانزلوه مع اصحابه بروضة سيدي علي بن حرزهم
فبلغ خبره القايد احمد عميرة وزير عبد الله بن الشيخ فاتى وقتله باصحاب
الرجل وجاء الرجل الضريح الشيخ ابن حرزهم فرموه من هناك فقتلوه
وسلبوه على القبر ميتا ولما سمع اهل فاس من الحضر والضعفاء وبعض الخال
من غارة الاعراب ذهبوا الى عبد الله بن الشيخ بفاس الجديد ونصروه واظهروا
المحبة له ففرح بهم غاية وقبل العامة والخاصة على نصره والاذعان له فبعث
عنهم عبد الله وصفح عن كل ما سلف منهم وبعث وزيره للمربوع بالامان فلم
يصدق وخاف على نفسه وصمم مع اللمطيين على قتال عبد الله وتهيئوا حتى لم
تصل بالقرويين الصلوات الخمس ثم ان القايد هو ابن عمرو وزير عبد
الله نادى بالامان على اللمطيين فتفرقوا عن المربوع حتى لم يبق الا
القليل فبعث له عبد الله بالامان سبحته وخاتمه فلم ياته وهرب ليلا
لبني حسن فاخذه شيخهم سرحان واتى به لعبد الله فعفا عنه وعاد تادوته
عبد الله لشبابها وتمليكها له الامر وتمهدت البلاد وفي ذلك في جمادى الاولى
عام سبعة وعشرين والى جمع الجيوش وبعث بعض اجناده لعمارتها و
وبعضهم لقبض الاعشار وبعث وزيره حمو بن عمر مع المربوع للاذى
موضع من جبال الزبيب فغدر المربوع بالوزير وقتله اعتمادا على كلام
سمعه من عبد الله فغضب عبد الله واسرها في نفسه ثم في يوم الاثنين
ثالث ربيع النبوي عام ثمانية وعشرين قتل المربوع اللمطي ونهبت داره ثم بعد

ثم ان قايد هو ابو ححو

ايام وكلف عبد الله عمل اللمطيين ثمانين الفا فثقل عليهم امرها وهموا باسعه عنهم النصف

ذكر الخبر عن قيام محمد بن الشيخ المعروف بزغودة على اخيه عبد الله بن الشيخ وما وقع في ذلك

قال في شرح زهرة الشماريخ لما رأى اهل بلاد المغرب ما وقع من افتراق الكلمة وتوفر الفتن بايعوا محمد بن الشيخ المعروف بزغودة على ضريح مولانا عبد السلام بن مشيش نفعنا الله به **وكان** الذي قام ببيعته الشريف ابو الحسن علي بن محمد بن ريسون وبايعوه على احياء دين الله واماتة الباطل واحياء الحق **فلما** بلغ خبره اخاه عبد الله خرج لقتاله فلما التقى الجمعان هزم عبد الله ودخل محمد فاس في شعبان عام ثمانية وعشرين والف وقبض على بعض عمال عبد الله فقتلهم واستصفى اموالهم **وفي** اواخر شعبان المذكور وقعت المعركة بينهما بمكناس فهزم محمد ودخل عبد الله فاس في اول رمضان واظهر العفو عن الخاص والعام **ثم** قتل اهل فاس قائدهم ابن شعيب واخذوا احد رماة من عبد الله ووقع قتال بين اهل العدوة وفاس الجديد الى ان عمر بن حسون اصلحوا في تاسع رجب الثاني من عام تسعة وعشرين والف **ثم ان عبد الله** خرج لمقاتلة اخيه محمد فوقعت المعركة بينهما بمنت فهزم محمد ومن معه وفر الى الريان فقتله ابن عمه كما سيأتي ان شاء الله تعالى **وفي** يوم الجمعة خامس القعدة سنة اثنين وثلاثين قتل الفقيه العالم الشهير القاضي ابو القاسم بن ابي النعيم بعد ان نزل من صلاة الجمعة بفاس الجديد قتله اللصوص بباب المدرسة العنانية لا انعم الله بالبليد لعبد الله بن الشيخ ووقع بسبب قتله شر عظيم بين اهل العدوتين بفاس ولم يزل عبد الله في معالجة اهل فاس تارة يميلون له وتارة ينحرفون عنه لفساد سيرته وقبح طويته حتى كان قائده مامي العلج ينهب الديار جهارا

ويقطع

١١٦

ويعطي لعبد الله كل يوم عشرة الاف مما ينهب من الناس من غير جريمة ولا دعاوة **وقام** عليه بمكناس ايضا رجل يقال له الشريف الامغار **وقام** عليه بتطاوين المقدم احمد النقسيس ولم يبق في يده الا فاس الجديد **واما** فاس القديمة فبقيت وفاتت لما ذكرنا قبل لانه استولى عليها سليمان والحرنوع ثم اقتتلا لما ذكرنا قريبا فقام بفاس محمد بن سليمان اللمطي وعلي بن عبد الرحمن فقتل ابن سليمان وقام ابن الاشهب مع ابن عبد الرحمن فوقعت بينهما مقاتلات وحروب ثم قام الحاج علي سوسان وابن العربي ايضا يزدور ومسعود بن عبد الله وغيرهم من القياد **وتولى** هؤلاء على بعض وتبع للايام التاج على نفسه الا ان احتاج باحد من هؤلاء ووقع من الفتن ما الله به عليم بفاس وتفرقت اكثر الدكاكين على اهلها بفاس وخلت اكثر المدينة واستولى عليها الخراب ودام الشر بين العدوتين حتى كادت فاس ان تضمحل وتعفى **وحدث** غير واحد من الثقات ان الشر لما دام بين اهل العدوتين ولم يكن لاهل الاندلس غلبة على اللمطيين **قال الشيخ** سيدي عبد الرحمن الفاسي لا يغلب احد اللمطيين ما داموا مواظبين على قراءة حزب الشاذلي الكبير **وكانت** طائفة من اللمطيين يقرؤونه صباحا بزاوية سيدي رضوان من عدوة الاندلس فسمع ذلك اهل عدوة الاندلس فاحتالوا على ابطال قراءة ذلك فبعثوا رجلا احتال على اولئك الذين يقرؤونه فاستضافهم وباتوا عنده جميعا في منزله فلما طلع الفجر وكاد زعم ان مفتاح الدار ضاع وسعى ولم يزل يعالج فتحها الدار حتى طلعت الشمس ولم يقرؤوا الحزب ذلك اليوم فاغار اهل الاندلس فحملوا على اهل عدوة اللمطيين فهزموهم وتحكموا فيهم وكانوا لم يحرزوا منهم شيئا قبل ببركة الشاذلي **وذكر** بعضهم ان سبب هذه الشرور ما حكي ان عبد الله بن الشيخ في بعض غلباته لاهل فاس في ثورانهم عليه استشفع له اهل فاس خوفا منه وطلبا للرضا عليهم بالولي الطنجي

رسمها

الجزولي وسيدي سيدي حلول بن الحاج وسيدي مسعود الشراط وكان الحلي فروع الملامتية فلما
وقعا بين يديه فالقا وجد اهل فاس شيئا يقدمونه الى غير هؤلاء الغرباء من
شيء بما فغضب سيدي حلول وقال لا تتم فيما بقي لفاس اربعين سنة ولم
فابعثوا الى عبد الله فغلبت معرفته فخرج فما يهم من قبل ابي ما التي ان اتى
بالتبخير فاستقر فيما لما فكان امر فاس كما قال سيدي حلول ثم بقي ما هناك وسيراعيا
فما فلت البلاد جاء الله بمولانا الرشيد بن الشريف رحمه الله كما سيأتي ولما
كان يتصرف فيما الثوار واهل فاس يسمونهم السياب **ومن حكاية**
عجيبة سمعتها من غير واحد بفاس وملخصها ما ذكرنا ولم يزل عبد الله في
محاربة اهل فاس الغربيين من عام عشرين الى ان توفي عام ثلاثة وثلاثين وألف
بسبب مرض اعتراه من اسراف في الخمر وادمانه عليه وكان لا يقعد رفقه ليلا
ولا نهارا ولا يتعاطاه اسرارا واجهارا **ومن آثار عبد الله**
القبة التي على الخصة الكائنة اسفل المنارة التي بوسط صحن جامع القرويين
فانه لم يكن في القديم الا الخصة المقابلة لها التي في الجامع المذكور

خاتمة حدثني شيخنا الفقيه الحافظ ابو الحسن
علي بن احمد قال كان شيخ شيوخنا الفقيه الامام ابو عبد الله محمد بن احمد ميارة يقول
ان احمد بن ابي شهاب الذي تقدم ذكره قبل من الفقهاء اخبره ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال ان الحديث الذي مذكور في كتاب الجامع المذكور والمعارف للجلال
الدين السيوطي

ذكر الخبر عن بقية اخوة زيدان
ابن احمد المنصور الى ان توفي

كان زيدان من لدن مات ابوه في محاربة اخيه اخوته وابنائهم ومقاتلة
الغالبين عليه من الثوار الذين تقدم ذكر بعضهم ولم يزل فمعه في كل
سنة من ايام دولته من هزيمة عليه او وقيعة بأصحابه ووقعت بينه

وبين اخوته

117

اخوته معارك يشيب لها الفطيم وكان ذلك سببا لخلاء الغرب وخصوصا
مدينة مراكش ومما غض من نفس زيدان واستولى عليه به على بشل ربح من
سعد الله في بعض الوقائع بعث الكاتب عبد العزيز الثعالبي بعشرة قناطير
من الذهب الى ملك اصطنبول وطلب منه ان يمده ببعض اجناده كما فعل
مع عمه عبد الملك الغازي فجهز له السلطان العثماني اثنا عشر الفا من جيش الا
تراك وركبوا في البحر فغرق فواهم يعني ولم ينج منهم الا غراب واحد فيه شرذمة
قليلة وكان زيدان على ما وصفناه قبل وقع بينه وبين ابن اخيه الشيخ وولده
عبد الله حروب عظيمة وأوضحها ان عبد الله لما سمع بنزول النصارى على
العرائش استصرخ الناس وحضهم على الذهاب للجهاد فتحيزوا الى ذلك
وعزموا على اغاثة العرائش فلما علموا ان زيدان اقبل بناحية ادخسان
ونزل بمحارقة ووضع انقاضه فانهزم الناس عن عبد الله ودخل الشراقة
فاس فبعث زيدان قائده عبد الحميد بتشكير ووعدها النصر واقر الجماعة ان يبنا
درب ضمه فنزل المناجر الى ان نزل باب السلسلة فقام في وجهه بعض
السياب من اهل العدوة فجرحه ورجع وقد بلغ الامر فبلغ الامر لزيدان
فاكلوا السبيل في اهل فاس وحكموا فيهم السيف ثم قدم وسكن روعتهم
ونزل زيدان بوادي فاس فخرج الناس للقائه وهو غاضب عليهم فاستولى على فاس
واخذ بسبب اعيانها ومنهم بقتل المائتين ولما كان الله سلم **ثم** ان العرب
اجتمعوا عند النقطة المعروفة في نحو ثمانية الاف فخرج اليهم زيدان ومعه عدد
اكثر منهم ولم يبق معه الا ثلة قليلة فراوا زيدان امامه ابلا قليلة فقصدهم
فلقيه عبد الله بن الشيخ فضرب عبد الله بن الشيخ مع ان زيدان فانهزم
العزل والمهم فتراجع اصحاب زيدان اليه ومن الغد رجع لفاس فخرج اليه اهل
فاس يتلقونه كبارا وصغارا فظهر انهم قصدوا الاستهزاء به فامر بهم
فسلبوا رجالا ونساء بعضهم ينظر الى عورة بعض وكان عدد السلب

بلغ

نحو عشرة آلاف كسوة ودخل أصحاب زيدان فاسا فنهبوها وفعلوا فيها الأفاعيل ثم أمر زيدان بتسكين الروعة والأمان وكان ذلك كله سادس رجب عام تسعة عشر وألف **فلما** جاء عشر من الشهر نزل عبد الله بن الشيخ براس الماء وخرج له زيدان فهزم زيدان وفر من أصحابه نحو الخمسمائة ومن بحلته التي نزل بالحمسان وكان هذا آخر رجوع زيدان لفاس **وفي** كتاب ابتهاج القلوب في أخبار المجذوب ما صورته تكلم الشيخ الرباني سيدي فلان يوما في ملوك وقته فقال أما الشيخ فيعطي العرائش فإن أهل الله قد دفنوا أوتاده هنالك حتى يموت فلم يعرف ذلك الموضع الذي دفنوا حتى مات به حوز تطاوين بموضع يقال له فج الفرس وذلك سنة اثنين وعشرين وألف **وأما** زيدان فقال فيه مولاه واحد يسير بحاجه يسير برجله لما الكلون السنبل في أهل فاس ضربة حيث وراء وادي العبيد فلما جاوزه أدبرا فلم يرجع لفاس بعد ذلك اهـ **و**اقتصر زيدان على مراكش ونواحيها **و**كان رحمه الله غير متوقف في الدماء وقد مثل بالعلماء وهو الذي سم الفقيه العلامة قاضي الجماعة بفاس سيدي علي بن عمران السلاسي بعد أن امتحنه للأمر بلغه عنه **و**في أيام سجن القاضي المذكور كتب له الأديب الكاتب أبو عبد الله الكلالي ما نصه

أما لهلال غاب عنا سفور ويجلو به خطب دجاه يثور
تصرم لوقتنا المحطم الأسى فأنت عظيم والعظيم صبور
سيعقب ما جمر قد مضى بما الكم فالبدر من بعد الكسوف منير
وتجلى رسوم المعالي فتغتدي بكم تبتهج من بعد الجمال فتشور
أيا حسرة عيني على العين إذ ازل معيما عليه ما أقام ثبير
فقع في ماء من بقايا وداد كم وفيهم عهد سابغ وغدير
عليك سلام الله ما هطل الحيا وغنت بأغصان الرياض طيور

قال منشدها أنشدته له بمجلسه فبكى حتى كننا أنه سيهلك

ثم

118

ثم اقلني وقل لبعض الأمر من قبل ومن بعد فراجعني رضي الله عنه بأبيات وهي

تعتو على زهر الربيع شهور فما هي إلا روضة وغدير
هزمنا من الصخر الجريح هموما فأنت على جند الكلام أمير
بنو كذا هذا الوداد وإنه سائر وا وقلبي بالهموم كسير
متى وعسى يثني الزمان عنانه بعثرة جد والزمان عثور
فتدرك آمال وتقضى مآرب وتحدث من بعد الأمور أمور
عليكم سلام الله مني فإنني غريب بأقصى المغربين أسير

ومن نظم القاضي المذكور مخمسا بيتين لأبي العباس المنصور تقدما

وما في يحق منه يا قومي فاتر فيا عجبا من فاتر وهو فاتر
ولما اجتنى حب وما لي ثائر كمرفت هماه وآلاء سود غوادر
به فتولى في الهيجاء كيف يشرد
ألم تر أني مغرم ومقدم وفي الحب والهيجاء ... وضيغم
وكنت أبالي بالخميس العرمرم فعلمت آساد الشرى كيف تقدم
وعلمت غزلان النقى كيف تشرد

وكان مقتل الفقيه المذكور رحمه الله في مهل ربيع الثاني عام ثمانية عشر وألف **و**كان زيدان فقيها مشاركا متضلعا وله تفسير على القرآن العظيم اعتمد فيه على ابن عطية والزمخشري **و**كان كثير المراء والمجادلة كما وقع له مع سيدي أحمد بن أبي القاسم الصومعي **و**له شعر لا بأس به منه قوله

أملكتنا سوالف وخدود وعيون من محاجرها زنود
ووجوه تبارك الله فيها وشعور إلى المناكب سود
أملكتنا الظباء فخرا له وخضعنا لها ونحن أسود

قوله مررنا بقنطرة أبي وسط روضة عليه من النوار مثل النمارق

فقلت لمن هذا فقالوا بزلة ترحم عليه انه قد نعا ‧ شق

وكانت وفاته رحمه الله في المحرم فاتح سنة سبعة وثلاثين والف ودفن بجنب قبر ابيه من قبور الشرفاء بخارج قبلة جامع المنصور ومما نقش في رخامة على قبره

هذا ضريح مربع نفحتهم المقابر ‧ زيدان سبط احمد منتهى الاماني

حامي حمى الدين ‧ وموشئ رضوانه ‧ بكت له ابوابا ترا اجلا من خاص الدنيا

وللاعماد فاهوى لازالهو بهم رحمة الله عليه ماهو ‧ ومن شئ رضوانه

نفحة كل عام ‧ ارخ وفاته منه عزاء جار الرب عام ‧ بجعفر الضرو على

ابوابه في الناجر

ووزراؤه الباشا محمود ويحيى اجانا الوردكي وغيرهما وكتابه عبد العزيز بن محمد الثعلبي والقشتالي عبد العزيز كاتب ابيه وغيرهما وقضاته ابو عبد الله الرجراجي

ذكر الخبر عن عبد الملك ابن السلطان الشيخ بن المنصور

قال في شرح زهرة الشماريخ لما توفي عبد الله بن الشيخ ولي بعده اخوه عبد الملك في شعبان سنة اثنين وثلاثين والف ولم يزل مقتصرا على ما كان عليه اخوه الى ان توفي سنة ست وثلاثين والف

ذكر الخبر عن احمد بن السلطان زيدان بن المنصور

قال في شرح الزهرة لما توفي زيدان قام ولده احمد ودخل فاس بعد وفاة ابيه بستة واربعين يوما وذلك يوم الجمعة الخامس والعشرين من صفر وصار يضرب سكته وفي ثالث عشر شوال قتل ابن عمه محمد بن الشيخ المعروف بجعفر زغدة زاد بالعقبة وفي احدى عشر من ذي الحجة سجن بدار الملك من فاس الجديد ولم يتم له الامر

ذكر الخبر عن السلطان ابي مروان عبد الملك ابن زيدان ابن احمد المنصور وما وقع فيها

ترك زيدان من الاولاد عددا منهم عبد الملك والوليد واحمد ومحمد الشيخ وغيرهم ولما توفي زيدان بويع من بعده ابنه عبد الملك المذكور ولما تمت له البيعة قام عليه اخواه الوليد واحمد المذكوران فوقعت بينه وبينهما حروب ومعارك انهزم منهما واستولى على ما كان في يديهما من الخيل والعدة وكان فاسد السيرة منحوس النصيبة وبلغ من قلة حيائه انه تزايد له مولود فاكمه انه اراد ان يحتفل بسابعه فبعث لنساء اعيان مراكش وخدامه ان يحضرن وكلهن هو لمنام في داره فنظر للنساء وهو منتشر فدعى ثيابهن فانتهى الحجبته بعض منها وكان مدمنا على شرب الخمر الى ان قتله العلوج وهو سكران بمراكش يوم الاحد سادس شعبان سنة اربعين والف ودفن بجنب قبر ابيه ومما رايته منقوشا في رخامة على قبره

لا تغضب فان الله منان ‧ وعنده للورى عفو وغفران

ان كان عندنا اعمال ومعصية ‧ فعند ربنا افضال واحسان

ووزراؤه محمود باشة العلج وجودر ويحيى اجانا الوردكي وغيرهما وقضاته عيسى بن عبد الرحمن السجتاني بمراكش ومفتيه احمد السبلي

ذكر الخبر عن دولة السلطان مولانا الوليد بن زيدان بن احمد المنصور

لما هلك السلطان مولانا عبد الملك بويع اخوه مولانا الوليد بن زيدان سادس شعبان سنة اربعين والف قال في شرح الزهرة وكان الوليد متظاهرا بالديانة لين الجانب حسن سيرته مع الخاصة والعامة وكان مولعا بالسماع لا يغفل عنه ليلا ونهارا ولم يزل مقتصرا على ما كان لابيه الى ان قتله الاعلاج وسبب ذلك انهم طلبوا في مرتبهم واعطياتهم على العادة وقالوا له اعطنا ما ناكل فقال لهم على طريق التهكم كلوا قشر الارنج بالحسرة فغضبوا منه الى ان نزل له اربعة منهم فقتلوه غدرا يوم الخميس الرابع عشر من شهر رمضان المع

المعظم سنة خمس وأربعين وألف وكان الوليد يقتل الأشراف وأبناء عمه وإخوته حتى أفنى أكثرهم وفي أيامه وقع الغلاء وفي عام ستة وثلاثين وقع الغلاء أيضا وفي عام ثلاثة وثلاثين كانت زلزلة عظيمة عند فجر يوم السبت الثالث والعشرين من رجب وفي خامس شعبان من السنة نزل برد عظيم قدر بيض الدجاج وأكبر وأصغر وفيه حجر عظيم منها نزل على خيمة فخرقها ونزل وذهب أهلها وبقي لم يذب نحو ثلاثة أيام على ما قيل وكان الوليد محبا للعلماء مائلا لهم بكليته متواضعا لهم وألف له القاضي علي الهيبي منظومته الشهيرة في الفواكه الصيفية والخريفية وألف له القاضي عيسى بن عبد الرحمن السكتاني شرح صغرى الصغرى للسنوسي ومحاسنه رحمه الله كثيرة

ذكر الخبر عن دولة السلطان مولانا محمد الشيخ الأصغر بن زيدان بن أحمد المنصور وما وقع فيها

لما قتل السلطان مولانا الوليد كما شرحناه قبل اختلف الناس فيمن يقدمونه للخلافة ثم اجتمع رأيهم على مبايعة أخيه مولانا محمد الشيخ والقواد والعبيد الذين أخرجوه من السجن وكان أخوه مولانا الوليد سجنه لأنه كان يتخوف من شق العصا وانتزاع خاتم الملك من يده فبويع بمراكش يوم الجمعة الخامس عشر من رمضان سنة خمس وأربعين وألف ولما بويع سار في الناس سيرة حميدة وأمن الجانب للكافة وكان في نفسه متواضعا معرضا عن الشهوات متوقفا عن سفك الدماء مائلا للراحة والدعة إلا أنه منكوس الراية مهزوم الجيش وبسبب ذلك الحلم يصف له ما كان في يد أبيه إلا مراكش وبعض عمالاتها وقد نبغ عليه بلامن مشتوكة بخارج باب الخميس من مراكش وقاسى في محاربتهم تعبا كثيرا ولم يزل بينا وبينهم القتال إلى أن كانت له عليهم الكرة بعد أن هزموه مرة وثار عليه أيضا قبيلة الشبانات بعضهم وكانت الملاقاة عند جبل الحديد فهزم هزيمة شنيعة وكانت

بينه وبين أهل زاوية الدلاء معركة انقشع غبارها عن هزيمته وذلك بموضع يقال له أبو عقبة أحد مشارع وادي العبيد وفي أيامه قويت شوكة أهل الدلاء وانتشرت كلمتهم في بلاد المغرب وضعف هو عن مقاومتهم وعجز عن مقارعتهم وبعث لهم قاضيه العلامة أبو عبد الله محمد المزوار المراكشي يطلب منهم ترك الشقاق والرجوع إلى اجتماع الكلمة ويعيب عليهم بأن أباهم الصالح سيدي محمد بن أبي بكر كان بايع أخاه مولانا الوليد قبل زيدان والتزم طاعته وأنهم أولى الناس باقتفاء طريقته واتباع منهجه فلما بلغهم القاضي المذكور وأدى الرسالة ونقم عليهم ما في الغيبة وبغي نفسه اعتذروا بمسائل وتعللوا بوجوه وقد وقفت على رسالة كتب بها مولانا محمد الشيخ المذكور إليهم بعد رجوع القاضي المذكور إليه من السفارة وقد اقتصر الحجاج إليه منها بعد الخطبة وانتصب عنا الغرض لتربيتها لشنوف العتاب المعتبر. من منهم في دقائق المجاز مرابطون. وفي حقائق الجواز غابطون. أما بلغكم ما قال الرواة. ولمن لورود الشراب محتاج. السيد أبو القاسم بن إبراهيم والسيد محمد والسيد محمد الحاج. ومن لنشر صحف الرحمن منهم فتهابون. كالسيد المسناوي والسيد عبد الخالق. وإنه قد أبلغه فصل أيقظكم من الغفلة العظيمة التي كان ذلولكم كطلوع الشمس من المغرب لقبلتها. واستمر كان ظن الحجيم قد سبقها وتبعها. فما هذا منكم استحقاق لحقوق الخلائف. أو تعام أو تصام عما يجب على الرعايا من لوازم الوظائف. هذا من العار الماحي لصحف المناقب. وإنه يلوي بن تزخاه إلا مسيع لا يحل لشيعه العواقب. وخصوصا مثلكم الذي شق عصا الشقاق. وشرع في أبرى الإسلام في استئصال القبائل في الآفاق. وكنتم لا تزورون لباس الفقهاء ولا الشواش. والذي أن جسر كم على وجه الغرب فأخذكم بعده المغتر محمد العياشي. فنبذتم موائد الضيوف.

زاير

العيبة

وتعلقتم بالاحياء والتسيوق • واما فكم اضطراب القبايل رفع وقوع الجوع
وموقضى به فهو تعذر عليه الرجوع الى اوانكتم من ازمتهم الرعا
يا وكل عمير من رباه تازالمو واحد العبيد • فاستحليتم سكر الجبايات
من اهل برابز والبعضة البراق جعلتم منه ما لا يتحكم • بواسطة الغزا
في والمشتهى عن غيرانه تتعقبوه على افاقة جندولة اتبع به اهل شيع
الموعسات وشيئا كثيرا العساكر والشراب • ولم ترتقبوا فكرهم ومعكم
عن عماء عموم البرابر وافعدكم في الغبار على اهل سرة وفي بيوت الله
على الكراسي والمنابر عقوبتم علينا معشر الثوار وكل الزيان
من كل عزاء وشعبة • لتنكروعن فيه فبوضنا اليكم معطلة صعبة
وان ان فرو بى اير قبيل النعوس الملك اضحا امره وسرايلغ الشوس
وهذا الغرب لا يخلو اهلك انا من فوا ميسر كل كاهن ومن اعمر فرقا ومقسي
فيه البوقة خاملة وتصبح بالخلب والمنعار • ومعاد اللهو والنبع
والمجون • مثم الزوايا والزار اثانه والعباد بين واهل السوان والسجون • للاكن من
عقعته بيناه للابنكي املنالكم واملنالكم لعوايركم من العباد والعام • ○
فهلعتم لنا في الهعنان عهد ونعام • لم تغلم العقراء اهل بحرمة جاه الرحيل
على علمي او زواج لسماع التسبيح الجميل • وهتم اهل من دعوناكم لعقد البيعة
الواجبة لنا على كل من الكاعز وعصا • من وجهة الرحمن ود السوس اهل فقا
فتنزهدكم فيما يقوم بحق تلك الزاوية واهلها • بشرهان تبيعو من استغراق الغفلة
جبلة اهلها موار افسكتم افراء اهل نفاد • عن سلوك سبيل السداد • وقبول
هو له • فاذنوا بحرب من الله ورسوله • بعد شيعنا اليكم وفيمنا وفاضينا
ابا عبد الله محمد المزوار قصد حقنوا ومبا صره وانقلب عن الحاجرة ازد ى
وافيح رده لونم نبا الكم بالعكم والذكر • قام فيما فيما اسلف وصيعنا الامين
عبا وله السوسي فاشاد وشيخ الشيخ السيد محمد بن السيد ابي بكر وقد نستم

خاص

خالص عن ضه بانه لنا عليكم تبرير وبصيرة بما انهوناكم عليه غير الحصير
وبعض علينا دون ان يمحصه اي عين الزحش في البلاد • وان يسعنا ان ندعكم نع
اشراف سجلماسة وبني موسى وتلعبوا بنا كبيرا الغالية في القبض • لا يعنيهم عناء
غلته اهل بوحن المسا التي تكلفه الرفض • وحامل الغرض تودية البيعة
كما عقدها ابوكم اهل بر الجواد المرحوم الفاضل الجميل • هل حيينا اهل رضى مولاي
الوليد • لتشهد كلمة اهل سلام لو فعلتموه فتعفى اثركم جموع المتجعين
واهل فضلهم وان عظمت عليكم مفارقة الراس والركبة واهل بي فانظروا واصيحة
كلموني عليكم كطلوع البدر على غسق الليل بخضع وخضم بين الزمات والخيل ونوع
بعدكم دولة اهل شراف الصحراوية • وقلو على زاوية الساحل التي ان تعود
اهل ياية الشيخية عملوية علانية • بصيت الذكر • او نشو تحفيض بني شعيب
ابن ابي بكر

وكان جواب اهل زاوية الدلاء

عن مثل الرسالة ما صورته باختصار وال زابر مجد الله اهل اي مشهوركم
اهل حرسها وحد مساحتنا سلب منا اهل الذهان والعقول فلا جارحة اهل
ولنا حصة من الهنبر • فكادت الجبال ان تنسف المشايخ فضلا عن الجنين
فيا له من صوت الزجر الذي لا ينسى علينا كقول السنين • اسمعتنا عزابا لم
ترمرارتها على امثل الزمان ود والغابر لو وضع ثقلها على جبال لنهض
اهل المغارب • حتى سمعتنا بالزلازل في اصوات الجزلة والهوان • وما نحوا اهل
غزو كل من له حرفة وحمة وهمة وانه عقيل قريب واشارات الاعلاج
المجبولين على طبائع الخزع والغش على قواعد ما لكم هنالك من عريل العش
ومن الدليل الشامل والبرهان • فتكلم باقتب مع مشورة النسوان • على
غي من الجبر والزيوان • فلا تزعمن يجزم موئلا ومن سلبوا روح جرم الشمى
من غمر الجبس وحملوا هامته في مخلاة من مسد • وايم الله ليرد امواك في
الغرب بهانة • حتى يطلقوا علينا ثلاث از لهانة وأما خبر بيعة

جواب محمد لهم وهو يونع

والرنا رحمه الله لكم لم تزل النائبة في ابن عثمان ولا ينبغي ان تعاد بتكرير • كالعبير لم يغرد
وانيطا منعنا من تحريرها انسلال البربر عن ساحتنا بيكون اقوى سبب لقصيمتنا
واجلماهذا ابن جرل الذي لا تعود سموم الليالي في لاحرارة فيئ المصيبة •
مولانا محمد بن مولانا الشريف عقاب اشهب على فئة كل عقبة ثم يقنعه
عن الماء دون جسم الرقبة ونما عن فنا عقلة بشرا نعار الشعوا على شعاب
شعوب ملوية او يبيض حيوشه على ربا ها تارا بالرايات والالوية • سيما وجناحاه
ذو النفوس النفيسة مجرب مهما جة ودخيسه • بزات النزوات • بالحملة والحما
ل والغزوات **والعياشي** لما تغلبون كانت همة مجرد اولا لحملة اهل
اهل الشرك • ثم من هو الخطا الرجبة الملك **واما وصفكم**
ابن مير مبارك السوسي حيث اناخ علينا كلكل الفاقة لاحتجاحكم في الوالدين
رحمهما الله ... حفه الطاعم والباكس • حتى لختم يعين الحقيقة ارجاء
واغوار المواكن • ونحن ... حالة مع العتد هي التي ارخصت لنا في سوق
خواكم كم ابن سعار • الى ان اخصبتم لنا بغر الزمن حبايل ابعاره الجالب للا
دعار • وجه فيا بلنا فتنشد منبردة على فمه حيوب الصبا • ومن عاينهم
متعرين على الخيول برمح ومن مرمع ومن سيف • مجالهم على غرة غنيمة باردة
ومن علم انهم اعوال الخيل مادرة وواردة • فإن كانت معاينته هي التي
الاعتماد على ان يعودهم بغير العز نوايب • مبادرين اوكتيه الخا والجنايب • من ركب
الخيل النفيسه دون راكب الحزن • لا ترضى همته ان يهان ويحزن • فالميل السير
محو المزوار حيث عماير وفود ابن قايم متنشرة كالجراد على الازقة والادراب
ذو من لزم ابن نواب • تحقق حيانا ان انتظام شمل الملك والمملوك لا يكون
الا على عظماء الملوك • وبغض عليكم وعلى من حضر ما اعتقدوه سمع
ونهى وهو ان فصرة الغرب او حضر فاس • لا تنالكم من جانبنا
مساءة ومن باس مقبعا ان يكون لكم في المدينة البيضاء الحرية والفرية

ذكر العياشي

يكون

يكون لنا بغير اليه هكم ابن خنبار • ثم ان فيه منه او نتزل لك الزيار او
تشتمي خبر هو مثلك شريف عفيف وسلطان • له شرف او اكثر منه في
ضبط ابن وكان • يجعل بلا اذ حال الغشورة بالسلاه وتلقى بهانة من
شاه • بن شنار ابن فشاه • ايما الغرب غلب منوط لما له على الرغم
ما كلب • وان فتحت بحوز الحمراء من مراكش • ووقفت عمنا معانات
العراش والشواش بن عنا ومراعاة من تجارقه الرياسة • وهممته
اشتراء نفيس السياسة • من غلام غلاب سجلماسة **واما صاحب**
ابلغ الشوش • فما امراه وحديه ابن غنيمة سلامة ابن عراف
وبجره سلب النعوش • وفيما تلونا عليك من النعم كفاية قلبس
عادة وقتنا مستقرين في حرمة ابن خنزاع والعرفا رقنعم • وان زاهمتنا بكف
العدوان بيرا بعد ما منا من الحكم انه زعم • وان حرفنا مناخ عزم
فصل على عمهم واجر العبير او الربيع بجمع الله من يشترو يبيع والسلا
م وكتب عن جمهور اخوانه عبد الله المستنصر بن محمد بن ابي بكر الدلائي
في يوم ابن عشر وعشرين رجب **وفيما ... امولانا**
محمد الشيخ نعاصي اهل زاوية الدلاء
عليه واستحكام اهل الغرب لهم وتقويهم بالعدد والعدة ... وعنانه
عن مغارمهم ومال الى مسالمتهم وقطع النظر عنهما في اثريهم وقد وقفت على رسالة
له كتب بها مولاي محمد الشيخ لمولانا محمد بن الشريف الحسني السجلماسي لما
بويع بفاس يهنيه بالملك ويعزيه من اهل المغرب ويعتذر ... من انشاء وزيره
الغايب محمد بن يحيى اجانا وفي آخرها قصيدة من انشاء الغاير المذكور
وهي

يا شبل مولانا الشريف محمد ‖ شمس السعادة والهلال الاكمل
ملانا مهما ابتنا الهمة معربا ‖ فزهت بشم فهما الحبها ومؤمل

أي

صغ الصفاح على ابن عمران رايل | عزوا تغيم وفي الملاحم يستل
أنباءه البيض الحداد صوارم | فالكفار لها رفير وابل
فجناحه الجرد العتاق وان هشرن | الى تلمسان وهيش الساحل
هذا له نوار ابه فالبيم عنوة | والوحش فيه تغيم غار النمل
فلكتبنا او عمقرن عزوفا في الوغى | حلت العتاق به فيها المنزل
يا ايها الكاسعون به او كافة | فيما قضى وزهى به المستقبل
نادى بنا النصر العزيز بغرب | والكل على باس الجرير الكلكل
واعز كما عز الغراب ولا تكن | كالغمر يطمع او مهاله الكلكل
واعمل تعز ولا تراخ كاهلا | تردي العداة وتحمي معمدا العزل
لا تنصر من جنل الذي ابر وامحهم | حتى يهنوا على الجواسيس من خلل
لا تلقوا ابن عم ابي في افق البنا | وافنع بطاعة من يجور ويختل
وعليك بالغارات في اوطانها | بكتايب تنسي الاذات وتفتل
واغضض ولا تردي بجار وعراين | يبغي عليك السن ذا اما مسبل
لا تنس من هص فاسر صاحبنا | او حاكما يهمل الامور ويفصل
كالبغل عاد فيه العار وازعرا | في مربض فيها استغر طير كل
لا تقبل الى الصلح خابرا | فبغوا اهل الغرب حتما يرحل
واعلم لبيت الملك اوتاد الكل | تزداد حينا في الغلوب وتغبل
والوفود الغرب واعرف قدرها | بفزور كل قبيلة لا تجهل
وانسخ بريدي على العبا المسنة | واذا اغمضت عن وعن عزل تشغل
هذي وطايا فران مغوصا | في ء لغ فانها ابن و ل
بمتي شدتم المعالي رحالنا | يا ابناء نصر والعادي تحتزل
بن خير مختلس احكام الغضا | والله يفعل ما يريد ويفعل

فأجابه مولانا محمد بن الشريف بقصيدة ختم بها جوابه

عرفت

الغبار ل

ص

من انشاء الفقيه العلامة السيد محمد بن سودة وفصيحها

انجي الشيخ بن زيدان الزهي | بحر الخلايف والسما ابن كمل
فلقد اجبتما عما كتبتني | تترا ونظما كنز ترى ما تمثل
اني ابنك الله وصايا جمة | انما للنصح المصرح تقبل
بالبر منتى كهول الزفاء اللذي | الهغار ملكا كل يوم ترحل
والزهر ينبع في رياشهنا حكم | وبنى نسر من الصبا ما تغسل
فامن خليقة ذاق لذة راحة | ان تجلله المواد فيسبل
ومن احرى من كثر شغافوا | تعوي عليه لكل عادي معقل
فتمنى الخير عمه بكل فنيصة | حتى يصاد كما يصاد الفعتل
فاستيقظ من الخمار ومن زعمي | عما من اساد الغضا لا يغفل
وانفض غبار الذل واخلع ثوبه | فذم اذ وجهك بهجة ونبل
ضيعت ملككم في الزهو وتركته | للحزن في دار الوداقة ثم لل
وركنت للفعل الاديف وغادة | يزمنوا البديع لكم اذ لعاتر قل
ولذا زعمت دوام مبينة همة | وتسيم في سنة عليكم يسبل
دع عمنك في الخمر امر وسعو جل | ومن ربلابه زعم او قلعل
واركب مطايا الصافنات الى الوغا | اما تحوز مزية او تفتل
وافرع كيبولا للرعيات وفي الوغا | يحيوا الى الحرب العوان المحفل
وحض الفقار ومن يحاول درع | واعمل العنا وفي الهيمر المنصل
خاب يتعسك في العنا وجايلا | ترمي العدو وكل لبل منزل
وامطر بها رحل بالنبلاو وبعد هاعقباتا وتزلكل وابي جرل
وفر الجيوش كما الوحوش ولا تزع من بعض افرط تزجره فيفعل
جنبا اهابنا الجبر في تدبيره | واعلم شجاعة الذخاير ينزل
لا تجعلن من العلوج بطانة | فكفى بما الغدر البليغ ابن عجل

خ دور

خ العذار

أما الشبانة فلقد رزوا من عيشها — لا بد تغير بالأيام خيم وتخذل

تهوي أعالي دولة لنفوسها — وترد من وادي جنابك يجفل

تغدو عمليات الزمان بغير نفورة — فتعود أيام السعود وتقبل

فإذا أوردنا أبواب حلاوة — من حزمه حتى مساء المحفل

وإذا امتثلت جواب من هو ميت — يمضي الزمان لكن وديع المنهل

وكان في أيام مولاي محمد الشيخ رحمه الله رخاء نعمة وعلاء، فتح عام ستين وتوفي رحمه الله عام أربع وستين وألف، ودفن قريبا من أبيه بقبور الأشراف، ومما كتب في رخامة على قبره:

لئن سماوات العلاء أفول — وفي ذي الضريح كان منه نزول

محمد الشيخ بن زيدان عامه — همام بحر العالمين كفيل

إمام إذا نام دوا الناس بفضله — لدعوته في الصالحين جميل

حبا الله ذا العرش جم نعمه — بما هو في العدو ومنه نزيل

وزاد في بيتين إجابة ولي محمد وغيره مما وقفنا عليه عيسى بن عبد الرحمن ومحمد المزوار

ذكر الخبر عن السلطان مولاي أحمد العباس بن مولانا محمد الشيخ بن زيدان

لما توفي مولاي محمد الشيخ رحمه الله كما ذكرناه قبل بويع ولده مولاي العباس سنة أربع وستين وألف، وقام مقام أبيه في جميع ما كان بيده إلا أن الشبانة وهم أخواله فوثبت عليه شوكتهم في أيامه وعلا أمرهم عليه وتبعوا أهل الملك ورأموا الاستبداد به فضايقوه وهاموا به أكثر اشتهرا عليه. ولما رأى أنه إلا مرادهم براء الاشتراك كلمته في أن يذهب إلى أخواله ويأخذ بقلوبهم ويزيل ما في نفوسهم عليه فذهب إليهم فلما تمكنوا منه قتلوه غيلة وأقبلوا لمراكش مسرعين وبويع فيها الأمير عبد الكريم بن أبي بكر الشباني ثم الحريزي كما سيأتي إن شاء الله تعالى، وكان قتله سنة تسع وستين

قال

قال المؤلف رحمه الله: وقد أذكرني هذه الجملة قول مولانا محمد بن الشريف في قصيدته السابقة:

أما الشبانة فلقد رزوا من عيشها — لا بد تغير بالنعيم وتخزل

فإن الأمر وقع كما قال مع أن مولانا محمد بن الشريف كتب بالقصيدة المذكورة لمولانا محمد الشيخ في سنة تسع وخمسين وألف، وغدر الشبانة بمولاي أبي العباس سنة تسع وستين، ولعل مولانا محمد بن الشريف تلقى ذلك من بعض أهل الكشف أو نحوهم فإن كلامه كثيرا ما يقع فيه نحو ذلك. وبموت أبي العباس هذا انقرضت الدولة السعدية وهاج فيها الفتن وقام كل ثائر بملكه ولم يتحول سلطانه، وكانت مدة هذه الدولة السعدية نحوا من مائة وخمسين سنة وعدد ملوكها على ما سلف بضعة عشر ملكا فالله تعالى يرحم جميعهم وينفعنا بهم، فلقد كانت أيامهم في جبهة الدهر كالغرة والحجا وأوقاتهم في وجوه الإسلام أعياد ومواسم، والخلافة عند الله تعالى قدر عظيم لا يجهله إلا من جهل العرف من أهل الحصباء والذكر الحكيم، ولقد تجنبنا التعالي في الزمن حتى بعض من يستحقه منهم سترا للاعتراض ووعيا لجانب الخلافة فإن الملوك إن كانت لهم هفوات فلهم محاسن وحسنات فلا يبطل حقهم سيما وهم أولاد الأشراف الزين.

فهم فتقوا لنا المجد من غرس العلا بأكفهم — فلنعم غرس الغارس

هم لباب المجد عزة أنفس — وذكاء ألباب وطيب مغارس

خاتمة الغائبة أمره وإن وجد بخط ابن عمار رحمه الله ما نصه: استغفر ابن الخطيب رحمه الله في كتاب ابن عمار فيمن بويع قبل الاحتلام أن الدولة تختتم بما افتتحت به ومصداق ذلك في عمر الحق فإن به ختمت دولة بني مرين وفيه بويت انتهى، وربما يحكم ذلك هنا فإنما فتحت بمولاي محمد الشيخ إذ هو أول ملوكها في الحقيقة وختمت بمولاي محمد الشيخ إذ هو آخرهم في الحقيقة والله أعلم.

البابية الثانية في ذكر الحاكم

وانظروا بساطها

تمام الدولة السعدية ١٦٠

استقر عليه

الشيخ وغيره كالدميري في حياة الحيوان أن سادس الخلفاء مخلوع وعدوا من أول
ملوك الإسلام جماعة كذلك كسيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما فإنه السادس
وقد خلع وربما يجري ذلك هنا فإن محمد المسلوخ هو السادس باعتبار زيدان
ابن أحمد عن جد الذي بويع بسجلماسة وقد خلع من الملك والله أعلم **الفائدة**
الثالثة مما ينبغي أن يعلم الفرق بين الملك والسلطان **قال**
ابن فضل الله في كتاب المسالك ذكر علي بن سعيد أن من الملك لا يطلق هذه
التسمية إلا على من يكون في ولايته ملوك يملك مثل مصر والشام أو افريقية
أو الأندلس ويكون عسكره عشرة آلاف فارس ونحوها قال وإن زاد بلادا
عديدة في الجيش كان أعظم في السلطنة وجاز أن يطلق عليه السلطان الأعظم
فإن خطب له في مثل مصر والشام والجزيرة ومثل خراسان وعراق العجم وفارس
ومثل افريقية والمغرب الأوسط والأندلس كان تسميته سلطان السلاطين
انتهى من حسن المحاضرة

ذكر التعريف بسيدي محمد العياشي
وثناء العلماء الأكابر عليه

هو محمد بن أحمد المالكي الزياني وبنو مالك من عرب الغرب وبيته بيت خير
وصلاح من قديم كما قال الأديب الكاتب أبو عبد الله بن أحمد المكلاتي في مدحه

حديث الفضل عنكم يسير به الركب • ويبغله في مجمع الشرق والغرب
وحبكم فرض على كل مسلم • تناديه الزبور عن الله والكتب
فأنت ربيع من أضل ربيعه • بجود الرياحي في اللأواء كما سرب
سمي رسول الله ناصر دينه • تجلى بحكم افقه الشك والريب
ولم أر بحرا جاوز البحر فيكم • بجود تستمر أنامله السحب
وما يشبه البحر المحيط قارنه • الجاج لعمري في الزلال ولا العذب

وقد وصفه الشيخ الإمام أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد

مبارك في شرح المرشد المعين بالولي الصالح العالم العامل السائح فخر الزمان
وكنز أهل الله المجاهد في سبيل رب العالمين المرابط في الثغور ومن عمره حياطة
المسلمين ذي الكرامات الشهيرة العديدة والفتوحات العظيمة الكثيرة من لا
شبيه له في عصره وما فيه منه ومن نهج ومن معين له على نصرة الإسلام
ومن نصير له أبو الله الذي يتفضل به علينا وافر نعمه وجوده بين أظهرنا
بنو كما قيل

خلق الزمان ليأتين بمثله • حنثت يمينك يا زمان فكفر

البركة الغروة الجحاف الزعموي أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد العياشي انتهى
ومثل ذلك وصفه سيدي العربي الفاسي أيضا
وكان الولي الكبير العارف الشهير سيدي محمد بن أبي بكر الدلائي الذي رضي
يثني على محاسنه ويطيل في الثناء عليه وكان يقول في دعائه **اللهم**
اجز عنا سيدي محمد العياشي أفضل الجزاء وكافئه أحسن المكافآت واجعل مكانه
بتاله كشف الحجب عن قلبه حتى تكون أقرب إليه منه اللهم لا تحرمنا توجهه
إلينا وانفعنا به ثم قتله **اللهم** نفس كربته وكمل رغبته وأجب
دعوته وسدد رميته وانصره على الكفرة على من عاداه في الحق إنك على كل شيء
قدير انتهى **وقد وقفت** على رسالة كتب بها سيدي محمد
العياشي بن أبي بكر له أيضا **ونصها** الحمد لله الحليم العفو
الرؤوف • المنزه عن معاني من وصف بما فوق • وصلى الله على محمد مدينة
العلم • المشرف بصنوف السماحة والحلم • وعلى سادات أقناء آله وصحبه
وكل من انتظم في سلك اتباعهم من أهل حزبهم **هذا**
وإن المجلي بنور طلعته ظلم الظلم والفساد المجلي حزا بالعالي من
جنات النعا وعلى حيز الكساد المشتوك حبه بسوء بلاء العواد من الفتح
لنبه المكارم أزمة الانقياد وقامت بحمى الله العباد والبلاد حوزة

ومن فضائل سيدنا الحجر الغلاما

الإسلام وحمايته • وخديم الدين الحنيف وكفايته • سيدي محمد ابن احمد المحمود
الأوصاف • بشهادة من بعد من أهل الانصاف • زاده الله من المكارم
أغلاها • وتوجه بتاج الكرامة والرضى • وأمده بالانوار فوق السر
من حيث يرضى • وسلم جنابه المقدس العلي العلي المرابط المجاهد من
جميع البلايا • وأتحفه من تحفه المشاكلة الوهبية بأعلى المزايا • وأهدى
اليه من جهته وبركاته • ما يرضاه دينه العلي
لحمايته • فنشهد نحن على أنفسنا بالاقرار بفضله علينا • وانه بما يسر ويستر
وما يخفى بتضرعنا • على جميع ما يعنينا من قوله ومعنى إني من خالفه • يجب
لا يمكنه أن يبرح مع ذلك بنوع من المخالفة • وإن الضار بالعين قد بات
نماء • لا كل النفوس إلا نسانية مجبولة على جهلها ونسيانها • ومن أفضل الذكر
مقام الخدمة والولاء فمن أساء منا فإنا إساءة نطلب عنه وعد • وكلنا منعمين
او هانع ومعاملته بالصفح الجميل • فلا يزال الإنسان إلا من عصمه الله
يستمد الأثر قليل • ولولا الحرارة ما عرف الظل • ولولا الرذائل ما عرفت الفضائل النهاية
في العمل • وما عرف العقول لولا إساءة • ولا يغار العبد الجزوء إلا مما
أساءه • وما عرفنا صاحبه الأعلى بالجناب كل من لمح بريقه • فإنه خرج عن نظره
يفيد إنه إنما العلم من حيث لا يحتسبه اهـ **ووصفه الإمام العالم**
الحجة أبو عبد الله محمد بن قاسم الرعي في رسالة وقفت عليها بخطه بأمير المؤمنين
سيدنا وسيد المسلمين وناهيك بها شهادة على علو منصب الرجل وقال الإمام
الشهير أبو محمد عبد الواحد بن عاشر في مدحه

يا حادي الأضعان في الرياش	أبلغ سلامي محمدنا العياشي
من فضله قد بان وغدا عنه	اشهر به الركبان والحواشي
كهف الورى وعمدة الابرار الرضى	من بره وفقه الإمام الفاشي
له سيف صارم وفاسم	كم العراكيب منه والناشي

ثم

١٢٦

زهرة الشماريخ في علم التاريخ
لأبي زيد سيدي عبد الرحمن الفاسي

كم غصة جرعها من رمى	حار بما وافقهم والحاشي
يا كم عند اللغا من الشقا	من معلى الأرض كما الحواشي
يا مسلمين تعنيكم حياتكم	ما عاش فيكم سيدي العياشي
أقام لا يخشى إلا مام الكل في	خلا إلا وهو الحبر العراشي
يا عاذلي في حبه عذلك دع	ولا تحركني حركة الواشي
إني امرؤ بالحشر مفتون وغني	جميع لوم لا يبقي عاشي
هدية الى الكرام ابرزن	سلام ما الصبا عن النعاشي

وثناء الناس عليه يطول بنا تتبعه وفي هذا القدر كفاية

ذكر ابتداء أمر الشيخ محمد العياشي رحمه الله

قال الشيخ الحافظ أبو زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي في
منظومته المسماة بزهرة الشماريخ في علم التاريخ

وبعد لاح نجم العياشي شيئا فشيئا ثم مات **فاش**

قال شارحها فأما مبتدأ أمر سيدي محمد العياشي رضي
الله عنه أنه كان من تلامذة الولي العارف سيدي عبد الله بن حسون السلاسي دفين
سلا وكان من أقرب التلامذة اليه وأشدهم اليه حرمة وكان مع ذلك قليل
الكلام مواظبا على القراءة والصيام وكان الشيخ ملتفتا اليه ولم يزل الأمر
كذلك الى أن شاعت مناقب الشيخ وشاعت وكثرت حاشيته فجاء له يوما
بعض أشياخ القبائل بفرس فأمر الشيخ بإسراجه وقال ابني محمد العياشي
فقال ها أنا يا سيدي فقال الشيخ اركب بحول الله بمسلوح دينا حوى أخرى لك
فتقدم مناديا بمجلسه له وحبس لها الركاب بيده وقال له أن تحل من البلاد أزمور
وأنزل على أولاد أبي عزيز ولا بد لك من الرجوع الى هذه البلاد وسيكون لك شان
عظيم فبادر بما وضع الشيخ يده على رأسه وبكى ودعا له ثم قصد أزمور ونزل
حيث عين له الشيخ ونزل متابعا على الجهاد شديد الشكيمة على العدو

وعمارة قايد جرو الكلاير الحربية بحلق الشماشم مغرقا في مراكبها لاحجاج همرتا وفورا
بذلك في البلاد عينه وشاع بين الناس ذكره لما هو عليه من التضييق على العدو
الكافر وفرح به لذلك قائد ازمور ولم يزل على ذلك الى ان توفي قائد البعض
والبلاد فسار السلطان زيدان بن المنصور يميل بتولية ذلك الثغر
لسيدي محمد العياشي وكتب له بالتولية فمضى بامضاء ما همل ولسيدي محمد تولية
البعض وكان له مع النصارى وقائع وضيق عليهم حتى
منعهم من الرعاية والحرث فبعث نصارى البريجة لحاشية زيدان بالتحف ونفيس
الهدايا ليزيلوا عنهم سيدي محمد لمضايقته لهم فخوفوا زيدان منه وحضوه على عزله
والكف وانه مسموع الكلمة في تلك النواحي وانه يخشى على الملك منه وكان
سيدي محمد كلما بعث بالغنائم وما يفتح عليه من الاسارى لمن اكثر ازدادت شهرته
وتناقل الناس حديثه فوقع بذلك عليه قلب السلطان وحنق عليه فبعث اليه
قائده محمد السنوسي في اربعمائة فارس وامره بالقبض عليه وقتله والقى
الله في قلب القائد المذكور الشفقة عليه لما يعلم من براءته مما قذف به
فبعث له خفية ان انج بنفسك فانك مغرور فخرج سيدي محمد في اربعين رجلا
فرسانا ومشاة قاصدا السلا فلما بلغ السنوسي ازمور لم
يجد له اثرا واظهر العناية بالبحث عنه والحرص وعاقب على افلاته
شرذمة من اهل البحر ولما دخل رحمه الله
سلا زار شيخه وبات عند ضريحه وجاءه اهل سلا وذكروا له ما هم فيه
من الخوف من النصارى وان مسالحهم امتنت لواحد النجار وان النصارى
البغاة من الزمان دون العرسان وقاومهم بالتنبيب واتخاذ العدو فلم يجد
بسلا الا نحو المائتين من العدد فحضهم على الجهاد فحوا له سلطان منهما
وكان مبلغ عدتهم ما زاد على زهاء اربعمائة فخرج بهم الى المعمورة
فصادف من النصارى ومائة غزى فكانت بينه وبينهم حروب قرب المعمورة

الى ان غابت الشمس فمات من النصارى زهاء اربعمائة ومن المسلمين ما ينيف
وسبعين وهذه اول غزوة في الغرب بعد حضوره من ثغر
ازمور وضايقت النصارى عن الخروج للغابة وضاق عليهم الحال ثم
ان زيدان بعث لما بلغه اجتماع الناس على سيدي محمد العياشي بسلا
وسلامته من غدر قائده السنوسي بعث الى قائده على قصبة سلا الزعروري
وامره بالاغتيال له والقبض عليه ففاوض الزعروري اشياخ الاندلس في ذلك
فاتفق رأيهم على ان يكونوا مع سيدي محمد جماعة منهم عينا عليه ويطلعوا على نيته
واستخبار ما هو عازم عليه وما هو طالب له فلما رق بعضهم وكان
زيدان قبل ذلك بعث لقائده الزعروري ان يجهز
للزرعة اربعمائة من اندلس سلا فجمعهم اليها وطالت بها غيبتهم فجرب
اكثرهم ومالت قلوبهم عن الزعروري وسلطانه فكان زيدان يبعث الى اهل
سلا يتجر بالبعث للزرعة فابوا الانقياد له في ذلك ومن ثم كرهوه وازمعوا
على خلع طاعته ووشوا له بقائده الزعروري فبعث زيدان بقبضه فقبض ونهب
الاندلس داره وكتبوا له محضرا بكاعنة كثيرة ونعيا فبعث لهم قائده المملوك
عجيب فمكث عندهم اياما فلم يعبؤوا به وصاروا يهزؤون به ثم قتلوه وكفهم منهم
شق العصا على زيدان واخلع الجزولية ببينهم وبقيت سلا فوضى لا ولي
لها فكثر النهب ومد اللصوص ايديهم للمال والحريم وسيدي محمد ساكن لا يتكلم
وكثرت الشكاية من التجار والمسافرين بخوف السبل وقطع الطرقات فجمع
الناس لسيدي محمد وكثرت وفوده واشرقت في الجو السلا وفي اتوانه فشمر
عن ساعد الجد واظهر الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولما
كلفه الناس بالتقدم في النظر في مصالح المسلمين وافق جماعة منهم مع عهده ومنهم
امر باشياخ القبائل واعيانها من عرب وبربر ورؤساء ان يتلوا اخطو كلهم في
كمنبر بانهم رضوه وقلدوه على انفسهم والتزموا طاعته وان اي قبيلة خرجت

عمائر كانوا قعدوا به واجمعوا على مقاتلتهما حتى تفيء الى امر الله فكتبوا بذلك
خطوطهم ووافقهم عليه قضاة الوقت وفقهاؤه من تامسنا لقارة وكان
أن علماء العصر طلب ذلك انه بلغه عن بعض طلبة الوقت انه قال لا يحل الجهاد
اليوم مع الامير فعلى ذلك حرر جماعة الرعوية الواهية وان قد كتب له علماء
الوقت كالامام ابن عاشر والامام سيدي ابراهيم الجلالي والامام سيدي
النعيم القلبسي وغيرهم بان مقاتلة العدو والكافرين لا تتوقف على وجود السلطان
وجماعة المسلمين تقوم مقامه ولما كان اقتنع وبايعه الناس على اعلاء
كلمة الله ورد الكلم عن ضعفاء الامة قام الحال على عرب الغرب لا عتيانهم
الفساد وعدم الاحتكام ومحبتهم الخلاف والسيبة فبث بعثه جماعة وكان
ممن نكث الحاج بن الزبير في جماعة من شراقة فقاتلهم سيدي محمد فظفر بهم وعفى
عنهم ونكث ايضا الطالب بالتاء بدل الطاء في الشتيين مع جموعه اولاد
سيم فغلبهم وعفا عنهم وكذلك عرب الحياينة كفروا اعانة اهل فاس وعاثوا
خلال البلاد بامر ابن مولانا زيدان فقاتلهم سيدي محمد وكانت عليهم الدائرة
وتاب على يديه جماعة من رؤساء الشراقة الذين كانوا مع الحياينة وكانت
عاقبة كل من بغى عليه خسرانا

ذكر مغازي سيدي محمد العياشي رحمه الله

قال الشارح كان نزول النصارى بمرسى الحلق سنة اثنين
وعشرين والف وكان هذا الحلق نضر المسلمين ولا فواهه شرو ولما اجتمعت الكلمة
على سيدي محمد ورد الله كثيرا من فكث كان اول ما بدأ به انه تهيأ للخروج للحلق وا
شتغل لقتاله ومنازلته قريبه من النصارى كمعا في بنحه ويتغوى بذخائر المسلمين
وكان المسلمون حاصروه ايضا فلم يقدروا له على شيء وصعب عليهم الامر

وكان

١٢٨

وكان سيدي محمد اذا اراد الله ان يظفره بغنيمة رأى في نومه انه يشرب حليبا
زبدا ولما سار بجموعه للحلق ونزل عليه رأى فاقعين من الخنازير والعنوز معهما
بكار من فضة فالله انه في صبح تلك الليلة قربت اغربة من السفاين بقصد
الدخول للحلق فضيق عليهم الرماة من الخندق فارادوا ان يرجعوا للبحر
فردهم البحر لساحل الرمل فتمكن منهم المسلمون فقتلوا وسبوا ووجدوا
في الاغربة زهاء ثلاثمائة اسير من المسلمين فاعتقهم الله واسروا من
النصارى اكثر من ثلاثمائة ومات اكثر من مائتين منهم ووقع بعضها
النصارى من عفها بينهم بعدى كان رأيت اهل الجزائر وكان عندهم في قبض
من هرب ومنها غزوة العرائش وكانت سنة اربعين والف
وذلك انه قام همته للتضييق على نصارى العرائش وشن الغارة عليهم
فكمن مع المسلمين بالغابة نحوا من سبعة ايام فخرجوا بغتة فمكن الله من وقعا
بهم وكمصهم في ساعة واحدة ووقع له مع نصارى العرائش ايضا انه اخذ
هنا شاب من عرب طليق فقال له ابن عبود فاراد قتله فقال له استبقني وانا تائب
الى الله وانا انفع المسلمين ببركته وذهب اليهم وكان من ثوقا به عندهم حتى كانوا
يبعثونه للمراقب فقال لهم ان احياء العرب رحلوا فلما نزلوا بوادي العرائش قلق
غرتهم عليهم لغنيمتهم فخرجوا فلم ينج منهم احد فاخذوا ابن عبود اذ بقي
بين يديهم فقلعوا اسنانه ومثلوا به وراموا قتله لولا انه رجعهم لسترعهم
وكان عدد ما قتل من الكفرة نحوا من لعـ ومن غزواته رضي
الله عنه غزوة الحلق الكبرى وذلك ان اهل فاس نزلوا بموضع
يعرف بعين السبع ومكثوا به ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع خرج النصارى
على غرة وثار المسلمون عليهم وكانت الغنيمة وهرب بعاية من العدو وقتل
نحو ستمائة من النصارى وكان النصارى لما خرج جيش
فاس اعلمهم مسلم مرتد فاعهم وسلعا الجاه المرتد لسلا بغصر بعهما

ثم

فاخذ وقتل فعمي عليهم الخبر اذ كانوا ينتظرون قدومه عليهم بالخبر فلم يشعروا حتى
فجئتهم الخيل فاحيط بهم ولم ينج الا القليل حتى لم يبت في الحلة تلك الليلة
الا نحو ازيد من عشرين رجلا منهم ولم يحضر سيدي محمد في هذه الوقعة لانه ذهب للجبهة
هنالك على يوم السادس حيث صنعوا اسمنا والثلاثة رؤوس تنزل على اثنين والثا
والرابع يبعث من بعده فكيف عظيمة تنصر منها الفرسان والرجالة وفيها
رجع واعلم بعضهم من بقي في الحلة بعث الرايس الى فرلس يسالهم يصنعون له السلم
ليكف ما يصدر منهم لمن بقي بالحلة وبينا فلوا من صنعهم غشا للاسلام ومنا واة
لسيدي محمد حتى جاء الرد الى اهل الحلة فلما اتى له بما لم تعرفوا شيئا بعد ان
وكبهام منهالك استحكمت البغضاء بينه وبين الافرلس وكان اهل الافرلس
اعلموا النصارى بان محلة سيدي محمد النازلة في محل قرب الحلة ليس لها الا قا
مة فبلغ ذلك سيدي محمد فاقام عليهم الحجة وشاور العلماء في قتالهم فافتى
لسيدي العربي الفاسي بجواز قتالهم لانهم خذلوا الله ورسو
ل ووالوا الكفار ونصحوهم ولانهم نصبوا في مال المسلمين ومنعوهم
من الزوايب وقطعوا البيع والشراء على الشراء الناس وخصوا به انفسهم
وصادقوا النصارى وامدوهم بالطعام والسلاح وكان لسيدي عبد
الواحد بن عاشر فتيا على ذلك الراي بعينه حيث قرر لسلا الا
نرلس يحملون الطعام للكفار ويعلمونهم بغزو المسلمين فافتى بجواز قتالهم
فقاتلهم وحكم في رقابهم السيف اياما الى ان اخمد جمعهم وجمع لهم الكلمة وفيها
وقعت غزوة الحلة الكبرى جاءت الوفود لتهنية سيدي محمد بما فتح الله من الظفر
بجميعهم على استيصال الشاقة من بقي به وعياء العرب بتراك النصارى في بلادهم وكان
ممن حضر من العرب جماعة من الخلط وبني مالك والطليق والرهيسة وغيرهم
منهم فقال لهم سيدي محمد والله والله والله ان لم تاخذ لي النصارى لتاخذنكم
البرابر فقالوا له يا سيدي كيف يكون هذا وانت فينا فقال لهم امسكتوا ايها الذين

تقطعون

تقطعون رؤوسهم وكان كذلك وهذا من كراماته رضي الله عنه واما
قتالته لاهل البريجة فسببها ما كان رايته في رحلة بحر الفقيه العلامة قاضي
الجماعة بتامسنا في حينه ابي زيد عبد الرحمن بن احمد الغنامي الشاوي ان اهل البر
يجة تعففوا والمهادنة مع اهل ازمور مرة وكان من عزم النصارى وخلة الاسلام
في هذه المدة ما تتبعه به الاكباد وتخر الجبال منه الى ان زوجة القبطان
خرجت ذات يوم في محفتها ومعها من اصحابها الراي وصلت حلة العرب فتلقا
ها اهل الحلة بالزكراي بالولاول والفرح وصنعوا لها من الاطعمة وحملوا
لها هدايا من الزجاج والبيض فظلت جملة منهم في فرح عظيم ولما كان الليل
رجعت ووقع لها ايضا انها امرت القبطان زوجها ان يخرج بجيوشه ويبعث
لقايد ازمور ويخرج بجيوش المسلمين فيلعبون بينهم وهي تنظر اليهم وتتنزه
فيهم فكان كذلك يجعلوا يلعبون ومن تتفرج فيهم فما كان الا ان حمل
كافر على مسلم فقتله فكلم قايد المسلمين القبطان واخبره بما وقع فقال القبطان لمايض كم
ارمانا شهيرا يعزا به ويسخر بالمسلمين فان وقع او الولي الصالح العابد
الناسك الزاهد المجاهد رافع لواء الاسلام ومحيي منهاج النبي عليه السلام سيدي محمد
كلما سمع او راى شيئا من ذلك تغيظ وبات لا يلتذ بطعام ولا منام وهو يفكر كيف يكون
الحيلة في زوال المعرة عن المسلمين وغسل اعراضهم من وسخ الاهانة ومع ذلك
يخاف من العيون الذين يرصدونه من اصحاب مراكش وقايد ازمور ومن قبلها النصا
رى في جهة كذلك مرة من ثلاث سنين ولما رءا الامر لا يزيد الا شرة
اسر لبعض اولاده ويب من اولاد بوعزيزان يجلبوا للنصارى شيئا من الزرع
خفية ويكونوا شيئا فشيئا حتى تطيب نفوسهم ويزوروا ساحاتهم ويرون منهم النصيحة
والمحبة فلما حصل ذلك جاءه جماعة منهم واخبروه بذلك واطلعوه على عورة النصا
رى بعث على فصل البريجة ثم بدا له في تفريق العرايش ثم ياتي البريجة بغتة
وكان ذلك في ربيع عام تسعة واربعين والف ثم تحرك للبريجة بذكر واله

ان واد الزنبع في نهاية المد والامتلاء فلم ينته لذلك وسار فلما
بلغ الوادي وجده ممتلئا جدا لا يكاد يدخله احد الا غرق فقال لاصحابه ومن معه
توكلوا على الله واجتهدوا في الدعاء ثم اقتحم الوادي بفرسه متوكلا على الله تعالى وتبعه
الناس بعضهم واحدا ولم يتاذ منهم احد وكان الماء يصل الى قريب من ركب خيولهم
مع ان ذلك الوادي حينئذ ممتلئ جدا فعد عند الناس كما هو شهير وعندي
كرامة عظيمة وبرهانا عظيما وقع له رضي الله عنه ولم نسمع بان مثل هذا وقع
الا للصحابة رضي الله عنهم كما وقع للعلاء بن الحضرمي في فتوح العراق وذلك
فضل الله يوتيه من يشاء ولما بلغ البريجة وجد طائفة من اولاد ابي عزيز شعروا به
وتحصنوا للقبطان وخوفا من سيدي محمد ان يمكنهم يخرج في خيله وكان سيدي محمد كامنا
بازاء البريجة بالغابة فلما انبعث القبطان وخرج عن البريجة حمل سيدي محمد عليهم
فقطعهم عن الرجوع الى البريجة وهربوا الى البحر فماتوا الا نحو سبع وعشرين فتعجب [illegible]
حبا من اكثر على ذلك والذكر ما صنع هو وفا[illegible] الفقيه سيدي يسمى بن عمر
الاهر وبالجملة فغزوات سيدي محمد رحمه الله كثيرة ذكرها لا [illegible] وهما بيته
للدين فما هو شبيه بين الخاص والعام وكان رحمه الله عازما على
اخذ العرائش فحال بينه وبينها الموت وكذلك كان ملحا على اخذ طنجة فلم نتسنى
عنه الا قدر ومن خط الفقيه العلامة ابي عبد الله محمد بن احمد ما صورته حدثني
مولاي به من الاخوان عن ابنه الفقيه العلامة الاشهر سيدي عبد الله بن محمد
العياشي انه وجد بقييد ابيه رحمه الله ان جملة ما قتل من الكفار في
جملة غزواته سبعة الاف كافر وستمائة كافر ونيف وسبعون وكان [illegible]
وكان الذي استولى عليه سيدي محمد العياشي سلا ونواحيها وعلى تامسنا وعلى اعراب
الغرب كل ذلك تحت طاعته وولايته ولم يزل في قهر العدو حتى [illegible] المسلمين
وهو القول على الكافرين وكان رحمه الله مجاب الدعوة ما دعا الله في شيء الا
استجيب له شوهد ذلك منه مرارا وكان من كراماته انه يعلم الناس بالغنيمة

قبل

قبل وجودها وكان فقيها مشاركا في الفنون وله اتباع كثير نفعنا الله ببركاته ولاح
عليهم سره

ذكر الخبر عن قتله وما وقع له قبل ذلك وسببه

قد ذكرنا قبل ان الاندلس بسلا نقموا عليه ورموه عن قوس واحدة وانه اطلع
على خبثهم ونصيحتهم للكفر واهله وانه استفتى العلماء في مقاتلتهم فافتوه
باباحة مقاتلتهم من هذه الجهة فاكمل سيدي محمد جميع السبل ايام قتالهم وجد
في [illegible] اكثر منهم طائفة ذهبت لمراكش وطائفة ذهبت للجزاير وطائفة
من النصارى وفرقة ذهبت الى الزاوية الدلائية فجاء اهل الدلاء يشفعون في
الاندلس فابى سيدي محمد ان يقبل الشفاعة فيهم وقال ان الراي
في استيصال شافتهم فلما رأى اهل الدلاء امتناعه ورد شفاعتهم غضبوا
لذلك واجمعوا على مقاتلته فخرج لهم سيدي محمد فوقع بينهم وهزم جمعهم
وفتك بالعرب الذين كانوا مع الخلافي فتفرقت الجموع وتبرأ التابع من المتبوع
وذهب سيدي محمد لغزو طنجة فلما رجع من طنجة وجد البرابر من اهل الدلاء
وصلوا الى [illegible] ازغار ومعهم الخلافي واهل حزبه من الكرادة والز
هيس وعزموا على مصادفة سيدي محمد فاراد سيدي محمد ان يغض عنهم حربه
ويصرف عنانه فلم يرتض اصحابه واهله بالراي فبرز لمقاتلتهم فلما التقى
الجمعان كانت الوقيعة على سيدي محمد وقتل بسبب محنته فرجع الى بلاد الخلط وكان
رؤساء الخلط اكثرهم في حزب الخلافي وعلى راي الكرادة فرجعت البرابر
من كانهم وبقي سيدي محمد عند الخلط اياما بغير رواية وقتلوه رحمه الله في موضع
يسمى عين القصب واحتزوا راسه وحملوه الى سلا ومن [illegible] المتولين لما افتتحوا
لما حملوا الراس سمع [illegible] ليلا وهو يقرأ القرآن وحمارا اجتمع عليه جميع من حضر
من دونه من كافة وتاب بسببه جماعة من الناس ولما مات سيدي محمد فرح النصارى

بموته غاية وأظهروا البشارة على ذلك وعملوا المفرحات ثلاثة أيام وحدث
رجل أنه كان بالإسكندرية فرأى النصارى يوما يفرحون ويخلون أنفاسهم فسألهم
فقالوا له قتل اما ناصر بالمغرب ومغناه المجاهد وكان قتله رحمه الله
تاسع عشر من المحرم سنة إحدى وخمسين وألف وقد رمزوا تاريخ وفاته بقولهم
مات زين ابن سلام فاشتغلوا الغالي الوصل وفي الرحلة لأبي سالم العياشي
قال أخبرني الشيخ محمد الغزاري بمكة قال كان بالمدينة
المشرفة رجل مغربي من أهل الفضل في السنة التي مات فيها الولي الصالح المجاهد
سيدي محمد بن أحمد العياشي قال فجاءني ذات يوم وقال إني رأيت في النوم أخي ورأيت
رجلا جالسا مقطوع اليد تسيل دما فقلت له من أنت قال ابن سلام قطعت يدي
بسلا قال فلما أخبرني قلت له الذي يظهر لي من رؤياك أن الرجل الصالح (المجاهد)
الذي كان بسلا قد قتل قال ووقع في ءاخر العام قدوم الحجاج
من المغرب وأخبروا بموته اهـ ولولده الفقيه العلامة سيدي عبد الله رحمه
الله أرجوزة نظم فيها أهل بدر وتوسل بهم إلى الله تعالى في هلاك أولياء الذين
قاتلوا أباه فقتل أبيه فلم تمض إلا مدة يسيرة حتى دارت عليهم دائرة السوء ولم
ينج منهم أحد وقد رثى سيدي محمد العياشي رحمه الله بقصائد منها
ما قاله الأديب البليغ أبو العباس أحمد الزموري وهي (بسيط)

إن غاب أزغاب من أقطار مغربنا ... فجع روض منى كم مج منه ثرى
فليحكما الربع عكو وأنا أبكي هو مغنى ... من لا نظير له في غزو بناو جرا
واكسفا النور والنبراس عن وقرها ... ما إلا انكسفا لما من لوعة ابترا
فلا جمود لدمع لا خمود له ... لما تلظى في فؤاد منه مفتادا
والشمس أو طلعة أبلا كما غضلت ... أهلا لكنا من تخليهما سر زهرا
كم شاد كم ساد كم شن الثغور وكم ... ذاد وأدمى عناة الغي مقتصرا
وكم أباد جموع الروم فيها وكم ... أهدى العز أعز الإسلام إذ ذاك ردا

فيا محبيه ويا سحي واد ربي وكيف ... ويا فؤاد تبعا دار التهب كمرا
ما نال السرور وساءنا السرور وقد ... سرنا وقانا نصيب الحزن عشرا
الغائب الصائم المحيي الليل الزنجي ... رباه فروح الصيد مجتهرا
ان عالم الزاهد المحروب في قدح ... الا نام صوما وهونا الليل العمرا
لا خير أفضع من هذا الملم لقد ... دهى وأغرب هل هنا لم يدع جلدا
شخص المكارم روح المكرمات مضى ... غيث الحشر وحبر العصر منذ برا
وقد العيد فاهر البغاة غدرا ... وعصمة الدين والدنيا معا نحرا
هل كان إلا جنى لمجنيه ورد ... لغر مرأبه والدين مفتخرا
وماجد منجد المنتصر قد بيرا ... للمغتر وجرى للمنتصر دهرا
تهووا وترهبا إذ بي عوا في عبا ... بين نوامع الشمراء الصعوة السعرا
حتى استجاب له رب وكان له ... قرب وقد بلغه رب وكم جهرا
فنود المنا فالاكى حسر مقلته (معقله) ... في أمه يوم قر من أمثاله عمرا
لذاني والنفس لزاني لقد جمعت ... منه لو مل معا في الحزن منه سرا
ما كان أمنع تلك النفس لو هبت ... لكنها من هيبة مدراق تماب ردا
خلو له الخلو الصعب الارتحلا ... من الحفاظ زكي سماده ذا بعرا
فبعدها أو أين عياش لعلا سموا ... غيثا فلا عيش مولود ولا ولدا
أجرا أنجد أو ليث فتراد معه ... بين الكلاب كأنهم يعتنمن أسرا
لم يشرفه ولم يجه سوقدم ... يلقى فيلهم جمعا من بنوه غمرا
كأنه لم يقم بالحق مشتغلا ... للحق أو لم يقم من مثله وحدا
كأنه لم يعل في الله مشتغلا ... للدين منتصرا بالله من حسرا
منه اكتسى جسد الدنيا الجلية إلى ... أرواح فارتاح روح فازوا الجسرا
فالدين ميت وحي لا يموت فتى ... فرقا بالروح والريحان في الشهرا
قد وسمه اسم أبيه واسمه صفته ... مولاهما صفة للشاكرين برا

خ القنافيل
بـ بجهة
خ معالي مهرا
اسربت من ارتداب
خ عاش

شرما
خ علقت
خ وادعى

كل الحمام مؤذنا معمما | وكل وجيها حين يعدو ويقفرا
وكل هشيم واهيا وله مشيم | فوكلا وحد الدقيق وحبا أنه وبرا
مرفي وكلا مر بعلا الثغر ومرى | في هيبة من بلاد أحظى به أبرا
فرفي وكلا بأثياء الزمان له | في الحكم ما ان مثله يبتغي حمرا
فرفي وكلا مر بحار يعقوب بهل | لدى الوغى عن العيش وكلا عمرا
نار القرى في الغراء عمر مسندة | وكم قرى الضيف لحما من لحم عفرا
فغادروه وقوم غادروه لهم | شيئا وهمهما سيا وقا افخرا
عدوا على ليسوا أخذ وفريه وكلا الا منا كانوا فيما فوا من استرقا ما هم بغدرا
لو هملة بجساع العدل منهما | ما ينته جموع الجور منفردا
لكنهم بغوا وضلوا وقد بغوا | وأعينهم فليبكوا الخير وسرا
فليبكوا بحكوا اليوم وليبكوا فغدا قد هلوا اعز علم ما جهلوا ابدا وغدا
وتلك أيامنا الدنيا مداولة | من بات يبغ ساعة فمجراه غدا
وعيشكم في العيش قد انتشوا | تعدا ابرا حتى ان يريهم يغفر حمرا
ان نما من ذا قبل الأفكار شاهدة مشهودة فليبكوا بالرغم منجحرا
في الخلد هيباء رضوان ومناه | قال الله ملاحبا الرضوان انجو وعترا
يا أولياء فليل الظلم حسبكم | سلطانا نحن نفي الذكر فرشمرا
فما كان انزال قائل تجري بعدما انفجرت من جنة بحرت معه وبحور نرا
بل في ابنه وبنيه الاسرة ثم | ثم بر سيما عيننا بالمنا وبترا
ويتنا بلا قرنيكم في الذاتي لما معفياه تقضي وتثري واوليا وعسرا
فلي بقا في مرفه ولكن ما فيهما من مصيب جروا اجتمرا
كما ابوى بعشر الحسنيين قعا والله حسبي كفاز مصرف العثرا

ذكر الخبر عن أهل زاوية الدلاء وابتداء أمرهم
وكيفية انتشار صيتهم وكمال فخرهم

أما نسبهم فهم برابرة مجاط ومجاط بطن من صنهاجة حسبما ذكره ابن خلدون وغيره كما رأيته بخط شيخنا العلامة أبي عبد الله بن المسناوي وكان مبدأ أمر أهل زاوية الدلاء أن جدهم الولي أبا شمس سيدي أبا بكر بن محمد وهو المعروف بجمير بن سعيد بن أحمد بن عمر بن حسين المجاطي كان ممن أخذ عن الشيخ الصالح أبي عمر القسطلي المراكشي وشكر الولاية وأخذ هنالك زاوية مجاء ولد الولي الأعظم محمد بن أبي بكر وكان من الفضائل فأبغي وابن أمين الأسرار ما خفي قبيتا فكل الركبان حديث هذه الزاوية في الآفاق وقصدها الناس من كل جهة إلى أن كان من أولاد الزجلين ما كان وها نحن نرتب القول في ذلك قال السيد أبو بكر فكانت ولادته سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة ويقال إن الذي سماه أبا بكر هو الشيخ التميمي أبو الحسن علي بن إبراهيم البوزيدي دفين ... واتفق اجتيازه تلك البلاد أيام ولادته فأتوا به فعانقه وقال لوالده فما تسميه قال أبو بكر فقال لوالده إن البربر يغيرون الأسماء فيصيرون أبا بكر بكّو فقال الشيخ لا يغيرونه إن شاء الله وكان كذلك ثم إن السيد أبا بكر لما سبق له من العناية الربانية تعلقت همته بابتغاء شيخ يتسلك على يديه فرحل إلى الشيخ أبي عمر المراكشي فلما جلس بين يديه أقبل عليه الشيخ في أول مرة إقبالا عظيما وضمه إليه وألبسه قلنسوته بيديه وكان رأس أبي بكر أضخم من رأس الشيخ أبي عمر فلم تسع القلنسوة رأسه فجعل الشيخ يوسعها ويكلفها رأسه فأخبر أبو بكر أنه فتح له في ذلك الحال لتباشر بأمر عظيم من الملك والملكوت وعلم الملائكة ثم الغيبة عند ذلك كله ويقال إن الشيخ أمره بحراسة بستان له فأقام في خدمته مدة إلى أن أذن له الشيخ بالتوجه لبلده فتوجه إليها إلا أنه كان يتردد لزيارة الشيخ مع الإخوان وحكي أنه هاجت عليه المحبة يوما وهبوب نسيم الشوق إلى الشيخ فسار وهو متوجه في جنازة والوباء إذ ذاك بمراكش ولعله وباء سنة خمس وستين وتسعمائة فقال له الشيخ ما جاء بك ألم يقل النبي صلى الله عليه وسلم إذا سمعتم به في أرض فلا تقدموا عليه فقال

لهم لا عقل لي فقال له واين روحك فقال ولم فقال الفاخيت وحر فقال له الا تقول النبي صلى الله عليه
وسلم الواجد شيئا او انه ثنا شيئا فان فقال له لا عقل لي فقال انه وابن عصا لم قاله
ما من نبي الا كان له عصا فقال له لا عقل لي بعزوه وتمـا فوقي الشيخ
وهو ابو بكر في حاله نقصا وبعد ما كان قالوا في نفسه فلم تقله ارض ولم تظله سماء
وهام على وجهه في البرية مع الوحوش والسباع واقبل على ذلك الغزوات في احتمات
كثيرة ولم يرجع اليه حاله ثم اقبل على ذكر لا اله الا الله فلم يجبه ثم
اشتغل بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فعاد اليه حاله وما بعد وكان رحمه
الله مجاهدا على السنة قائما بالشريعة محبا لاهل العلم حاضا على تعلمه وتعليمه
تاليا للقرآن كثير الذكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم زاهدا في الدنيا
غير ملتفت اليها ولا ناظر الى زهرتها وكان قد فتح عليه منها ما يحير في قصا
ربه ولا يتلبس منها بقليل ولا كثير وقال صاحب مرآة المحا
سن في محمد انه من اكابر مشايخ المسلمين • واولياء الله المقربين • واحد
عصره • ونسيج وحده • مترسم بالشريعة • متحقق بالحقيقة • مجود للاماثل
له • يعجز عنها من لا يخاف الفقر •
فلو رام بعض من تقدم مكارمه • لم يزكروا في الثرا معتلا ولا اهدر قا •
اقام الله به رسم الوجود • واقاض به نعمة على الوجود • يكل اللسان والقلم
عن استيعاب فضائله التي اشتهر من نار على علم • وحسبك ان الغرب لما تداعت
قواعده • وانهدمت اركان الملك به • فاختل النظام • وماج الناس كان موئلا
لاهل العلم والدين • ومورد للضعفاء والمساكين • فاعتصم الا من لاذ
بربوعه منه ذات قرار مكين • فجمع الله شمل رفقه • واتفق وراءه ورو نفعه • وخلقه
خلقه • فبرا منهما وان لم تزل ان شاء الله دار العلم والدين • ومشرع الجود
لعزيز المسير والنهوض باعباء مصالح المسلمين اه وقد قرأت على الشيخ
الحافظ ابو العباس احمد بن يوسف الفاسي في محرم

ولى

بلا اتصال مما كتبه الى المنتع خـ

عام ثمانية عشر والف فقال عمري ايامنا واخذ عنه وانتفع به فلما رجع الى فاس سا
لوه عنه فقال لهم اخذ الناس بالله وصافي واخذ سيدي ابو بكر بالله وصافى اشمى
وكان رحمه الله كثير الاطعام بحيث يبلغ فيه النهاية ويطعم الناس على افرا
ومنع تمسكا بحديث امرنا ان ننزل الناس منازلهم وكراماته وبركاته شهيرة
توفي رحمه الله عند طلوع الشمس من يوم السبت الثالث
من شعبان سنة احدى وعشرين والف ودفن بالدلاء واما ولده سيدي محمد
ابن ابي بكر فهو واسطة العقد خاتمة مشايخ الغرب وغرة السعود اتمن ابيه ريا
سة الدين والدنيا واشتغل بسياسة الامور الجليلة والرتبة العلية فبلغ في الولاية
مبلغا لم يكن في حرم من اهل وقته وشاع له من الذكر وحسن الصيت ما لم ينله
غيره وقال الفقيه الحجري ابا الحسن علي بن عبد الواحد الانصاري السلا
وي كتب رسالة الى شيخه الفقيه الحافظ ابي العباس احمد المقري عام سبعة
وثلاثين والف وابو العباس اذ ذاك بمصر فكان من جملة ما اخبره به فيها ان قال له
ومحبكم الان كبير وليكم الاكمل سيد اهل المغرب اليوم وشيخ الطريقة والمربي
في سلوك اهل الحقيقة العارف بالله الشيخ الرباني ذو الكرامات والمقامات
سيدي محمد بن ابي بكر يحبكم ويعظم قدركم ولسانه لكم ذاكر فانه شاكر وهو على خير
اه ومن الرسالة مثبتة في نفح الطيب للمقري المذكور وقال
في كتاب الاعلام في حقه ما صورته لو تفرغ متفرغ لجمع فضائله في
ديوان مستقل لم يجمع منها الا ما يبذر ويقل ولو مضى من انواعها الا منابا والى
من اعمراحها لا انا باد وولد رضي الله عنه ثاني رمضان سنة سبع
وستين وتسعمائة حسبما ذكره شيخنا في فهرسته واخذ عن الشيخ ابي عبد الله
محمد بن ابي القاسم الشرفي بفاس تعلو على علماء المغرب علما العلوم عن ابن ابي القا
سم المذكور فلم يبق احد ولا على احد سواء فتلمذ له الى ان حصل مراده من هو
والتوجه فوق ما كان لسلبه من علامه وكان شيوخ الوقت كالحافظ ابي

العباس المقري وسيدي عبد الواحد بن عاشر والحافظ أبي العباس أحمد بن يوسف الفا
سي والفقيه أبي عبد الله محمد بن أحمد ميارة وغيرهم ممن يقصدون زيارته والتبرك به
ويتراجعون في بعض المسائل العلمية وكان رحمه الله عالما حافظا ذاكرا متوسعا
في علم التفسير ومعاني الحديث وعلم الكلام حسن المشاركة فيما في غيرها وقال
صاحب نزل المنادمة في حقه ما نصه امتزت أعماله الخلابي
للعلماء منه الشرفاء والعلماء وغيرهم وقد بسط رحمه الله يده في
الجملة استطاع حتى عجز الغائص زيارته في الله عز وجل وإنما يقصدونه
فيما يسألون من فتح له وحينا ومن يتبرك به يجلو فيه اللسان لغلقانه فصاحة ومرامه
نشا وهل يتحضر ذيوفا ترتيبا لهم عليه وأخبر مواله فيما يعنون لديه ببعض
صحيح البخاري وأتقن ضبطه لغيته وقد أكثرت معه عجائب الواحد لا يشتبه بعلمه
اشمس وما أحسن ما قال في مدحه الأديب أبو العباس الزعنوفي

أعجب بالخامة الا ياحسرته ... هل الاتمام معار من حلا دبه
أمزجى الأدب أفصر كذا بالدما ... أتى بكفوتما أصبحت تعرج به
ما لي وللشعر لولا ما كلفت به ... من مدح ابن أبي بكر على رتبه
محمد القطب ما أغنى شمائله ... عن وصفه بنو مصباح على لهبه
لكنه الشمس نور بل مشرق ... من فوقه الحلا بز فوق كتبه
أنعالم نعلم الباحد الا فاه الى ... أهدى سبيل وذا البعض من قربه
هام الذي بلا مزيد الباس منزله ... على وقار رغم الجبار وغضبه
أحيا الشرايع بل أحيى الربايع بل ... نشر الزوايع منه الجد عن لعبه
وربما أزال كمو الغرام وكم ... أزدي بكل الجمر من تلاها على نغبه
آثار ومغشيها من كل القضايا بل ما لم يعلمه كما أب فرضه في كتبه
لبعض ما حزت كل المكرمات هكذا الجد والرزق والعفيا ومن صحبه
أمسى هما العلم ذا الطيب في مرسل لولا كما أصبح بوم الجمل في خربه

كم

دار الخاماء

مرعى

١٣٤

بيت مغربية

دمعاء

كم نال منه غنى مسكين مرتبة ... وذو الذي شغب المحقق من شغبه
وكم فككت أسير الأنصباء ... وكم جبرت كسير أهيض من نوبه
وكم أخاكرب خلصته فنجا ... مما عراه وقال الله حرم من كربه
وكم سليب من الدنيا وآخرة ... دبرت أمرا لكل رد مستلبه
وكم ظلوم ومظلوم أجرت على ... نص على ذا الحق رد لمستمعه
وكم دفعت ولا دبع لغضبهم عن أشباله الرغم عن ذا الجيل من عصبه
حتى كأنك بكر للمسلمين أبا بسواء والناس كل يعتزون به
ما زلت مذ كنت أتقى الناس أكرمهم وأكرم الناس أتقاهم على رهبه
وأقدم منهم رفقا وأعز منهم سبقا إذا احتاز ذو سبق من قصبه
نعم وأرسخهم حلما وأرجحهم علما وأمرنهم عزما على حسبه
بل أنت أجود منهم كفا وأشرفهم كفا لهم عن أذى يخشى وعن سببه
يا ليت شعري لو جاء الذي وابل من فيض البيان ومن جاراه في حلبه
هل يستطيعون أن يثنوا إذا عشقوا على كمال الطالب المعشار من نخبه
من منتضى كملت أوصافه وزكى أصلا وفرعا إلى حيث أمسى نسبه

وكانت وفاته رحمه الله سنة ثمان وأربعين وألف وحدثني غير واحد من أقاربنا
حفظه الله أن أذنت وفاته جمع أولاده وذويه فقال لهم إن الله مبتليكم
بهذه الغربة بعدي وأنا أقول ولا مرا غمتم غربة بعدي يشيمهم بذل الحال التي
ما بعد بونه من أمر الرياسة ويبتلون به من أذية الخلائق وذا الحال من فكا
شبعته رحمه الله وقد اعترض عليه بعض الطلبة في قوله وأنا أقول سوء
أدب لمقابلة كلام الله بكلامه وأجاب عن ذا الحال شيخنا
الفقيه العلامة الشهير أبو عبد الله محمد بن أحمد بن المسناوي بن سيدي محمد
بن أبي بكر برسالة مشتغلة لوقته إلا هاكة بحلبنا هذا بنصها وكان
لبرابر ملوية فيه اعتقاد عظيم وحرمة تامة يتبركون بآثاره ولا يتجاوزون

رايه وكان للزاوية في حياته صيت عظيم وكان بها من فحول أئمة العلوم والدروس
على التدريس والإقراء ليلا ونهارا ما تخرج به جماعة من فحول العلماء وأعيانهم
حتى كانت لهم الرحلة في المغرب لا يعرف الطالب ولا يأمل غيرها الراغب ولما
توفي رحمه الله سيدي محمد بن أبي بكر خلف من الأولاد عدة وكان أكبرهم هو السيد
محمد الملقب بالحاج لأنه حج مع أبيه وحده مرارا ولقي بالحجاز ومصر عدة من
المشايخ ويقال إنه خطب بالناس يوم عرفة على كرسي الجبل لأمر اقتضاه ولم تكن
تلك الخطة لأحد من أهل المغرب قبله وفي أيامه تكامل أمر أهل زاوية الدلاء وشاع أمرهم
وفي ذلك أنشد غير واحد من أصحابنا الفاسيين للفقيه أبي محمد عبد الوهاب
ابن العلامة سيدي العربي الفاسي من قصيدة له يمدح بها أهل زاوية الدلاء

أهل الدلاء أهل مجد ... وأزمنهم أزهر راقم
لن يبرح المجد فيهم ... حتى تقوم القيامه

وعاقبه السلطان الرشيد بن الشريف على الملك وحرمه من أخيه حياته وقال الدلائي
هذا الدرج ثم يليه أبو بكر بأهل البيت وقيل إنه مرة في عبد الله محمد الحاج وأولاده
وإخوته وبني عمه الدلائيين لما ملك فاس ومكناس وأحوازهما وكافة الغرب الثالث في
واجتمعت عليه برابر ملوية وأذعنوا له واعصوصبوا عليه ووقعت بينه
وبين السلطان محمد الشيخ بن زيدان وقعة أبي عقبة فهزمه فيها السلطان الشيخ
كرة وانتهب جمعه وذلك في حدود الخمسين والألف كانت وقعة الكارة ومن
ثم قطع النهر عندما ورد واجه العبيد وفي ضحى يوم السبت ثاني عشر ربيع النبوي
سنة ست وخمسين وألف كانت وقعة الكارة بينه وبين صاحب سجلماسة

أبي عبد الله مولانا محمد بن الشريف فوقعت الكائنة على السيد الشريف ودخل
السيد محمد سجلماسة وفعلت البرابر فيها أفاعيل عظيمة ثم أبرم الصلح بينهما
على أن للصحراء جبل العياشي فيبقى لمولاي محمد وما ذاك وهو لناحية الغرب
فيبقى لأهل الزاوية خمسة مواضع فما هو تحت مولاي محمد وجعلوها لهم وهي الشيخ

الشيخ مغغر في أولاد عيسى والسيد الحبيب في قصر السوق وأحمد بن علي في قصر بني عثمان
وقصر حليمة في كهر غريس وإسرير بركلا قصبة الخمسة إلا ما كان شرطوا عليه
أن لا يعرض لهم فيما سكن وأبرم الصلح على ذلك ورجع أهل الدلاء في جموعهم
فما كان إلا بعد حتى اطلع مولاي محمد على ما أوجب أن يتهم بالشيخ مغغر وبعض من
شرطوا عليه إبقاءه فبلغ ذلك إلى أهل الدلاء فجمعوا جموعهم وقصدوا سجلماسة وعزموا
أن لا يرجعوا عن مولاي محمد قليلا ولا كثيرا وأن يستأصلوه وكتبوا له كتابا وعدوه
فيه ورموه بالغدر وأنه ناكث وقاسم حانث وأغلظوا له في الخطاب فجشروا عليه

فأجابهم مولاي محمد بن الشريف برسالة منها باختصار إلى السيد محمد
الملقب بالحاج بن السيد محمد بن السيد أبي بكر بن محمد وهو محمد بن سعيد بن عمر بن سيد الوجار
ابن الزموري ومن شمله معه رداء الرضوان من الأبناء والإخوان سلام على جميعهم سلام
واستجلاب ومنة فقد كتبناه من سجلماسة كتب الله لكم من شكر أنعمه تمام والبسمة
من الهجع بكم أنعمه عمايم وبعد السلام فإن صدرا هذا العبد التي أخذ متموها
بغدرهم فلما التسمية لنا بأهل ثم يعيبكم أهل الغرب إلا بإضاعة قطع العصائر ومحو
بعضكم لبعض بما لا يسمع من شيع العصائر وأما العلوم فقد أقروا لكم فيما بانصا
ف التسليم لو فصلتم بها العلم وأجرا التعليم وإنما الله لبرتم فينا الديار وشمل
الربوع حتى تعالى أنتم أو بسط ما ابتغيه لنا البنون والإخوان ولقد هددتنا أهل
السر بتجوا وستروا وعليكم منا الزوابر المبيرة إن العفو والنجاة بعد تثنو وبعكم
الشرفاء والشريفات والعابرين مع العابرات فشمروا وشيتنا عن ساعد الجد في
الطلب واغتنم السلم ما دام يساعدكم وقته فإن الحرب فاروا تنخلع منها بعد وقو
دها سنا والله يعلم أن هذه الزاوية ليست بجزع ولا وجل منكم ولا ما نشيمهم
عند الفراش إلا بما يعيش حول الصايع من الفراش بل المراد ألا كدر نشر
رداء التبر لئلا تجاوزون متى انتشبنا فيكم مخالب النجر وما فزتم به أعراضنا
من خسة الغدر وأما إفساده فلا نصغي لقبول الغدر فإنكم تنهون عن الفحشاء

وقد طلبتم منها الآن هشاء وان زجرتم عنه فلتم كلا وحاشا الذكر من انتج نسلا
نسب ابيه ومن خاف من شيء سلط عليه وأما ما احتوى عليه بساط الاعراض ما فيه
براح وعري بعد كم عنها من الله كونه في العيضان لم اكنه بالزان والزيوان قبل الانهاء
والان خوان كعوا بر الذول يبشر الان جيم ما اسسه الحازم الاول وادهر واما بكون
خلاصكم بها الكمثار ونساعد كم عليه بلله ثم من دعونيخبر اشاع عاد لها باتيان
انشدها لنا مولاي محمد بن ابي المبارك

واعلم بانك في ذا جل مغرب ... فبعيس حولة نصر سيمون
انتم عتاكين خلعتكم عاهدة ... وابوكم سيبي جركم جالون
شبانكم مردو وكل كهولكم ... فرفار صنعة جدكم ديون
كرهت لرذالتكم سما وانا العلا ... واستثقلتها الان زمر والبهموني

وقال في الحقيقة الان فرد من الغزوة والقراد الذي احق في كل كلب مجرود وما
صرحت به من ان الصلح بين الملوك فكثير وقد سبقت فيما السلطان ابو حم رحمه
الله وحثوا الان افل المراجعة وان غبيتم الخبر بجوم طلب ومغناكم بيس كبيع وان
عشقتم الغي فجوابي لكم قول ابي الطيب المتنبي

بلا كتب الا المشرفية والقنا ... ولا رسل الا الخميس العرمرم

اهـ ولم يزل مولانا محمد رحمه الله مقتص اعلامها وقع عليه الصلح الذي بعث له
اهل فاس كما سيأتي ان شاء الله تعالى وبايعوه واقام عندهم مدة بجمع لهم السيد
محمد الحاج حين شاع عليهم وقعت الكاينة على كهف ومكة بظاهر فاس يوم الثلثاء
عاشر شعبان سنة تسع وخمسين والف وهزم مولاي محمد ومع اهل فاس فذهب
لسجلماسة ودخل اهل الدلاء فاس وعلا لهم الدولة بها ولم يزل
امر اهل زاوية الدلاء مستقيما الى ان ثار السلطان ابي محمد مولانا الرشيد
ببلاد الجبر وقدم بجيوش يقودها من ابطال عرب انجاد وكان فيها مجاهد فاس
من الى ان استولى عليها كما سياتي ان شاء الله تعالى ثم توجه نحو الدلاء بجيش

لد

له ابو عبد الله محمد الحاج عسكرا عظيما من البرابر وغيرهم والتقت الفئتان بموضع
بطن الرمان بقرب الرمان فوقعت الهزيمة على اهل الدولة وذلك اوايل المحرم فاتح
سنة تسع وسبعين والف قال الشيخ ابو علي اليوسي في محاضراته
ولما وقعت الهزيمة دخلت على ابي عبد الله الحاج وكان قد حضر في المعركة لكبر سنه
فالفيته اولاده واخوانه حزانا شيئا وضيقا عظيما فلما رآهم ذا الحال قال لهم
ما هذا فقال لكم حسبكم ما حسبتكم من الله تعالى انتهى ولما
وقعت الهزيمة دخل السلطان الرشيد الزاوية وامر بتسيير محمد الحاج واولاده واقا
ربه ان يحملوا الى فاس ويسكنوا بها فحملوا لها واستوطنوها مدة ثم امرهم ان يذ
هبوا منه لتلمسان فذهبوا لها وسكنوها وحدثوا ان السيد محمد الحاج لما
دخل تلمسان قال كنت وجدت في بعض كتب الحدثان اني ادخل تلمسان فظننت
اني ادخلها دخول الملك فدخلتها كما ترون ولم يزل بها الى ان توفي رحمه
الله بعد التمانين والف وقد دفن بجوار الامام السنوسي رضي الله عنه
ولما توفي مولانا الرشيد رحمه الله جمع
اولاده واقاربه لفاس فسكنوها باشا من السلطان الاعظم مولانا اسماعيل
نصره الله ولما دخل مولانا الرشيد الزاوية جمع ما اسسها وفرق جمعها
وكسر معالمها وصارت حصيدا كان لم تغن بالامس وكانت مشرفة
اشراق الشمس فحجبت الحوادث ضياءها وفلت [illegible] وكمال
ما اشرقت بانيه بكى واستجت وفاهت من شرائهم [illegible] ارتحل عنها
من سار الان فلاح الزين يحلي بوجوههم الظلام [illegible] منها ربات
الخدور واقامت في الصدور ولقد كان اهلها يفعلون اثار الرياح
بعدت الرياح اثارهم وذهبت بابدانهم وابقت اخبارهم [illegible]
[illegible] واعتقرت الليالي ديارهم [illegible] ولم يبرح الزمع [illegible]
ولم تنفع تلك المنن الجسام وبسمعه الدنيا ما رعت لهم حقوقا ولا ابقت شروفا

خبر

ولد

وهذا الإباء للآتي فمن تجنبهما ولا تبغي من إليهما ومن فيهما أحدث ذا أثار خملا وأخمدت
نار المحلق وذلك لنا عنوة ابن شراحة وهدت الغصن ذا الشرفات من سنداد وكان يلقى
معجله وموجله ويبلغ الكتاب أجله ولقد أحسن من في نعيم المغرب إحسانا فمن شيخ
المشايخ مشايخ المغرب علي ابن كطلان الإمام الخير وقع على علمه وعمله الاتفاق
أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي رحمه الله في رائيته التي رثى بها زاوية الدلاء
وبكى أيامهم وأوانها

• أكلما جهد العين أن ينثر الدرا فيا بر ويعتاض العقيق بها حمرا •

وهي طويلة ولشهرتها تركنا جلها وكان السيد محمد الحاج رحمه الله أحسن
شيم الملك وسيد الفقراء فقام بالوظيفتين وأحاط بالطريقين وكان فقيها
مشاركا أديبا إذا رأيت بخط الفقيه الأديب أبي العباس أحمد بن سليمان الراودي
رحمه الله ما صورته كتبت لسيدي محمد الحاج حفظه الله

• أيا سيد الأقوام إن الزمان لنا ولا بد للسيل في جنابك مطمع •
• جميل ولا أهلا وإلا بحملكم عمرتم ولا عمر وإن لكم سميع •
• فإن لم يكن كنزه بأنني يبلغه وإلا بعين فيه مزن ومشبع •

فأريد يعتريه بأن يبان ويعث بذلك [illegible] وكان لأهل الزاوية اعتناء بعلم
الأدب وأن بنيانهم لترابوا الأشعار ومنتخب الخطب ونبغ في أبنائهم جماعة
ممن نبغ السبقية في ذا الحلبة وإن الأدباء الذي أشرقت إشراق البدر فاروق
فنجد العلامة سيدي عبد الوهاب الفاسي رحمه الله

ووجدت

فقال الشيخ سيدي الشيخ ابن أبي بكر بيتا يستعجم به عن زوال الشمس

• علا زال الشمس أولا فإنما قبيراء في نزال الكلب عمود على أعلى الأدب •

فأجبته

• فقد زال الشمس لا زالت مكانكم وتزول لا يوجد الدنيا من الشغب •
• وإن ترى الشمس غابت في مغاربنا فشمسكم في سماء العظام لم تغب •

• وإن يكن الأدب الغربي هليما فإنما في سوء الشرفي من أدب •

ولسيدي الشرفي المذكور

• الصبح يرتقب الإجابة منكم والحلم يخرج كالأسير إليه عجم •
• إن السهولة والسماحة والندى للمرء وإلا فسا خير تو سم •
• الندب من كمرتن بشاشة حلمه والغم من يعفو العفو باسم •
• اجعل فريضة إتيان الإجابة عن بالتسويغ لدين محكم •

ومن شعراء الأدباء العلامة أبو عبد الله محمد الطيب بن المسناوي ومحمد بن أبي بكر
وأشعاره وموشحاته مشهورة ومن أعيانهم المتضلع بالعلوم وخصوصا
علم العربية أبو عبد الله محمد المرابط بن محمد بن أبي بكر له شرح على التسهيل
لم يؤلف مثله وشرح البسط والتعريف وشرح الورقات وغير ذلك وكان
له في الأدب الباع المديد ومن لطايف الأدبية
أن السلطان مولانا الرشيد رحمه الله لما استولى عليهم كما ذكر فإنه كان أبو
عبد الله محمد المرابط يوما في مجلس فأنشد السلطان منشدا مع صحابه قول
المتنبي

• ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدوا له ما من صداقته بد •

ففهم أبو عبد الله إشارته فقال له أيد الله الأمير إن من سعادة المرء أن
يكون خصمه عاقلا فاستحسن الحاضرون وهش بديهته ولطافة منزعه
والزعم عند الرشيد ذكره ونقل مجموع في رسالة مولاي محمد الشريف
ومن موالي أهل الدلاء وتشابهم ويرع في الأدب وكان هجاء لا يسلم من
هجايه أحد وحكى أنه كان يجلس عند موضع معد لطرح الكناسات والقما
مات فلا يمر به أحد ولا نجم الأمجاد فحما وقدرا وكان مهيبا في غرض
الهجا وهاجا جماعة من الشعراء فأفحمهم فيل ولم يهجه إلا رجل اسلامي
كان فيمن وضع قدر الأدب في الزاوية فقال فيه وكان الدغوغي فيه

نقلهم من البرص

• يا رحمة حلت بمن بالبغي • ونقمة كم من في أقبح الصور •

• إذا رأى الناس قال قايلهم • سبحان من ألحم الشيطان بالبشر •

وبالجملة فالاغترار بالحق من بريضة ومسايل أهل الدولة طويلة عريضة ولو تتبعت ما لهم من النظام والنثار لأدى ذلك إلى الإكثار ومن جهل فضلهم ألا إن عماوا الذين فلو بهم براء الحسن مريضة وإلا من يرى إن فيما خصهم بالكمالات أريضة

• إذا لم يكن للمرء عين بصيرة • فلا غرو أن يرتاب والصبح مسفر •

ذكر الخبر عن قيام أبي الحسن علي بن محمد بالسوس وظهور أبي حسون وما وقع في ذلك التاريخ

هو علي بن محمد بن الولي الصالح أبي العباس أحمد بن موسى السملالي وكان بدرعة أقرانه لما ضعف زيدان عن الصقع السوسي وتشاركهم فيه نبغ منهم من سمت به نفسه وحدثها الرياسة لغرضه وتلبث عليه البرابرة بسفح جزولة وحزوتها وتابعت عليه غالب القبائل السوسية واستولى على تارودانت وعلى أحمد الراوي أخرجه عمه البعض الحرابي أبو زكرياء يحيى بن عبد الله بغير حرب وبعد عظيمة ولما مات أبو زكرياء صفا له الحسن فهو سوس وفعل فيه أمره وسمعت كلمته ثم دخل لدرعة واستولى ثم استولى على سجلماسة ونواحيها فاستحكم أمره في سجلماسة إلى أن قام عليه عقاب الثنايا أمير المنصور مولاي محمد بن الشريف فأخرجه من سجلماسة بعد معارك ولا زال يشيب لها الرضيع ثم أخرجه من درعة أيضا ووقع بينهما بدرعة حروب فظيعة ولم يزل أبو الحسن قائما بسوس إلى أن توفي سنة سبعين وألف وكان رحمه الله لين الجانب محمود السيرة فذهب وأبا العدة متوقعا في الرقاء ولما مات

خلفه

خلفه ولده أبو عبد الله إلى أن اقتحم مولانا الرشيد رحمه الله منبع مع أبي الحسن إلخ وتركه كأمس الدابر والملك لله وحده

ذكر الخبر عن قيام عبد الكريم بن أبي بكر الشباني

لما قتل مولانا العباس كما ذكرناه قبل قام بمراكش كبير حي الشبانة عبد الكريم بن أبي بكر الشباني ثم الحريزي وحريز فخذ من المنعة والصبيح من الشبانة وعبد الكريم هذا يعرف بكروم الحاج على ألسنة العامة برجال مراكش ودعا لنفسه فبويع بها سنة تسع وستين وألف واتسعت له مملكة مراكش ونواحيها وسار في الناس سيرة حميدة وكان في أيامه الغلاء المؤرخ بعام سبعين وهو غلاء مفرط بلغ الناس فيه غاية الضر حتى أكلت الجيف ولم يزل مستقيم الرأي بمراكش إلى أن توفي بها سنة تسع وسبعين وألف قبل أن يدخل مولانا الرشيد بأربعين يوما ولما مات بويع ولده أبو بكر فبقي إلى أن تقبض عليه وعلى بني عمه مولانا الرشيد فقتلهم وأفنى الشبانة قتلا وأخرج عبد الكريم من قبره وأحرقه والبقاء لله سبحانه

• ذكر الخبر عن هذه الدولة الشريفة الحسنية السجلماسية • وذكر لمع من محاسنها ومفاخرها البهية •

لا بد أولا من ذكر نسبهم الشريف وإن كان أجلى من الشمس وغنيا عن التعريف فنقول الملوك الثلاثة مولانا محمد ومولانا الرشيد ومولانا إسماعيل هم أبناء مولانا الشريف بن مولانا علي بن مولانا محمد بن مولانا علي بن مولانا يوسف بن مولانا علي بن مولانا الحسن بن مولانا حسن بن مولانا قاسم بن مولانا محمد بن مولانا أبي القاسم بن مولانا الحسن بن مولانا عبد الله بن مولانا أبي محمد بن مولانا محمد بن مولانا عرفة بن مولانا الحسن بن مولانا أبي بكر بن مولانا علي بن مولانا حسن بن مولانا أحمد بن مولانا إسماعيل بن مولانا قاسم بن مولانا محمد بن مولانا عبد الله الكامل بن مولانا حسن بن مولانا الحسن بن مولانا علي بن أبي طالب

الشريف

١٣٨

وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا ذكر النسب الزهو
حقيق أن يسمى سلسلة الذهب بجماعة من العلماء أن كان ذكر الشيخ أبي العباس
أحمد بن أبي القاسم الصومعي والشيخ ابن القاضي أبي محمد العربي بن يوسف
الفاسي وذكره في كتاب الدر السني فيمن بفاس من النسب الحسني
لشيخ شيوخنا أبي محمد عبد السلام القادري وغيرهم ممن لا يحصون كثرة ووقفت
على كتاب الشيخ النسابة الشريف أبي عبد الله ابن زور فاني وجدته ذكر منهم
فقال ومن بني السيد محمد النفس الزكية بينبوع النخل
السيد محمد والسيد الحسن ابنا عبد الله بن محمد بن أبي عرقبة الوارد أخيرا وكان أصل
سلفه بالينبوع هو بجاز أجداده من ذرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه
كان النبي صلى الله عليه وسلم أقطعه إياه قبل ذلك بقيت فيه نسله رضي
الله عنهم وأول من دخل بلاد المغرب من أجداده مولانا الحسن بن قاسم فرأيت
بخط بعض الفضلاء من أهل بلاد فاس سماه الله ما صورته أخبرنا شيخنا
العلامة أبو عبد الله سيدي محمد بن سعيد المرغيثي قال أخبرني
سيدي ومولاي وسمع منه محياه مولانا عبد الله بن علي بن طاهر الحسني أن جده
الذي دخل المغرب من ينبوع النخيل هو سيدنا الحسن بن قاسم قال
وكان دخوله للمغرب أواخر المائة السابعة وكان حينئذ من أبناء الستين
أو نحو ذلك وتوفي رحمه الله قبل انقضاء المائة المذكورة انتهى
وذكر بعضهم أن دخوله كان سنة أربع وستين وستمائة قال الشيخ
الإمام أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن هلال أن دخوله كان في الدولة المرينية ذكره في
مناسكه وعلى هذا فيكون دخوله في دولة السلطان أبي بكر بن عبد الحق
المريني ووفاته حسبما أراد في خلافة السلطان يعقوب بن عبد
الحق أخي أبي بكر ونقل صاحب ابن زهرة عن ابن هلال أن دخوله كان في
السادسة وقال الشيخ شيخنا الإمام أبو

المذكور

١٣٦

أبو سالم العياشي في رحلته أن مولانا الحسن دخل المغرب في المائة السابعة وإليه
أشار صاحب ابن زهرة بقوله

ثم ابن سالم عبد الله ... أكرم به من عالم أواه
ذكر في رحلته الفاضلة ... دخول ذا الجد في السابعة

كان سكناه بينبوع النخيل من شرقي بني إبراهيم وذكر
صاحب ابن نوار الحسينية في نسبة من بسجلماسة من الأشراف المحمدية أن سبب
قدوم مولانا الحسن أن ركب الحج المغربية كانت تتوارد على الأشراف من أهل
وكان أمير الركب المغربي إذ ذاك من أهل سجلماسة أكثره والله أعلم
السيد أبو إبراهيم فلما حج بعض السنين اجتمع هنالك بالسيد الحسن المذكور
وكانت سجلماسة يومئذ خالية من سكنى الأشراف فما قلنا نزل السيد أبو
إبراهيم يحسن له موضعهما وأن لا فاقة بالمغرب حتى استماله فاجمع السير معهم
وقدم مع أبيه مع ركبهم إلى الغرب فرغب في سكناه ببلد من سجلماسة وقال
حفيده الإمام أبو محمد عبد الله بن علي بن طاهر فيما
بين عمه وكان الذين أتوا به من أهل سجلماسة من أهلها أولاد البشير وأولاد
الغزالة وذكر صاحب ابن زهرة أن الشيخ أبا إبراهيم
أحد الذين جاءوا به من ذرية عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال
بعضهم أن أهل سجلماسة لم تكن تصلح الثمار ببلدهم فذهبوا للحجاز قصد أن
يأتوا برجل من أهل البيت فأتوا بجدنا الحسن المذكور فجعل الله بركة منهم
وأصلح لهم ثمارهم حتى عادت بلادهم هي بحر المغرب ونقل بعضهم على ما رأيته
بخط بعض أصحابنا أن سبب مجيئهم أن الشرفاء أهل دارسة تفرقوا في بلاد المغرب
وانتشرت بها منهم واستولى عليهم القتل والصغار من أمراء زناتة فقل الشرف بالمغرب
وأنكر كثير من الأشراف حقنا للدماء بينهم فلما طلع نجم الدولة المرينية أكبروا
الأشراف ورفعوا أقدارهم واحترموهم ولم يكن ببلاد سجلماسة أحد من

ان الشرفاء قاطبة رأي اعيانهم وكبرائهم عملوا بما قاله ابن بشير كونه من النسب الشريف
فقيل ان الذهب يطلب في معادنه والياقوت يجلب من مواضعه وان بلاد
الحجاز هي معدن الشرفاء ومن ثم جاء هذا النسب فذهبوا اليه واتوا بمولانا
الحسن على ما ذكرناه فاشرقت شمس النبوءة على اهل سجلماسة وظهرت
ازهارها وحتى قيل ان تعبير اهل سجلماسة هو تفتح المغرب وليس لاهل
سجلماسة مزية اعظم من هذه المزية ولولاهم ما رفعت لهم راية ولا شاع
لهم ذكر وفي ذلك انشد شيخ شيوخنا ابو علي اليوسي رحمه الله

لولا الشريف الذي بالفضل قد نزلوا ... بارضهم داخل الاهرام ما ذكروا

وهذا البيت من مقطعة له يهجو بها بعض فقهاء سجلماسة وهي

هم الاجنة عمي ايتما ذكروا ... وخص منهم حيات فوق ما عرفوا
وما تخبر لنا ما قد عمر قمح ... سمية فيهم الا بيت والضجر
وقل للراحل السجلماسي ان لنا ... عرضا مصونا فلا تسلكه يا غرر
ان المنابر للعورات ملتمس ... والمومنون اذا ما انتبحوا عذروا
وليس من عجب ان كنت متمشيا ... لحم الورى فعل كلب ليس ينزجر
فان استلابة الانذال قد اكلوا ... لحم الكلاب فذا الطبع منزجر
اهل سجلماسة لا يدرون ان عقلوا ... ان ذوي الناس ان ذلوا او افتخروا
لولا الشريف الذي بالفضل قد نزلوا ... بارضهم داخل الاهرام ما ذكروا

وذكر بعضهم ان اهل سجلماسة لما طلبوا من مولانا قاسم ان
يبعث معهم احد اولاده للمغرب لانه كان اكبر شرفاء الحجاز في وقته شهرة
وديانة اختبر اولاده من يليق لذلك فيقال انه كان له ثمانية من الولد
وكان يسال الواحد منهم بعد الواحد ويقول له من يفعل معك الخير ما تفعل
به فيقول الخير ومن يفعل معك الشر فيقول له افعل معه الشر فيقول الشر
الى ان بلغ مولانا الحسن الداخل فقال نعم ومن يفعل معك الشر قال له

افعل

١٤٠

افعل معه الخير فاستحسن ذلك بالشر فان العفو له فالخير ان يغلب خيره على
شره فاستنار وجه مولانا قاسم وتهلل وقد خلفه اربعة هاشمية وقد عاله
بالبركة فيه وفي عقبه فاجاب الله دعوته واما ما اشتهر على الالسنة
وانهم وزنوه لا فيه بالمال فحكاية واهية لا راس لها ولا ذنب والله اعلم
بحقيقة الحال وبين مولانا الحسن الداخل وبين جده محمد النفس الزكية خمسة
عشر ابا كما تقدم **قال صاحب** كتاب الانوار وعمود نسبه
لم يزل محفوظا محررا عند بنيه فهو مولى نسبه فيما بينهم ونقل كذلك
ايضا عن كثير من الاجلة كالسيد احمد بن يحيى العلمي جد الشرفاء الشفشاونيين
وغير واحد ممن اعتبره صاحب مرآة المحاسن الشيخ باختصار وقد
نقلنا بعضه في الجامع ايضا وبالجملة فان شرف السادات السجلماسيين
مما لا نزاع في صراحته ولا خلاف في صحته عند اهل المغرب فالكبة
وقال الشيخ ابو علي اليوسي ان شرفهم مقطوع بصحته
كالشمس الضاحية **وحدثني** صاحبنا الفقيه المؤرخ ابو
العباس احمد الوزير الغساني قال سمعت شيخنا ابا العباس احمد بن عبد الله
ابن محمد ابن الحسن يقول ما ولي الملك بعد الادارسة اصح نسبا من
شرفاء تافيلالت وسمعت بعض اشياخنا يذكر عن شيخهم ابي مالك ابن
عبد الواحد ابن عاشر رحمه الله انه قسم شرفاء اهل المغرب بحسب القوة
والضعف الى خمسة اقسام وجعل القسم الاول وهو المتفق على
صحته باقرار من لا عيار **ومنهم** هؤلاء السادات السجلماسيون
كان مولانا الحسن الداخل رحمه الله رجلا صالحا ناسكا له مشاركة في العلوم
وخصوصا علم البيان وانه كانت له فيه اليد الطولى ولما استقر بسجلماسة
واطمانت به الدار زوجه السيد ابو ابراهيم ابنته وسكن على ما يقال بموضع
يقال له المصلى ولما توفي تنازع في دفنه اهل سجلماسة حتى كادت تكون

العينة او تشتت بينهم فاجمع رايهم ان يبعثوا الى سجلماسة بالجبل فقسموها
ارباعا وحد فتوفي في موضع يتوسط جميع النواحي الاربعة بحيث لا يكون اقرب لجهة
دون جهة وكانت وفاته رحمه الله حسبما يستفاد مما تقدم سنة ستين او سبع
وتسعماية **قال المؤلف** ستره الله بعد هو امولانا الحسن والد ابناء اهل
سجلماسة له واكبابهم عليه بصريح للحديث المروي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم **قال ابن الجمان** روي ان فاطمة بنت رسول الله صلى الله
عليه وسلم اعطت جارية لها مرفقة بعد وفات رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقالت لها امضي بها الى السوق ثم قبلها منك ابتغي به فمضت الجارية الى
السوق وقالت من يقبل منه مرفقة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال رجل مغربي انا موضع مرفقة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاعطته المرفقة وقالت له احب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
نعم فلما بلغ الباب سالته من انت فقال لها انا رجل مغربي فقالت له من
اي العرب فقال من البربر فبكت فاطمة وقالت قال لي والدي رسول الله صلى الله
عليه وسلم لكل نبي حواري وحواري ذريتي البربر فاطمة سيقتل الحسين
الحسن والحسين وتفرق اولادهما الى المغرب فلا ياويهما الا البربر فيا شوم
من فعل بهم ذلك وكونهم لم يكرموهم واعزهم اتمر بلغهم ولم يخلف
السيد الحسن هذا مولانا الحسن من الاولاد الا ولدا واحدا وهو مولانا
محمد وترك مولانا محمد ولدا واحدا وهو مولانا الحسن سمي باسم جده وهو
ابن مرقوق حول المدينة العظمى بازاء سيدي محمد الخراز بسجلماسة
ق وخلف السيد الحسن هذا احدهما السيد عبد الرحمن المكنى بابي البركات
وهو الاكبر منهما ومن بنيه اولاد السيد احميد بالتصغير انفلا كمنير بتواحه
الزيتا بالغصن الجريد على مرحلة من سجلماسة ق ومنهم الشرفاء السا
كنون ببنيع زروال **وثانيهما** مولانا علي المعروف بالشريف

وعند

ومنه تكاثرت فروع الحسنيين وكان رجلا صالحا مجاب الدعوة كثير الاوفاق
والصدقة صالحا مجاهدا ذا همة سنية واحوال مرضية رحل في بعض الاو
قات الى فاس وسكنها مدة طويلة وكان سكناه منها بالحومة المعروفة
بجامع ابن عامر من عدوة القرويين وترك هنالك دارا واقام هنالك بها
مدة يسيرة ثم خلف بها اعقابا واثارا هي بها الى الان واقام مدة
ببلد جرسيف على مرحلتين ونصف من سجلماسة وترك بها مثل
ذلك ودخل عمره في حرب الا فرنج الجهاد مرارا واقام بها مدة
طويلة ثم رحل الى سجلماسة فكاتبه اهل الاندلس يطلبون منه الرجوع اليهم
ويحضونه على الاعتناء بامور الجهاد ويذكرون له ضعف الجزيرة وانها
شاغرة ممن تجتمع عليها الكلمة وقد كانوا رادوه وهو مقيم عندهم في الا
ن يملكوه عليهم ويبايعوه والتزموا له النصر والطاعة فرغب عنه السلطان
زهدا وورعا وغضا لطرفه عن زهرة الدنيا رحمه الله ق فمن وقفنا على رسائل
عديدة بعث اليه بها علماء غرناطة اعادها الله دار اسلام يحضونه
على الجواز اليهم والنفور الى حماية بيضة الاسلام ق ويذكرون ان كافة
اهل غرناطة من علمائها وصلحائها ورؤسائها وعامتها اعطوا انفسهم
من خالص افواههم دون تذكيم سلطانا عليهم اقول الكثير برسائل الغزاة
الواردين معه من المغرب وعلى في بعض تلك الرسائل **ما نصه**
الى الضرغام الهمام • وقطب دائرة رؤساء الاسلام • الشجاع المقدام •
المصعو البالغ • الوقور الناسك • طليعة جيش الجهاد • وعميد اعيان
اهل الجهاد • المؤيد بالله في هدى البلاد • المسارع الى مرضاة رب
العباد • مولانا ابي الحسن مولانا علي الشريف هـ نص الحلية ق وكتبوا
للعلماء بفاس يرغبون منهم ان يحضوا مولانا علي على العبور الى العدوة وكتب
له العلماء بفاس بمثل ذلك وحثوه على المسارعة الى اعانتهم وذكروا له

فضل الجهاد عند أهل الغرب أفضل من الحج

قضايل الجهاد وانه من افضل اعمال البر وكان من موجبات تخلفه عن اغاثة اهل
غرناطة انه عزم على السفر الى الحج فقال الواله في بعض الرسايل وعوض هذه
الوجهة الحجية التي اجتمع رايكم وتوفر عزمكم عليها بالعبور الى الجهاد فان
الجهاد اصلحكم الله عند اهل الغرب افضل من الحج كما افتى به ابن
رشد رحمه الله حين سيل عن ذلك وقد بسط الكلام عليه في اجوبته ووجه
ما ذهب اليه من ذلك اهـ وكان الذي كتب له من علماء غرناطة جماعة منهم
شيخ المواق اذ ذاك ابو عبد الله بن سراج قاضي الجماعة ومن شيوخ فاس
الذين كتبوا له الشيخ ابو عبد الله القوري شيخ ابن غازي وابو
العباس الونشريسي شارح الروضة وابو زيد عبد الرحمن الرقعي صاحب الر
وضة وابو زيد عبد الرحمن الرقعي صاحب الرجز المشهور وغير هؤلاء رضي
الله عنهم ممن قد كنا ذكرنا اختصارا وممن شعر في بعض تلك
الرسايل فصيحو كنانة في مدح مولانا علي وصاحبه الفاضل ابي عبد الله
سيدي محمد بن ابراهيم العمري وحضهما على الجهاد منهم وهي من انشاء العلامة
ابي فارس الزبيع الغرناطي **وهذا نصها**

ايا راكبا يطوي المفاوز والفلا تشرف ولقيت السلامة والبشرا
ترحل وجد السير يوما وليلة وسار وقدما في معالي العلا وهرا
تحمل هداك الله مني الى الحما تحية مشتاق تنمنمه الذكرا
وامد يا راعيه من بعد سماسة فبلغ يا من يجمع العز والفخرا
وسلم على تلك الجبال واهلها سلام محب لم يطق عنهم صبرا
وعني بهم هب جار في جوانحي وما زج منه الغيم والدمع والشعرا
فيا لهف نار الزبر والجنع والسرى فكم مرتقى في سماها اسما قدرا
هم القوم لا يشقى بهم جلساؤهم بقوم عميم الزهر من بينهم نشرا
وقل يا اهيل الغيلة السادات لا الى اذا ما عموا جهادنا اسم عموا الذعرا

أحض

١٤٢

وخص سليل الهاشمي ابن جمعة علي الذي يعلو علا زحل قدرا
ابا الحسن المولى الشريف الذي به علا الغرب شمس النصر اشرق بالبشرا
وكم حف يا قاف العلو عجايب بما سلبت الباب تحسبها سحرا
هو الصقع همس اهتز كل مجلجل هزبر اذا ما اشتب النار والكبرا
هو الغيث ان دارت رحى الحرب واللقا وغيث اذا ما المزن ما امطرت قطرا
اغار على الاعلاج فاجتاح جمعهم وجهز لهم قتلا وشن بهم اسرا
بطنجة قد كان الحماة لرومهم بنص تناثر هوامن الملك اذ ذاك جمرا
دعمها باذن الله في الشوس قد ما بفاس جوامر الصلا بنات الجرح لم يا خذ الحمرا
قضيت وكان الغوم والشمس اشرقت واز هو حين الله اعراقه خسرا
ولا عجب ان الى موقعهم لبوث الشرا اذ عام من حبهما شرا
اجم جارك الشقا ومن غمر اقه ابا حسن وانصح جزيرتها الخضرا
وناد ابا عبد الاله خليلكم به تجلب البشرا في حادث الضرا
سليل ابي اسحاق اكرم به ابا الفرخلق البهي الزكي الرضى البرا
اليسر الحمى لبنى لترا اهل طنجة وهم اهل الغرب من حينهم كسرا
وا وقع بالكفار اي وقيعة فمن لم يمت بالسيف مات له غرقا
واصبح ثغر الدين اشنب باسما وازهر وجه الكفر من حزن قترا
وقام من ابنه السعادة وارتضى وجهات عزمي في القعاد له دحرا
وقل ايها العدل الذي افتخر التقى شعارا وسامي في مناقبها الشعرا
ارى كل من في الغرب اصبح فانصا وانداس يرجوا بفعلكم نصرا
وغرناطة الغراء نادتكما اقبلا وبا رايه البيضاء كن نص الحمرا
فسكا بما وقع عليكم رجاؤهم كبيرهم والطفل والكاعب العذرا
يجيبا بحر في ازمتكم حماها بكم رجالا ومن سابغا غارقة غرا
هما ما ابات الضيم من كل ماجر كريم يبان الغيث والسيل والبحرا

ذعرا

بسلكنه

يروق لهم الكفار تغنى كغنائهم · وتشبع من قتلاهم الوحش والطيرا
لقد كمع الكفار غلته رفاجنا · بافلاكهم في ارضنا البحر والبرا
منار لنا في كل مصر وقرية · تنادي بهما مولانا الخطيب انى مر ا
فكم من صبيغ لام الجسم وشيخ · بما ازرى على مائة عشر ا
وسمر وبيض من اوانس كالدمى · وحيبة ممن لا تعي النفع والضرا
ومنبر جمع للخطابة والدعا · ومسجد يدعو للصلاة وللاقرا
وكرسي علم ومعهد لمتهذب · تصدر يملي ما يضي لنا الصدرا
واحرار ابناء الصحابة فيهما · وكل ولي اشعث لا يبين ضرا
تنادي بهما مولانا امر الله سرعة · فغزو كاد يستاصل الكفر والبرا
فجئت لنا المسير بغزو وفرقة · اجبت الناس كل من اعتزا بجورا
وعمها باخره مثل تلك التي مضت · لينص هذا البعث ملتك كبرا
وانتم بحمد الله تنزون ما اتى · عن المصطفى في الغزو من خبر خبرا
فلله ما اسمى ودّ منا لو اننا · قتلنا فاحيا ثم اقتل فزمرا
وما في كتاب الله من آية اتت · كشمس ضحى في الصحو سافر غرا
خذ اما بحمد الله عمروا صحبها · يصوغ شرا فيه لغنا كما غزا
وتبلغ عمن للكرام وتحية · بانفسهم للغزو فز عبد والجزا
فيعفو بالرجال الله عمر ما العزوة · اما كنت بنا الباشا واشتم الغرا
فانتم لنا الجند الغزو ويحولكم · تشو فنا فاستعجلوا نحونا السيرا
وتنشر على خير البرية ذو اسرى · بحق المبعوث بالملة اليسرا
وآل وصحب ثم تال التبعة · ومن لزو بما بعه سلام فرقصر النضرا

وبهذه الرسائل العزيزة ان تعلم · المستوفية للدعاء به · تعلم ان مولانا عليا كان مشهورا في عصره · متقدما على كافة اهل عصره · وانه كان مخصوصا بغير ان جلاله عند هم وان منزلة الدار فعظمه عندهم فوق ذلك

مشهود لها بالتعديم وكم يزل رحمه الله ورضي عنه مدة ولايته على بعل الخير حريصا على اسباب الطاعة ونسخ عمره بين حج وجهاد وحكي انه في بعض السنين رجع من حجه فجعلها فبنى له ان يذهب الى ناحية اكرج بالكاف المعقودة قبل الراء وهي بلد في السعدان مجاورة قريبة من الكفار وتلبس لها ابن كم بن واحدة وهي قطعة من الحرير فلما قبعوا امهم ووعوا ان تلك الغفرة يحمل على فرسه نحوهم فلم يجد لهم منزلا فاز تمر نحو الباب بفرسه فلما راوه ابن حراخلا عليهم الغوا عليه قطعة من الحرير فقطعت العرس نصفين وسلمه الله فتسا وعليه اصحابه من المسلمين في الحين فطلعوا اليه واخذوا المدينة فمن ا وجلس في بابها واتاه الكفار يجاريتين فابغنتين في الحسن والجمال فقال الواله اختر ايهما شئت فاختار واحدة فاخذ الكفار المختارة ودخوها وضيعوه بها فلما جاءوه بالطعام عليها الخجل اشتكي مثلا شبعة او فراسة رضي الله عنه وبعثنا به فسالهم عن الخجل فقالوا له حم الجارية المختارة فقتلتهم عن اخرهما ابن مراسلتهم **وفي هذا صاحب الانوار** يعرف فقال ان مولانا عليا ملك اربعة عشر سنة لا يولد له شيء ثم ولد له بعد ذلك ولدان وهو مولانا محمد بعتخ الميم ومولانا ابو الجمال يوسف وهذا امغ بهما **اما** مولانا محمد فترك اربعة اولاد السيد الحسن والسيد عبد الله والسيد علي والسيد قاسم وهم على هذا الترتيب في قول النسابين منهم اولاد محمد نسبة الى هذا الجد وهم عدد كثير تتبعهما فبنا يقول **و** اما مولاي يوسف فانه ولي زاوية ابيه واجمع الناس على انه المتا هل لها من غيره لزاويته ووفور عقله فتولاها بعد نزاع ورسم توليته لها لم يزل موجودا بيد احفاده **و**ذلك كله في دولة بني مرين **وقال** صاحب كتاب ابن نوار وقيل انه لم تكن له اولاد حتى بلغ ثمانين سنة فولد له تسعة من الولد خمسة منهم اشقاء واقدم السيد خليفة من ذرية بعض

المرابطين بسجلماسة ومنهم السيد علي وهو جد مولانا الشريف نصره الله والسيد احمد
والسيد عبد الله والسيد الطيب والسيد عبد الواحد المكنى بابي الغيث لكثرة
ما خرج من الجهد عند ولادته وكان الناس قبله في جدب شديد ومنهم على هذا الترتيب
في السن واولاده اشقاء امهم السيدة الهاشمية من ذرية بعض المرابطين هنالك
ايضا وهم السيد الحسن بالتكبير والسيد محمد والسيد الحسين بالتصغير والسيد
عبد الرحمن ومن منازل ابي شقاء الخمسة اليوم اهنوس وتفصيل انساب اولاد
الثمانية يطول بنا ولنقتصر على مولانا علي لانه الغرض المقصود فنقول
ولد لمولانا علي ثلاثة من الولد ومنهم مولانا محمد ومولانا محرز ومولانا
هاشم وهو جد زاوية ابي فراز وكلهم عقبوا فاما مولانا
محمد فولد له مولانا علي مع عمه مولاي ... وغيره ومولانا علي هو
الجد الادنى لمولانا الشريف نصره الله وتوفي بمراكش وبنى عليه ...
امير المؤمنين مولانا الرشيد قبة تلقاء ضريح القاضي ابي الفضل عياض رحمه
الله وذكر بعض العلماء ان رجلا من الاولياء من اهل المشرق
قدم مراكش فتحدث الناس بانه من اهل المكاشفة واجمعوا انه يميز بين الموتى
في القبور ويعرف الصالح من الطالح والكامل من الناقص فذهب به بعض
الفقهاء لزيارة القاضي عياض بقصد ان يختبره فاذ خلف القبة التي بقرب
ابي الفضل قلما دخلها قال الذي هنا ... وكان كثير الحلاوة وهو
القبة لم يدر فيما ادى ... فاذا خلف لقبة مولانا علي فقال
ان الشيخ هنا رائحة المصطفى صلى الله عليه وسلم وفي الحكاية طول
وبعضهم يزيد فيها ما لا اعتقد صحته وولد لمولانا علي
تسعة من البنين مولانا الشريف والد مولانا نصره الله والسيد الحبيب
والسيد حجاج والسيد محرز والسيد حمدون والسيد فضيل والسيد ابو
زكرياء والسيد مبارك والسيد السعيد فمولانا محمد اولاد مولانا

علي

قف

١٤٤

علي وكان مولانا الشريف افضلهم واشهرهم وله رحمه الله
عشرون ولدا كلهم نجوم زاهرة ومنهم باهرة ومنهم مولانا
اسماعيل نصره الله وهو واسطة عقدهم ومنهم
مولانا محمد بفتح الميم وهو اكبرهم ومولانا الرشيد ومنهم مولانا الحران
ومنهم مولانا محرز ومولانا يوسف ومولانا احمد ومولانا
الكبير ومولانا حمادي ومولانا العباس ومولانا السعيد ومولانا
هاشم ومولانا علي ومولانا منير وهو شقيقه نصره الله هذا
ما تيسر ذكره منهم في تسبيب الشريف وفيه كفاية والله اعلم

ذكر الخبر عن كيفية اتصال مولانا محمد بن الشريف رحمه الله بالملك وكونه في دولته اول الملوك

كان ابو الافلاح مولانا الشريف رحمه الله وجيها عند اهل سجلماسة
وكافة اهل المغرب يقصدونه في المعضلات ويستشفعون به الى ا...
زمانه ويبتغون اليه فيما قل وجل وكان رحمه الله وهو صبي
يغشى ... يوم علما ان قام العالم العامل الرباني ابي محمد مولانا
عبد الله بن علي بن طاهر الحسني فسال عنه ابو محمد اذ لم يكن يعرفه
فقيل له هو ابن مولاي علي بن محمد ففرح به ومسح على كتفيه وقال اذا
تخرج من هذا الفتى من الملوك والسلاطين فتبشر الناس بوقوع ذلك
لما يعلمون من ولاية ابي محمد رضي الله عنه وكان مولانا الشريف بعد
ان كبر وتزايد له الولد يشيع ان هذا الامر لا بد ان يصير الى بنيه
ويملكونه ويلونه وانه سيكون لهم الشان العظيم اعتمادا على بشارة
سيده مولانا عبد الله بن طاهر رحمه الله وكان بين مولاي
الشريف وبين اهل تابوعصامت وهو حصن منيع من حصون سجلماسة
عداوة تامة فاستصرخ عليهم بابي الحسن علي بن محمد صاحب سوس

المتغور الزكراكي لحجبة كانت بينه وبينه واستصرخ أهل تابوعصامت بأهل
زاوية الدلاء فأغاثوهم وتوافى عسكر أبي الحسن وعسكر أهل الزاوية
بسجلماسة فانفصل الجمعان عن غير قتال أصلا وهذا الرقاء السليني
وكان ذلك سنة ثلاث وأربعين وألف وفيها رد أهل تابو
عصامت ما بين مولاي الشريف وأبي الحسن من الصرافة والمحبة مالوا
بكليتهم لأبي الحسن وخرقوه ثم بانقسمهم بنعو سيمم وأولاد منهم وأكثرهم
إلى النصيحة وهم والحرفة معا أربعين وأما بينه وبين مولاي الشريف إذ كان
قام عليهم به فلم يزالوا بحصر وبينهما إلى أن لم الحرب بينهما واستحكمت الفتنة
الفظيعة فثار السيد مولانا محمد بن الشريف لما رأى ذلك انتهز العزمة
في أهل تابوعصامت وخرج ليلا في نحو مائتين من الفرسان وأظهر أنه قاصد
لبعض النواحي فبادر إلى أهل تابوعصامت إلى صلاة محمد تسور عليهم وحكم
السيف فيهم ومكنه الله منهم واستولوا على دخائرهم ثم قبض بن الحميز مولانا
الشريف وبلغه الله في أعدائه ما كان يرتجيه وأقام فيهم تابوعصامت إلى
الحسن وغضب لذلك غضبا شديدا وكتب لعامله بسجلماسة أن يقبض على
مولانا الشريف ويحتال عليه حتى يبعث به محبوسا فبعث وحمل مولانا الشريف
لصاحب السوس فاعتقله في قلعة إليغ مدة الرأى أبكته ولده مولاي محمد
بالأعظم فرجع لسجلماسة في حكاية طويلة أعرضنا عنها اختصارا وكان
ذلك كله في حدود سبعة وأربعين وألف وفي أيام اعتقال مولاي الشريف كان
ولده مولاي محمد مجمعا على قتال من بقي من أهل تابوعصامت وجعل على
استيصال شأفتهم وفنى عصره بالأخذ من أموال تابوعصامت واغتنم منها
للباسر به وانضاف له جمع من أهل سجلماسة ونواحيها لأن أصحاب أبي الحسن
أساؤوا السيرة بسجلماسة ونصبوا حبالة الطمع حتى برز وأبرز بغضه في قلوب
أهلها ولقد كان أصحابه بسجلماسة ضربوا الخراج على كل شيء حتى على قبر جدوده

فـ عمال أبي الحسن يضربون
الخراج حتى على الشمس

في الشمس

في الشمس من الشتاء أو في الظل من الصيف ومنعوا على الناس فأذن ربهم
العيون وكرهتهم القلوب فلما قام مولاي محمد وجد فيهم الراغبة للخلاف فاعصو
صبوا عليه ووجهوا وجه العناية إليه وحاولوا محو ولاية أبي الحسن من بلا
دهم وأخرجوا عمال له عنهم فوافقهم الغرو وكان أمر الله قدرا مقدورا

ذكر الخبر عن بيعة مولاي محمد بن الشريف
وبقية أخباره إلى أن قتل رحمه الله

كانت مبايعة مولاي محمد بن الشريف رحمه الله بسجلماسة بعد جلاء أصحاب أبي
الحسن عنها سنة خمسين وألف ووافق على بيعته أهل الحل والعقد يومئذ
بسجلماسة ولما تمت له البيعة شمر لمضايقة أبي الحسن بدرعة
إذ كانت تحت ولايته فوقع بينهما حروب وقطع يشيب له الرضيع
وانقشع سحاب الفتنة عن غلبة مولاي محمد وهزيمة أبي الحسن وفراره فاستو
لى مولاي محمد على درعة ولما عظمت إيالة مولاي محمد وتوافرت
جموعه وانتشر في البلدان هيبته بعث له أهل فاس وعرب الغرب يطلبون
منه المجيء إليهم ووعدوه وبذلوا عزونه بالنصر له وتقويته بالعدد والعدة
فأقبل بجموعه مسرعا إلى أن حل بفاس الجديد يوم حلول الشمس برأس الحمل
في منسلخ جمادى الثانية سنة تسع وخمسين وألف فبايعه أهل فاس القديم
وفاس الجديد وبقي هنالك إلى مدة الرواجل عنها أهل الزاوية كما ذكرناه
قبل في السنة المذكورة فرجع لسجلماسة ولم يزل مقتصرا على ما بقي له
من درعة وسجلماسة إلى أن ثار عليه أخوه مولانا الرشيد بن الشريف
بعد إجلاء بعد أن كان تحت حجره وفي حضرته فوقع بينهما ما أوجب أن فر مولانا
الرشيد منه خوفا على نفسه ولم يزل يجول في البلاد كما مر في افتتاح الكلام
إلى أن تمت خاتمة المطاف في قصبة بن مشعل فوجد بها يهوديا من أهل
الذمة له أموال طائلة وذخائر نفيسة وله على المسلمين صولة واستهزاء

فـ بيعة مولاي محمد بن الشريف
سنة ١٥٠

بالدين وأهله فلم يزل مولانا الرشيد ينظر في كيفية اغتيال اليهودي إلى أن
أمكنه الله منه في قضية يطول جلبها فقتله وأخذ أمواله وذخائره وفرق فيها
فيمن تبعه وانضاف إليه فتقوى بذلك على عدوه وتوافر جمعه وتسامع الركبان
بحركته فلما انتهى خبره إلى أخيه مولانا محمد تخوف منه لما يعلم من صرامته
فتوجه لمقاتلته والقبض عليه فلما التقى الجمعان كانت أول رصاصة في نحر
مولانا محمد رحمه الله فوافته منيته وقضى نحبه يوم الجمعة التاسع من
المحرم فاتح عام سبعة وسبعين وألف فأسف مولانا الرشيد رحمه الله على
قتله وأظهر الحزن عليه **ولما قتل رحمه الله** انحشرت جموعه
بر[مّ]تها إلى أخيه مولانا الرشيد ودخلوا تحت طاعته أجمعين وتقوى أمره
في الخير والملك لله يؤتيه من يشاء **وكان مولانا محمد رحمه
الله شجاعا مقداما لا يبالي بنفسه ولا يحول عن عادته**
خوفا من لحوق أبناء جنسه ولقد أخبر أهل الزاوية حيث قال في حقه
وإنه أجرد لا تؤذيه سموم الليل ولا حرارة قيظ الصيف مع غاية الشجاعة
على فتنة كل عقبة لا يمنعه الماء عن حسم الرقبة وشجاعته شهيرة وكان قويا
أيدا لا يغلب في المصارعة **وحكوا أنه في بعض حضاره**
لتأبو بعضا منا جعل يده في بعض ثقب الفص ومعر علينا ما لا يحصى من
الناس كأنها خشبة منصوبة أو لبنة مضروبة **وكان** سخيا جوادا حتى
أنه أعطى للأديب الشهير المتقدم في صناعة الشعر أبي عثمان سعيد
التلمساني نحوا من خمسة وعشرين رطلا من خالص الذهب جائزة له على بعض
أمداحه فيه **وحكايته** في هذا المعنى شهيرة ولما قتل فات ولي مولانا
محمد فقامه لكنه لم يتم له الأمر في قضية يطول ذكرها

ذكر دولة السلطان الأعظم مولانا الرشيد بن الشريف
رحمه الله وما وقع فيها إلى أن قتل رحمه الله

لما قتل مولانا محمد بن الشريف كما سلف استولى مولانا الرشيد على جيوشه وتوجه
لتازة فافتتحها بمحاربة طويلة وتمكن منها ثم توجهت عنايته لفاس فلما
بلغها هام أهلها فأناخ عليهم بكلكله وأوجف عليهم بخيله ورجله فترك
الرماة فافتتحها عليهم قهرا وبطش بأهلها لما أوقع بجماعتها **وكانت** فاس
قبله تقاسمها الثوار وتبع بها من كل جهة قائم وصاح في كل كدية ديك
فكان ابن صالح حاكما ببلدة أهل اللمطيين ومن انضاف لهم وكان ابن الصغير
كبير اللمطيين ومن انضاف إليهم **و**وقع بين الفريقين حروب كثيرة كما تقدم قبل
هذا وكان أمر فاس الجديد بيد رجل يقال له الدريدي فافتتح مولانا الرشيد
فاس الجديد أولا وقتل فيها المذكور وسكن روعة البلد **ثم** افتتح
فاس القديمة فأفنى رؤساءها قتلا وحكم فيهم السيف فتمهدت له البلاد
واجتمعت له الكلمة **وكان دخوله لفاس القديمة**
صبيحة يوم الاثنين ثالث ذي الحجة سنة ست وسبعين وألف **و**بويع بها
يومئذ **و**لما تمت له البيعة أفاض الخلع على علمائها وعمهم بجزيل
العطايا وبسط جناح الشفقة على أهلها وأظهر إحياء السنة ونصر الشريعة
بجل من قلوبهم بالمكان الأرفع وتمكنت محبته من قلوب الخاصة والعامة
ولم يلبث فيها إلا يسيرا ثم توجه للدلاء فأوقع بجموعهم وفرق كلمتهم
حسبما شرحناه قبل **ثم توجه** لمقاتلة الشبانة بمراكش وجمع الكلمة بها
فلما بلغهم الخبر بتوجهه إليهم هربوا عنه وعجبا منه لما بلغهم أنه قتل
بأهل الدلاء ومزق جميع كل ممزق فخامر قلوبهم من الجزع ما حملهم على الفرار من
المدينة إلى بعض شواهق الجبال فدخل مراكش وأمنهم ووجه بها من الشبانة
وأسكن في تلك البقعة البشر بكثرة من الصبائح وأخذ منهم بالأموال والنوال
ثم توجه إلى السوس الأقصى فقطع بهم جوانبه وسكن روعته
وأناخ على الغرب إلى المعمرة ... فتركه شتى ومن ثم تمهدت له بلاد الغرب من تلمسان

بعد

الواحد نور من نجوم الضحى وكان رحمه الله محبا في جناب العلماء مؤثرا لأهل العلم
مولعا بالسماع محسنا لليتيم حيثما كان وكان جوادا سخيا رحل الناس إليه
من المشرق فما دونه وقصده بعض طلبة الجزائر فامتدحه ببيتين وهما

• فاض بحر العلوم في كل فن من نوال احتياط عن فنا فراقا •
• غرق الناس فيه والتمس الفقر خلالا فلم يجد فيه فاقا •

فوصله بالعشر ونصف دنانير وشاور رحمه الله في التحلي
بالعلم والحكايات عنه في ذلك شهيرة وفي أيامه كثر العلم وكثرت للعلماء
الهيبة والرياسة واعتز العلم وأهله وكانت أيامه أيام سكون ودعة
ورخاء عظيم وكانت وفاته رحمه الله بجزء أكثر ليلة الجمعة
عاشر ذي الحجة عام اثنين وثمانين وألف وقد دفن بها إلى أن نقل [illegible]
سير على فرس زمن بفاس لوصية منه بذلك وسبب
وفاته أنه كان راكبا على فرس جموح فاجأه فلم يملك عنانه فصرعه
تحت شجرة لا زيتونة بجسم غصن منها رأسه فكانت فيه منيته وفي ذلك

قال بعضهم

• وما شك ذا الغصن أن مات ما لسوء له خير المحبة جاحد •
• ولكنه قد غار من ليث فتكه وأن من له شبها من هو حاسد •
• ذكر الخبر عن دولة السلطان المنصور مولانا •
• أبي النصر إسماعيل الشريف أيده الله ونصره •

لما توفي مولانا الرشيد رحمه الله بلغ خبر وفاته
مولانا أبا النصر أيده الله وكان خليفته بفاس الجديد ليلة الأربعاء السادس
عشر من ذي الحجة سنة اثنين وثمانين وألف فبويع أيده الله وحضر بيعته أعيان
المغرب وعلماؤه بحيث لم ينازع في أنه أحق بها وأهلها أحد ممن يشار إليه وكانت
مبايعته أيده الله في الساعة الثانية من يوم الأربعاء سادس عشر من ذي

الحجة من عام اثنين وثمانين وألف ووافق ذلك ثلاثة أيام من شهر أبريل وكان
سنه أيده الله يوم البيعة ستا وعشرين سنة لأن ولادته كانت
في رفعة الكاملة وهي مؤرخة بخط من أثق به سنة ست وخمسين وألف ولما
تمت له البيعة نهض بأعباء الخلافة وأحسن السيرة وخضعت له من كل ما
وتمهدت له البلاد ودانت له قريبها وبعيدها بغير محاربة كعريلة ومنازلة
في غربية مع الثوار عليه كابن أخيه أبي العباس مولانا أحمد بن محرز بن
الشريف فإنه ثار عليه بمراكش وغيرها ولم يزل في منابذة إلى أن قتل في أوائل
بلاد القبلة عام سبعة وتسعين وألف ووقعت بينهما وقائع يطول في
بسطها الغزل وشق عليه العصا أهل فاس فجاءهم في نحو من خمسة عشر
شهرا إلى أن دخلوا تحت طاعته في التاسع عشر من رجب عام أربعة وثمانين وما وقع
له أيده الله من الحروب مع الثائرين عليه يطول فيها الشرح والغرض
الاختصار ولم يزل أيده الله في مقاتلة أعدائه إلى أن دوخ بلاد المغرب
كلها واستولى على سهلها ووعرها واستولى على تخوم السودان وبلغ منها
ما وراء النيل وانتشرت دولته في جميع السودان وبلغ في ذلك ما لم يبلغه
أمثالها أبو العباس الذهبي المنصور ولا أحد قبله وامتدت مملكته من
جهة المشرق إلى قرب بلاد بسكرة من بلاد الجزائر ونواحي تلمسان والله
أعلم حيث يجعل رسالاته

• ذكر محاسن هذه الدولة الإسماعيلية •
• خلد الله ملكها وعدد بعض مآثرها ومناقبها •

لا يخفى على من نظر بعين الإنصاف وتحلى بقول الحق الذي هو أحق
أن يوصف أن هذه الدولة السعيدة لم ير مثلها الزمان ولم
يسمع بمثلها السامعون لما اشتملت عليه من المفاخر التي يكل في تعدا
دها الأولون والآخرون ولعز كثرة فيها من الخيرات ما لا يحصى ومن الناس

من الأمر والزخائر والسير فلم يتخلص إلا من هرب بالبحر وكل ذلك مما شاع وذاع وامتلأت
منه الأسماع **ومن محاسن هذه الدولة أدامها الله**
تنقية المغرب من نجاسة الكفر وردّ كثير الثغور والكنائس **وقد من أيده الله**
عنوة من النصارى كانت من معاقل الغرب ولم يبق بأيدي المسلمين منها فرار من
ذلك المعمورة المسماة بالمهدية فإنه أيده الله افتتحها عنوة بعد
أن حاصرها مدة وكان فتحها يوم الخميس رابع عشر ربيع الثاني عام واثنين
وتسعين وألف وأسر بها نحو الثلاثة آلاف ثمانية من الكفار **ومنها**
طنجة فإنه بعث لها جيوشه فضايقوا على من بها من النصارى إلى أن
ركبوا أسفانهم وهربوا في البحر وتركوها خاوية على عروشها **وذلك**
في ربيع الثاني عام خمسة وتسعين وألف **ومن ذلك مدينة**
العرايش فإن النصارى استولوا عليها من يد السلطان الشيخ بن المنصور
ولم يزل النصارى بها إلى أن أخرجهم منها مولانا أيده الله بعث لها جيوشه
وحاصروها نحوا من ثلاثة أشهر ونصف ثم من الله بفتحها بعد وقعات
شديدة وذلك أنهم حفروا الكنابير وشحنوها بالبارود فاشعلت بعض
سور المدينة فاقتحم منها المسلمون ووثبوا على الأسوار ووقعت ملحمة
عظيمة ثم فر الكفار بالبساتين وأقاموا بها يوما وليلة فدخلهم المسلمون
هو أمنهم قاطبة فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين
وكان عدد نصارى العرايش بعد الاستيلاء عليهم ثلاثة آلاف وما
نيف فقتل منهم المسلمون وأسروا منهم العين وما منهم نحو اثني عشر
مائة **ووجدوا بها من البارود ما لا يحصى كثرة**
ومن الأنفاض نحو مائة وثمانين **منها** أنفار وعشرون من
النحاس والباقي من الحديد **منها** مدفع يسمى بالغضاب وطوله خمسة
وثلاثون قدما بالحساب زنة كورته خمسة وثلاثون من الأرطال الجيش

حلو

١٤٨

حلوا عليهم بغتة خرافة أربعة رجال كذا أسمع من المشاهير لذلك بعد السؤال
فازداد المسلمون بذلك وأمير المؤمنين سرورا ونصره وحل بالكفار الهلاك وفتح
العرائش نداءة وحسرة فدخل الرعب من بينهم برا وبحرا انتهى دخلها المسلمون
عنوة وقهرا **وكان فتح العرائش في الثامن عشر**
من المحرم عام واحد ومائة وألف **وفي فتح العرائش هذا**
أنشد الشيخ الخطيب البليغ الأديب الفاسي
ومفتيها أبو محمد عبد الواحد بن الشرقي فقال وما أحسن ما قال

أبى أبيش هذا الفتح نور … فقد تمت لعزكم الأمور
وكم في الشعر قالوا حين عمي … فقد انشرحت بفتحكم الصدور
وضوء النصر ساطع المبين … ونور الفجر نحوكم يسير
وقروا بيتهم الخيرات كذا … وطاب العيش واتصل السرور
هنيئا بفتحة الإسلام هذا … بثغر الحق فتح الثغور
وجاهدتم وما نلتم فانتهى … لدين الله أفواج بدور
وأكملتم جهادا منكم نحوما … لأن المنجاء ما حبسا كفور
فغلت البحر يوم الشلح حسنا … وفي يوم الوغا الأنس المصور
وفي ثغر العرايش قد تمرى … لغزوكم على الشرع الظهور
لقد كان العلوج بها أقاموا … ورامو هاوية لنا الثغور
فلما جئتهم أفاق وقالت … إلينا يا مولانا المنصور
ملكت فيا جا هاقليما بذل … بلا عني الحصار ولا العبور
فيا ترتم بابها أمر عظيم … على المنجا وكلهم حسور
وكم رأس من الكفار أمسى … قطيع الرأس مجرور النحور
وكم نفخ فلاد ثم رماح … وسار الرمح مركزه النحور
وكم أسر وكم قتل بأرض … وكم جرحى وقد قوم تغور

وقاتلهم خ
تبري خ
حيتها: السرور خ
فهم تهم خ

فتربعا الطيور وشنفها ... وبان الزين وهو لها شكور

واضحى الناس كلهم نشاوى ... على طرب وما شربت خمور

يبشركم بهذا الفتح نور ... وتبشركم به من الثغور

به زادت مآثركم علوا ... وقد عمت به لكم الاجور

الا يا معشر الكفار هاذا ... يزيدكم وليس لكم قصور

الا يا اهل مبتة فتراتكم ... بسيف الله سلطان وفور

اذا ما جاء السبتة في عشي ... تناديه اذا كان البكور

ووهران تنادي كل يوم ... متى يا زائل قام منتزوره

متى يأتي ويفتحها سريعا ... ويلحق اهلنا منه النشور

فيهزمكم ويقتلكم ويسبي ... ويتبع الحرب بين يثور

أيا مولاي قم واقصد وبادر ... لاندلس فانت لها امير

وجاهد فيهم وجار فيهم ومن ... يهم عليهم من بيتكم النصير

ولا يمنع بفضل الله منها ... كما قد قيل بزاد او بجسور

لسان الحال ينشد كل يوم ... ويا ابن العز والملك الكبير

بدفع كتيبة نال الجهاد حزا ... ومعتنم الجلال بنعمة الصدور

وذالكم بعون الله سهل ... ومن بركاتكم امر يسير

أيا مولاي اسماعيل مولانا ... عميدكم الخليفة المستنير

ينادكم ينادكم ويدعوا ... دعاء لا تبينه الزهور

فبان به الرقة يا الهاشمي ... ويا حامي بان غرا المجير

اتى هذا الامام بكل خير ... ولا تجعل فجا ارقة تبور

وابن المكادية وفي بنيه ... ولو ذكرتهن زيود او عمور

وتخوم عبيده بحو اهتناء ... وبالسلطان فتكم الامور

عليكم من عبيدكم سلام ... مدى الزمنا بضمه العبير

يعم

خمرا

وبشر

يعم جنابكم ما قام حب ... الا ابشر بهذا الفتح نوره

وبالجملة فمحاسن هاذه الدولة السعيدية مما يضيق العقول في استقصائه • وبكل الالسنة والاقلام عن احصائه • وقد اجمع اهل العقول الكاملة على ان مثل هاذه الدولة المنصورة لم يكن ولم يجمع بنظيرها فيما تقدم من الدول وقد بلغت من عظمة المملكة • وعظم السلطنة • ما اقصر دول المغرب السالفة • نسأل الله تعالى ان يديم علينا ظلها الوريف • ويجعل امراء الاوقات جانبها الشريف • فان زهو دين تم بإذن الله عصمة من كثير من الفتن • ولطفا من فيح موج المحن • وقد قرأت في كتاب الحلية للحافظ ابي نعيم رحمه الله قال هارون الرشيد على الفضيل بن عياض رحمه الله وقد وعظه الفضيل فبكى وفي اصحابه الراوي عتاب عنه فقال ماذا يرى من الناس من الفتن بعد غروب شمس هذا الرجل اشير واذا كان خالط في زماننا هذا من الغالب على اهله الخير والصلاح بما كان بزماننا هذا الذي اضطربت فيه امواج الفتن العباد • وما زال الشر هو دين العباد وما احسن ما انشد فيه الفقيه صاحبنا الاديب ابو عبد الله محمد بن عبد الله الجزولي لنفسه في مدح هذه الدولة من قصيدة

مولاي اسماعيل يا شمس الورى ... يا من جميع الكائنات بدت له

ما انت الا سيف حق مشهور ... الله من دون الخليفة سله

من لا يرى لك طاعة فالله قد ... اعماه عن طرق الهدى واضله

قال مؤلفه عبيد ربه تعالى سبحانه محمد الصغير بن الحاج محمد بن عبد الله الافراني اليفراني المراكشي الوجاري • هداه الله هو عبده • وستر زلاته هنا انتهى ما جمع لنا تسليمه • وقد قدمنا بعض ما من هو وسنا منهم • من اخبار الملوك والرؤساء • وذكر طبقات من احسن منهم ومن اساء • مع الالمام بغرائب مستملحة • وبدائع يقع عليها اختيار من لمحه • واذنيات بدور ومما بالعقود المحلات زواهر • وغرائب جواهر فوائدها العقول بواهر

بلغت

وقد بلغت في التنفير عن ذا الطاغية • وصرفت لجمعه عنان العناية • وبذلت
فيه جهدي • وانبعثت من وجدي على نزر ما عندي • وقد كنت جمعت فضله في بطاقة • فاذا
رمت تتميمه عاق عنه عائق • وعدا الحين باقلاط الصبية العادقة • ورميت
اسمها التي هي في عرض الزهر فائقة • على ذي نزر وكثير شانها • واستولى على
ما عيني به احاديث النشاط ضعافا واحاديث الكسل صحاحا • واشتغلت
الجوانح والجوارح بدعوى اخواني هملا وسوارح • وبزت تلك التغابيس بروايا
الهجران • حتى نسجت عليها عناكب النسيان • وصحت ام الوهمة الوجهة
في كمال تلك الحبيبة النزهة الشيخ سيدي احمد العاشر
• هذا وقد زاد واهم لا يحتمل • بدعم الزوافر للنزول والعلل •
ثم تذكر الطالب الذي • واكثر في جمع ذا التاليف عملي • مولا استطيع
مقابلة امري بالاهمال • ولا افرد اسجل على بينة من خضه الا بالاعمال
وهو محيي الاعيان • وصدر ارباب البلاغة والبيان • الفقيه الزمخشري
الفقهاء بعلمه وعمله • والاديب الزمخشري البلغاء ببراعة قلمه •
بقية السلف • وقدوة الخلف • الولي الصالح ابو عبد الله • سيدي الكامل
ابن الولي العارف سيدي محمد المغيلي حفيد تاج الدين العارفين • وخاتمة
الاولياء المحبوبين • ابي عبد الله سيدي محمد الشرقي نفعنا الله ببركاته محروسا
وادام ذكره في روض المكارم مغروسا • فمع الحرامة لعكس قوة النشاط
ونشر عليه بساطا لا نبساطه • فانقشع عني سحاب الكسل والحجاب •
وذات بين بكر فتح صنيعه للتاليف فاجاب • ووقفت ما فاه به الخطاب
وكان الوهاب • وانا في ثوب العجز ارفل • وعلمي ان لم يوبه عن الامانة
به عامل • فالحمد لله الذي يسر في هذا الغرض • مع تكدر وتنعم الصدر
وعزبه مع نزر البضاعة • والتطفل على هذه الصناعة • والحمد لله
الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله • وصلى الله على سيدنا

محمد

فع
وفي هذا انقطع توفي
مولانا اسماعيل رحمه الله

محمد خاتم النبيين • وشفيع المذنبين • ورضي الله عن آله • واصحابه الاكرمين
وذلك في عمرينا ان الحمد لله رب العالمين • في الخامس والعشرين من المحرم فاتح
وثلاثين ومائة والف

انتهت النزهة المباركة بحمد الله
تعالى وحسن عونه وتوفيقه
الجميل ولا حول ولا قوة
الا بالله العلي
العظيم

ه

ه

الحمد لله توفي مولانا عبد الرحمن بن مولانا هشام ظهر يوم الاثنين التاسع والعشرين من المحرم عام
ستة وسبعين ومائتين والف بمدينة مكناسة الزيتون وقد دفن بقبة مولانا اسماعيل برّد الله مضجعه
وطيب مهجعه وبويع لولده الانجب المولى ابي عبد الله سيدي محمد ظهر يوم الاربعاء بعده